

# نصوص روائية غير منشورة لـ 4 أدباء من المغرب



القاص عيسى ناصري: نجيب محفوظ فتح عيني على سحر الواقعية

الأربعاء  
مارس 2024  
رمضان 1445  
برمهات 1740

27  
17  
18

**الدسنة الثقافية**

إصدار إلكتروني يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر  
العدد 12  
رئيس مجلسي الإدارة والتحرير محمد الباز

# دسنة



## وثائق معركة إباحة الإفطار في رمضان

**هل قتل  
عبد الحليم نفسه؟**  
صور نادرة في ذكراه الـ 47

**ورطة  
عبد الرحيم كمال**

**كيف وصف  
أحمد خالد توفيق  
حسن الصباح؟**

**مجيد طوبيا**

الزميل إيهاب مصطفى يروي ذكرياته الخاصة مع الروائي مجيد طوبيا، الذي حلت ذكرى ميلاده مؤخرًا، وتحديداً في الخامس والعشرين من مارس.

**وسيم السيبي**

مفاجآت كبرى يكشفها الدكتور وسيم السيبي، عالم المصريات الشهير، في كتابه «المسكوت عنه في التاريخ»، عن الدين في مصر القديمة.

**نوال مصطفى**

الكاتبة الصحفية تتحدث في حوار خاص عن أسرار كتابها الجديد «يا دنيا يا غرام»، وهو الكتاب الذي روت من خلاله تفاصيل محطات من تجربتها.

**حسن عبدالموجود**

الكاتب والقاص حسن عبدالموجود يتحدث بشكل مفصل عن مجموعته القصصية الجديدة «تاجر الحكايات»، وعن الحالات التي انتابته أثناء الكتابة.

## لأول مرة: النص الكامل لمقال البابا شنودة عن القرآن



لم تكف بإبداعها الخاص، الذي احتلت من خلاله مكانة متمزة بين الأدباء المعاصرين، وكانت آخر محطات إصدار الطبعة الثانية من روايتها، غيوم فرنسية، مع دار دون، للنشر والتوزيع. فإلى جانب إبداعها الروائي، أخذت الكاتبة والروائية ضحى عاصى على عاتقها حل العديد من الأزمات التي تعانيتها الثقافة المصرية، من خلال عضويتها في مجلس النواب، وتحديدًا لجنة الثقافة والآثار والإعلام، على رأسها قضايا: حماية حقوق الملكية الفكرية، وحماية التراث، ومواجهة تزوير الكتب، وغيرها الكثير. حول الكتابة الإبداعية بالنسبة لعضو مجلس نواب، وأهم القضايا التي تتحرك فيها، تحت القبة، وطوقسها خلال شهر رمضان الكريم، يدور الحوار التالي مع الكاتبة والنائبة ضحى عاصى.

إيهاب مصطفى



## ضحى عاصى:

# مشروع لـ«تصدير الأدب المصري».. وبدأنا في اختيار الأعمال المرشحة بالفعل

■ بداية.. ما أبرز القضايا التي تعمل عليها ضحى عاصى في لجنة «الثقافة والآثار والإعلام» بمجلس النواب؟

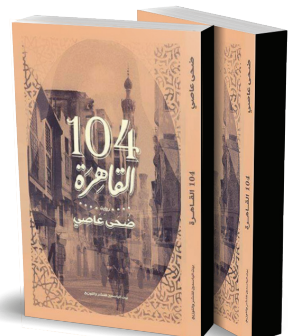
– من أبرز المشكلات الثقافية في مصر عدم تعامل الدولة مع الثقافة باعتبارها محركاً عاماً للوعي والاقتصاد على حد سواء، وهو ما يبدو واضحاً للعيان في ضعف الميزانية الموجهة لوزارة الثقافة، ما يترتب عليه ضعف الإنفاق على الأنشطة الثقافية، وبالتالي قلة الدعم الموجه للثقافة المستقلة على كل الأصعدة، من بينها السينما والمسرح.

ويترتب على هذا، أيضاً، ضعف قيم الجوائز المصرية، مقارنة بالقيم المالية للجوائز التي تمنحها الدول العربية، وهنا الحديث ليس عن المبلغ المالى الذى سيحصل عليه الفائز فحسب، بل عن ضرورة أن يعكس المبلغ حجم تقدير الدولة للمبدعين والأدباء، وأن يعمل على وضع الجوائز المصرية في صدارة المشهد الثقافى العربى كله.

■ وماذا عن التشريعات التي تخص الشأن الثقافى؟

– التشريعات التي تتعلق بالشأن الثقافى، على رأسها بالطبع حقوق الملكية الفكرية، من الأمور التي تحتاج إلى تعديلات، حتى نواكب التطور التكنولوجى الكبير، الذى أستخدم للأسف، في كثير من الأحيان، للاستيلاء على حقوق المبدعين، وتسهيل تزوير الكتب، ما يهدد صناعة النشر والثقافة بشكل عام.

كما أننا في حاجة إلى وجود تشريعات كافية لتيسير مجالات الاقتصاد الثقافى، خاصة ما يتعلق باستخراج التراخيص، على رأسها تراخيص أماكن النشاط، إلى جانب الضرائب، وغيرهما من الملفات المرتبطة.



ما طقوسك في شهر رمضان؟

– رمضان شهر فضيل كريم، وهو بالنسبة لى من أفضل أوقات السنة للكتابة، خاصة بعد الفجر حتى الظهر، لذا فإن كثيرًا من أعمالى انتهت من كتابتها في رمضان، والغريب أنى اعتبره شهر الإنجاز فى الكتابة.



الأديبة والنائبة ضحى عاصى

■ كيف تتحركين تحت قبة البرلمان في هذه الملفات المهمة؟

– العمل في البرلمان على القضايا الثقافية مهم جداً، لأنه يضع المشكلات الثقافية على جدول أعمال الحكومة والسلطة التشريعية على حد سواء، ويطرح قضايا لا بد أن تُثار ونبحث لها عن حلول.

وفي هذا الإطار، ناقش مجلس النواب مشروع قانون مقدم منى لتعديل قانون «حماية الملكية الفكرية»، في حضور مسؤولين من الحكومة، الذين أكدوا أن الحكومة تعمل على تجهيز تشريع مماثل في هذا الإطار، شاملاً كل عناصر وينود الملكية الفكرية، وليس حق المؤلف فقط.

لذا ارتأت لجنة «الثقافة والآثار والإعلام، تأجيل مناقشة ما قدمته من تعديلات على بعض مواد قانون «حماية الملكية الفكرية»، حتى يُناقش المشروعان المقدمان منى ومن الحكومة معاً. وهناك عدة قضايا أخرى تحركت فيها من خلال مجلس النواب، لكنها تتحرك ببطء، وهذا يرجع إلى سببين: الظروف الاقتصادية، وطبيعة العمل الحكومي.

■ إلى أين وصل مشروع القانون المقدم منك لـ «حماية التراث»؟

– مشروع قانون «حماية التراث»، تمت مراجعته نهائياً بالفعل، وجمع توقعات النواب بشأنه، والذين تحمسوا له بنسبة، وسأعمل على تقديمه

ميزانية الثقافة ضعيفة.. وعلينا التعامل معها باعتبارها محرّكًا للوعى والاقتصاد

نحتاج إلى تيسيرات لدعم الاقتصاد الثقافى خاصة فى ملفى التراخيص والضرائب

فى صورته النهائية، بعد عيد الفطر المبارك. ■ وماذا عن ترميم «أوبرا المنصورة»؟

– «أوبرا المنصورة»، تم هدمها جراء التفجير الإرهابى الذى استهدف مديرية أمن الدقهلية، فى ٢٠١٣، وعمليات ترميمها بعد ذلك توقفت لسنوات، لذا كان يجب على أولا الوقوف على أسباب هذا التوقف، وحل النزاعات القضائية، ومعرفة مصير المنحة المقدمة للأوبرا.

كل هذه الأمور تم حلها بالفعل، وطبعًا هذا استهلك وقتًا وصل إلى عامين كاملين، ثم بدأنا العمل مرة ثانية، حتى انتهت مرحلة الإنشاءات، وأخيرًا أصبح هناك مبنى واضح المعالم من ٣ طوابق، والآن تقابلنا مشكلة مادية لاستكمال المشروع، خاصة فى ظل الظروف الاقتصادى الصعب حاليًا.

وهكذا يمر الكثير من القضايا، على اختلاف طبيعتها وظروفها، لكننى مؤمنة بنظرية السعى والمتابعة للملفات بصفة مستمرة، والدفع بالمسألة أو بالدعم، لحل أى صواب أو عراقيل، من بين هذه القضايا مشروع «ترجمة وتصدير الأدب المصرى»، الذى تحركنا فيه، وبدأنا فى اختيار أعمال مرشحة للترجمة بالفعل.

■ هل تتهزمون التنسيق مع المجلس الجديد لـ «اتحاد الناشرين المصريين»، الذى جرى انتخابه قبل أيام؟

– بدأت التنسيق مع «اتحاد الناشرين، منذ بداية دخولى مجلس النواب، خاصة فى مشروع تعديل قانون «حماية الملكية الفكرية»، وتحديدًا الأجزاء الخاصة بحقوق المؤلف، وشكاوهم المتكررة من ضعف التشريعات التى يمكنها من مواجهة تزوير الكتب.

هناك، أيضًا، مشروع تعديلات قانون «اتحاد الناشرين»، الذى تقدمت به الزميلة النائبة منى عمر، إلى جانب العديد من القضايا الأخرى التى تهم الناشرين، وسبق أن تقدمت بعدة طلبات إحاطة بشأنها، خاصة فى فترة جائحة فيروس «كورونا»، لذا أؤكد أن التنسيق قائم وبالطبع سيستمر.

■ .. وبالنسبة للتنسيق مع «اتحاد الكتاب»؟

–القضايا المشتركة التى تحتاج إلى تنسيق مع اتحاد الكتاب كثيرة هى الأخرى، وكما قانون اتحاد الناشرين يحتاج إلى تعديل، فإن هناك ضرورة مماثلة لتعديل قانون اتحاد الكتاب، وهذا الملف أيضًا من ضمن اهتماماتى، كما أعمل على زيادة «منح التفرغ»، وهذا بالقطع ملف صعب، فى ظل الظروف الاقتصادى الحالى، لكن المطالبة ستجعله موضع دراسة.

■ أعدت نشر بعض أعمالك مثل «غيوم فرنسية»، مع دار «دون».. هل ستكررين الأمر مع أعمال أخرى؟

– الحقيقة أنه لا يوجد وقت كاف للكتابة الإبداعية، فالإبداع يحتاج حالة من التعيش والتماهى مع الشخصيات، حتى تعطيكم الشخصية مقاتيحها، وأعتقد أن هذا يتعذر مع التركيز فى موضوعات وأزمات وقضايا، تحتاج إلى سرعة متابعة وحل.

■ أيعنى هذا أن العمل النبائى يتعارض مع مشروعك الأدبى، خاصة أنك لم تصدرى عملاً جديدا منذ عامين؟

– المشروع الأدبى لا يتعارض أبدًا مع العمل النبائى فى الجوهري، فكلهما يتفاعل مع الإنسان وقضاياه، ويحاول أن يفهم أسبابها، ويسعى لإيجاد حلول لها، لكن الوقت لا يكفى الاثنين معًا، والجمع بينهما يحتاج إلى قدرة فائقة للانتقال بين حالتين شعوريتين مختلفتين، ربما أعلم هذا مع الوقت.

أنا أكتب عندما تتنازعى قضية أو فكرة يعينها، وأتعامل مع الأفكار التى تراودنى للكتابة عنها بطريقة غريبة، أعرف أن معظم الكتاب يصحون بتدوين أى فكرة قبل أن تتساقط، أما أنا فأترك الأفكار تصارع بعضها، ثم أكتب الفكرة التى انتصرت وبقيت فى ذهنى وظلت تطاردنى ولم أستطع أن أنساها.

نستطيع أن نسمى هذا «الكتابة بطريفة الانتخاب الطبيعى»، وهناك الكثير من الموضوعات التى أمتنى الكتابة فيها، أمتنى أن أكتب رواية أبطلها جميعاً نباتات، لكننى لا أعلم ماذا سيكون القليل.

أهلى وجيرانى

حاتم حافظ

مؤمن المحمدى



ل إننا صلحناها، ونقعد نفكر هو إزاي وليه ممكن صحفى فى الحوادث يكتب: «وبتفتيشه عثر بجوخته على امرأة عارية»، إيه الذى جه فى دماغه؟ هو إزاي شافها كدا أصلا؟ ونضحك ونبكي. أغرب حاجة فى حاتم كما عرفت، إنه رغم عاطفيته الشديدة فى التفاعل مع الحياة، ودا كان أمر واضح، قدرته على تناول الأمور ب موضوعية، ل ذلك هو من الناس القليلة اللى تعرف تختلف معاهم، ل إنى عندى فكرة كدا، إنك تعرف الشخص عند الاختلاف أكثر ما تعرفه عند الاتفاق، واللى تختلف معاه من غير ما يستدعيه الاختلاف عادة من إحن وخناقات وبهيلة، ف هو دا.

حاتم دكتور عنده دكتوراه فى فلسفة الفنون ومدرس ب المعهد العالى لـ«الفنون المسرحية» وله تجارب فى الكتابة

يحدث كثيرا أنك تحس الناس كلها صعبة فى التعامل، وإنك مش مرتاح، ويحط عليك إحساس المرحوم حسن الأسمر وتسألواته: هم ليه الناس بقوا كدا؟ وراحت فى السماحة والطيبة والأخلاق والذى منه؟ وما تلافيش إجابة.

حتى لما تقر بينك وبين نفسك إنك أكيد بتبالغ، ومفيش حاجة اسمها كدا، ب تلاقى فعلا تفاعلات أغلب البشر ب تقول إنه فيه حاجة غلط، وإنه فيه خلل جلى فى التركيبة المجتمعية، حتى لو ما عندكش ليها وليه «الحاجة الغلط والخلل فى التركيبة، وصف دقيق، أو تفسير عميق، إنما يظل فى النفس شىء من ذلك. ساعتها، علشان تقدر تواصل حياتك، ب تستدعى الناس اللى قبلتهم، وما شفتش منهم ما يسووك وينووك، رغم إنه توافر لديهم فرص كثيرة لـ الأذى، ف تقول: لا، فيها والله ناس ولاد ناس، إحنا بس يمكن ما اجتهدناش فى الوصول إليهم، ومن أولئك حاتم حافظ.

حاتم عرفته من سنوات طويلة جداً، وتقاطعت سبلنا أحياناً، خصوصاً لما كنت فى مؤسسة الأهرام، وتشاركنا الديسك المركزى فى الجريدة، وكان معانا زين خيرى، أو ب الأخرى أنا كنت معاهم، وكانت تلك الصحبة من دواعي الطمأنينة والسكينة والسرور والسعادة، وكان الشعور المسيطر على وقتها إنه البلد دى فيها بشر كثير هوى لا تستقيم منهم ب قدرهم.

حاتم دكتور، عنده دكتوراه فى فلسفة الفنون، ومدرس ب المعهد العالى لـ الفنون المسرحية، وله تجارب فى الكتابة، وناقذ قدير،



يعنى مش كل ميزته إنه رجل طيب، لأ، عنده إنتاج هائل، وكتب مجموعات قصصية بدعية، وله منهج فى الكتابة والإبداع والتفكير، ومعرفة عظيمة ب دقائق اللغة، وكنت أمتنى أقرا له أضعاف ما كتب.

إنما الفكرة فى الاتساق والحرص عليه، أذكر تجربته فى رئاسة تحرير مجلة الفنون، ومحاولته اكتشاف كتاب ومفكرين، وتبنيه ل حالة ثقافية أمتنى لها إنها تتحفظ وتُتسجل، كما أذكر له معارك كثير كان فى غنى عنها، ل مقاومة ما يراه قضاة وقلة قيمة، والاحتفاء ب الرداة خصوصاً أيام معرض الكتاب. أنا شخصياً اختلفت معاه وقتها، وكانت لنا مساجلات، ورغم ما يبدو اختلافاً بيننا فى زاوية تناول الموضوع، لكننى شمنت له، وما زلت أتمن، إنه منفعِل ب موضوع، ويبدل له من جهده ووقته، رغم إنه لا ناقة له ولا جمل، فى وقت ب أشوف معظم الناس لا تنطق إلا عن الهوى، والرغبة فى الاستفادة الوقتية، ولو فائدة بسيطة ما تستاهلش.

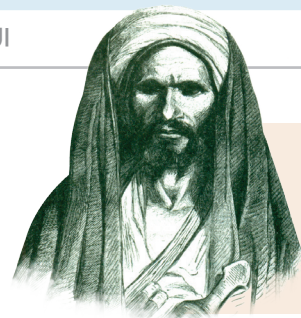
من أكثر الحاجات اللى تشاركنا فيها أيام الديسك، تأملات فى استخدام بشر المفروض إنه صحفيين، يعنى مكملين تعليمهم مبدئياً، ل اللغة، وإزاي إنه فيه افتقاد ل أدنى قدر من الحساسية تجاهها، الموضوع مش قواعد نحو وصرف وإملاء ب قدر ما هو فهم ل الحياة.

كنا ب نجمع الحاجات الغريبة اللى ب نشوفها، ولا يراه القارئ









فى الرواية ثمة مزج سلس وطريف  
بين ما هو فانتازى وما هو تاريخى

## الحشاشين

دعوة الصباح اتخذت مع الوقت  
طابع ادعاء نبوة كاملاً



# الشیطان الأكبر

## كيف وصف أحمد خالد توفيق حسن الصباح؟



أما من مراحل استقطاب أفراد الجماعة  
فهي سبعة: الخطوة الأولى هي التفرس في  
إمكانية أن يكون الفرد صالحاً للانضمام  
للجماعة، والخطوة الثانية التأنيس أى  
الجلوس في دار التابع المستهدف وسرد  
الغرائب والطرائف له، والخطوة الثالثة هي  
التشكيك في الأفكار الراسخة عنده بدعوى  
الإصلاح، أما الخطوة الرابعة فهي التعليق  
أى التوقف عن زيارة الفرد والاختفاء عنه  
لفترة حتى تأتى الخطوات الثلاثة الأخيرة  
لأخذ العهد من التابع بالطاعة، وإقناعه  
بأنها دعوة الحق التي عليه أن يكون مستعداً  
لموت من أجلها.

تشير الرواية إلى أن دعوة الصباح اتخذت  
مع الوقت طابع ادعاء نبوة كاملاً وأحياناً  
ادعاء الألوهية، وذلك بعد أن أسس الصباح  
لنظام محكم ومعتقد يأتي هو على رأسه  
ويليه كبار الدعاة فالدعاة، ومن بعدهم  
الرفاق فالفداوية، ثم اللاصقون فالعاديون.  
ومن ضمن آليات الصباح في إحكام  
سيطرته على تابعيه حسماً جاء في  
الرواية كان استخدم الحشيش على نطاق  
واسع بجرعات عالية بدرجة تجعل التابعين  
عموماً والفداوية خصوصاً في شبه غيبوبة  
يصدقون فيها كل ما يقال ويلبسونه  
ويعيشونه، انذاك ينقلون إلى الحديقة  
الزائرة وهناك يتعهم بأن هذه هي الجنة.

### الجانب الفانتازى

تتناول الفانتازيا مع التاريخ في الرواية،  
فإن كان الأصدقاء الثلاثة ومآلاتهم المسود  
بعضها البطلة قد جاءت من رحم التاريخ،  
فإن البطلة عبير من وحي الخيال الذي  
يقيم بينها وبين الشاعر عمر الخيام علاقة  
حميمة ووطيدة تجعلها تذهب للانتقام  
من قاتله حسن الصباح في قلعته. هنا  
تحضر رباعيات الخيام محققة لكن واقعة  
قتله المتخيلة تفتح الباب لنسج الحقيقى  
بالتخيل في الرواية، وتلك هي الحيلة التي  
اتباعها المؤلف ليجعل «عبير» تصل إلى قلعة  
الموت وتروى عنها وعن صاحبها ونهايته  
التي جاءت قدرية بدون تدخل منها مع  
ذلك.

لا يهدف أحمد خالد توفيق في هذه  
الرواية أو في بعض الروايات الأخرى من  
سلسلة «فانتازيا» إلى تقديم رواية تاريخية  
بالشكل المتعارف عليه، ولكن هذه السلسلة  
موجهة بصورة أساسية للنشء، ومن ثم  
فالأحداث التاريخية تقدم باعتبارها  
إطاراً وأفكاراً عامة تمكن المطلع عليها من  
بلورة الاهتمام بتلك الحقبه وشخصوها  
والانطلاق فيها بعد نحو أعمال أخرى أكثر  
تعمقاً واهتماماً بسرد التفاصيل والوقوف  
على حقيقتها.

حسن الصباح  
كان يواجه  
العالم الخارجى  
بابتسامة  
دبلوماسية لزجة  
ثقيلة الوطء



زعيم  
«الحشاشين»  
استخدم  
الحشيش على  
نطاق واسع  
بجرعات عالية

### الأحداث العامة

يصر توفيق في الرواية على عدد من  
الأحداث الرئيسية في تلك الفترة، فيعد  
أن صار «نظام الدين» «نظام الملك، وزيراً،  
يقرر الصباح والخيام الذهاب إلى أصفهان  
لتحقيق العهد، لكن نفوذ الصباح لدى  
ملك شاه كان يقوى يوماً تلو الآخر إلى حد  
بدا معه وكان «الطوسى» قد سمح للأففى  
أن تبيت في داره، فيقبل للصباح المؤامرات  
التي تدفعه للفرار إلى مصر، وهناك كانت  
فرسته في الرهان على الخليفة نزار  
ومحاربة بدر الدين الجمالى في مسعاه  
المؤيد للدين المستعصم، وحين  
تولى المستعصم وقتل نزار كانت هذه هي  
الفرصة السانحة للصباح كي يتبنى قضية  
ما، إذ كان «بحاجة إلى النفوذ والسلطة،  
لكن الناس لا يمتحان النفوذ والسلطة من  
دون قضية، وقضية اليوم هي مصرع نزار».  
فهو لم يكن يبالي كثيراً بنزار ولا من يحكم  
مصر، لكنه كان يبحث عن قضية، يبحث  
عن فتنة».

جاء ذلك يُعتقل الصباح لكنه يفر إلى  
الشام ثم إلى شمال إيران حيث قلعة الموت،  
فهناك ظل يدعو الناس إلى الانتفاذ حوله  
ومبايعه نزار خليفة مدعياً أنه نائب الإمام  
القتيل ويتكلم بلسانه، وأنه معصوم وكل  
ما يقوله صحيح وكل شيء يعرفه وكل سر  
يستطيع أن يتنذ إلى خفاياه.  
تصف الرواية الصباح مرة أخرى بأنه  
«من الطراز الذي يبقى أفكاره لنفسه، هو  
فقط يواجه العالم الخارجى بابتسامة  
دبلوماسية لزجة ثقيلة الوطء»، وأن له  
حاجبين فارسين متصلين وعينين ثاقبتين  
تعطياناه طابعاً شبه شيطاني.  
ويوضح توفيق في روايته الكيفية التي  
استولى بها الصباح على القلعة بالكشف  
عن خداعه لأمبرها، فيعد أن طلب منه أن  
يبيعه مقدار سلخ بقره من أرض القلعة  
كى يعيش عليها، قام بالاستيلاء عليها  
وطرد الأمير وجعل من رجالها حراسه  
الشخصيين.

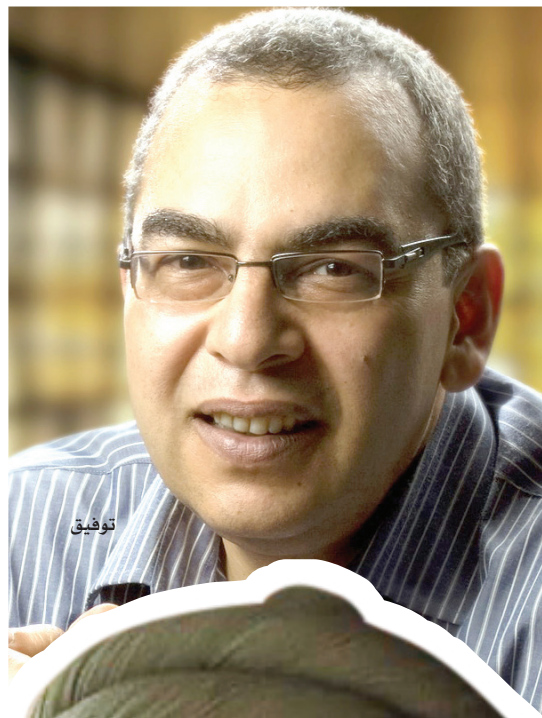
### تعليمات الصباح واستقطابه للتابعين

تلقى الرواية الضوء على الخطط  
الشيطانية التي كان الصباح يتبعها لضمان  
ولاء التابعين والاستقطاب المزيد منهم، فمن  
تعليماته «إلى تابعه ألا يتكلموا في بيت به  
سراج، لأن البيت الذي به سراج مضى ليلاً  
به عالم أو فقير أو باحث، وهم من يريد  
الابتعاد عنهم لأنهم يرمقونه بالجدل، فهو  
لا يحتاج إلا العامة الجاهلاء الذين يقبلون  
الأمر على علاقتها».

### من هنا نبدأ

في شوارع «نيسابور»، تنزل عبير إلى  
سوق القوارير، وهناك تتعرض لخطر  
داهم لكنها تنجو منه بمساعدة الشاعر  
والفيلسوف عمر الخيام؛ واحد من  
الأصدقاء الثلاثة «نظام الملك» الذي  
يطلق عليه «نظام الدين» بالرواية، وحسن  
الصباح مؤسس فرقة النزارية أو جماعة  
الحشاشين، والشاعر «عمر الخيام» لتبدأ  
الرواية بتلمس صفات كل منهما وطبيعة  
العلاقة التي جمعت بينهما.  
تصف «عبير» الصباح ونظام الملك  
بالداهيتين، فحسن الصباح «كان رهيباً  
وأضاف إلى رهبته ذلك الرداء الأسود الذي  
يكسو كتفيه ويتدلى للأرض ليحيطه  
ببقعة سوداء مهيبه، وحاجباه الفارسيان  
المتصلان كانا يضيفان على عينيه  
القويتين مسحة شبه شيطانية»، أما  
«نظام الدين» فهو أكثرهم سلطة حسماً  
رأته، فيما وصفت عمر الخيام بأنه يعانى  
من اضطراب شديد في عواطفه، مع ميل  
للاكتئاب يتأرجح مع ابتهاج خارق للعادة..  
كان متشككاً يحقتر الحياة لكن يتفهم  
فيها يعنف، رغباً في الموت لكنه يخشاه،  
مولعاً بتعذيب نفسه كلما رأى الجمال  
أو استشعر السعادة، هذا المزاج الأسود  
لم يمنح عمر الخيار من أن يكون طبيياً  
بارعاً وفلكياً حصيفاً وخبيراً بالرياضيات  
والفلسفة.

تقف البطلة على العلاقة الحميمة  
التي جمعت بين الثلاثة، فقد تلقوا العلم  
في نيسابور في المدارس النظامية، ما  
يعادل الأزهر في ذلك الوقت، وجمع بينهم  
عهد بالإبقاء على الصداقة وأن من يصل  
لتحقيق طموحاته عليه أن يجذب الاثنين  
الأخرين معه.  
ومع أن الأحداث تبدأ في هذه السوق  
فإن الرواية لا تخضع للترتيب ذاته، إذ تبدأ  
من ما قبل النهاية حيث عبير في قلعة  
الموت متخفية في هيئة أحد جنود الصباح  
وعازمة على قتله إلا أن أمرها يتكشف  
لصباح بسهولة. هذا السرد  
الأقرب للدائرى يضفى  
مساحة من التشويق على  
الرواية، وهو ما يسعى  
المؤلف لتحقيقه  
بالاعتماد على أدوات  
أخرى من أهمها توظيف  
الفانتازيا في التعاطى  
مع التاريخ، والتعليقات  
الطريفة والمقاربات بين  
العالم الحديث وذلك الزمن  
التاريخى.



توفيق



كريم

لم تكن جرائم جماعة الحشاشين  
ومؤسسها حسن الصباح غائبة عن اهتمام  
الكاتب الأكثر شعبية أحمد خالد توفيق،  
ففى واحدة من سلسلة روايات «فانتازيا»،  
الشهيرة يسمح لبطلته «عبير عبدالرحمن»،  
بالولوج إلى عالم الحشاشين وخطتهم  
المحكمة لإحكام قبضتهم على العالم.  
بطلة رواية «قلعة السفاحين» هي العنصر  
المشارك في سلسلة روايات «فانتازيا»،  
فهي حسبما يقدمها توفيق بالعدد الأول  
من السلسلة، شخصية عادية إلى حد  
غير مسبوق، إلى حد يخطف الأبصار، إنها  
الشخص الذي تنمى ألا تكونه حين نتحدث  
عن أنفسنا، هذه الفتاة العادية تعيش  
مغامرات غير عادية عبر جهاز يخترعه  
زوجها خبير الكمبيوتر يتيح الانتقال إلى  
مغامرات متكاملة مع أشخاص وأزمنة  
ماضية.

تنقل عبير في رواية «قلعة السفاحين»،  
إلى قلعة الموت حيث تسكن جماعة  
الحشاشين ومؤسسها، ونظراً لأن  
المغامرة مع «الحشاشين» لا تحمل المتعة  
وإنما تثير الذعر، فإنها تأتى بالخطأ؛ خلل  
في الجهاز الذي اخترعه الزوج يؤدى  
إلى إرسالها إلى عالم يدور حول بغداد  
وخراسان ونيسابور وفيه مآذن وخلفاء  
وقضاة وعمس، عالم قاس ومتوحش  
فى فترة مليئة بالنزاعات والقتال؛ عصر  
الدولة الفاطمية، وفى إيران حيث يحكم  
الملوك السلاجقة البلاد.

كعادة توفيق فى روايات هذه السلسلة،  
ثمة مزج سلس وطريف بين ما هو فانتازى  
وما هو تاريخى أو حقيقى، فالمسار الذي  
تسلكه البطلة عبير وكل تحركاتها ومعاركها  
وأفكارها هي من وحي الخيال وهو ما  
قد ينقطع مع وقائع تاريخية فيضفى عليها  
صبغة فانتازية غير أن المؤلف حين يخلط  
الواقع بما هو فانتازى يوضح مواضع  
المزج وحين يسرد وقائع تاريخية يذكر  
المصادر التي كان منها على سبيل المثال  
كتاب ماركو بولو وكتاب مذاهب غريبة  
لكامل زهيرى، فما هي القصة  
التي نسجها توفيق حول تلك  
الفترة المضطربة والشخصية  
الأكثر غموضاً ودموية: حسن  
الصباح؟

### حنان عقيل



## فرقة الحشاشين تأسست بعد الصراع بين المستعلى بالله ونزار

الحشاشين ضمت مجموعة من القتلة باسم الدين فى الشرق الأوسط



# الحشاشين



على الرغم من أن وقائعها وحوادثها ارتبطت بالبلاد العربية والإسلامية، تخطى تأثير فرقة الحشاشين تلك الحدود منتقلا إلى الآفاق العالمية، باعتبارها واحدة من الفرق التأسيسية، لفكرة الاغتيالات السياسية تحت نزعات دينية، وتوسعت الدراسات البحثية الأجنبية، فى دراسة المناهج التى تأسست عليها الفرقة، من ناحية العقيدة المذهبية والدوافع الدينية، إلى جانب كيفية تجنيدها عناصرها، وخططها فى السيطرة على الأتباع والترويج لأفكارها. وحاولت تلك الدراسات معرفة الآليات، التى كانت تعمل وفقها تلك الجماعة، خاصة مع انتشار ظواهر العنف القائم على الدين، خلال العقود الأخيرة، وباعتبار أنها الملمح الأول والأب الروحى لجماعات الإسلام السياسى المتطرفة، وهى الدراسات التى تستعرضها «حرف» خلال السطور التالية.

### هالة أمين

# جدود «الإخوان»

## «الحشاشين» فى الروايات الغربية:

## أصل الإسلام السياسى.. والفرقة الأكثر رعبًا



### 1 الاغتيالات استراتيجة للإخضاع

فى فبراير من العام الجارى، نشرت قناة «ديسكفرى» البريطانية، على موقعها الإلكتروني، دراسة تحمل عنوان «الحشاشين: جذور طائفة سرية»، حاولت الدخول فى أعماق تلك الجماعة، التى زعمت الخوف والرعب فى قلوب خصومها، عن طريق شن الهجمات واغتيال القادة المؤثرين. وكشفت الدراسة عن أن قصة «الحشاشين»، انتشرت بشكل كبير فى أوروبا، لدرجة أن اسمها، صار مصطلحا معروفا فى اللغة الإنجليزية، تحت اسم «Assassin»، أو «القاتل المحترف»، وهو مصطلح يطلق بشكل أكبر، على الشخص الذى يقتل لأسباب سياسية أو دينية، أو أى أسباب تغذيها السلطة.

ولفتت إلى أن قصة «الحشاشين»، تعود إلى عام ١٠٩٠ بعد الميلاد، حيث تأسست الفرقة بعد صراع على الحكم بين الشقيقين المستعلى بالله ونزار، ولدى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، ودب الشقاق داخل البيت الشيعى حينها وتوزعت الولاءات بين الذين دعموا الأمير نزار الذى قتل فى هذا الصراع، والذين فروا إلى بلاد فارس، وبين شقيقه المستعلى الذى أصبح الخليفة.

وتحت قيادة حسن الصباح الذى سُمى بأبواالإرهاب الحديث، أنشأ النزاريون معقلا لهم فى قلعة «لموت»، فى شمال إيران، ووجدت هذه المجموعة الصغيرة، نفسها مضطهدة ومحاطة بأعداء أقوى منها بكثير، وبسبب عدم قدرتها على التعامل مباشرة مع خصومها الأقوياء فى ساحة المعركة، اختار حسن الصباح نهجا أكثر استراتيجيية، وهو استهداف قادة الجيوش وليس الجيوش نفسها. ونفذت «الحشاشين»، على مدار السنوات الثلاثمائة التالية، عمليات اغتيال للشخصيات بارزة، ولم تكن هذه مهمة تافهة، بل تطلبت كثيرا من المهارة والتدريب، علاوة على ذلك، كانت السمة المميزة لعمليات القتل، هى أنها كانت علنية بقدر الإمكان، لزرع أقصى قدر من الخوف فى النفوس.

ووفقا للدراسة البريطانية، لا يُعتبر «الحشاشين»، أول من نفذت اغتيالات سياسية، لكن يُعتقد أنها أول من استخدمها بشكل استراتيجى، واكتسب عناصرها سمعة باعتبارهم قتلتي وجواسيس ومقاتلين ماهرين، وكان منهم عملاء يتظاهرون بأنهم متصوفون، وبعضهم تسلل إلى صفوف الحرس الملكى،

ونفذوا عمليات القتل الأكثر شهرة، ومنها اغتيال وزيرالدولة السلجوقيةنظام الملك،والخليفة الفاطمى الأمر بحاكم الله فى القاهرة، وكوفراد دى موفنيزرا ملك بيت المقدس فى عهد الصليبيين. ومن القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر، ارتبطت «الحشاشين»، بسلسلة من عمليات القتل، التى كانت غالبا ما تنتهى بموت منفذيه، وهذا أكسبهم سمعة الالتزام الصارم بقضيتهم، ولم يكن الاغتيال التكتيك الوحيد لهم، بل التجسس والاستيلاء على المواقع الاستراتيجية، استخدموا أيضا آليات تجنيد الأتباع لتوسيع نفوذهم، وفى ذروة وجودهم، كانت لديهم سلسلة من القلاع الجبلية شديدة التحصين فى إيران وسوريا.

وأشارت الدراسة إلى أن قوة «الحشاشين»، بدأت فى التراجع فى أواخر القرن الثالث عشر، فى مواجهة تحديات كبيرة من السلطان المملوكى ركن الدين بيبرس، والمغول، وسقطت معاقلمهم واحدا تلو الآخر، وتضاءل نفوذهم السياسى والدينى، وزاد ذلك التضاؤل فى القرن الرابع عشر، مع الانقسام بين الإسماعيليين النزاريين السوريين والفرس.

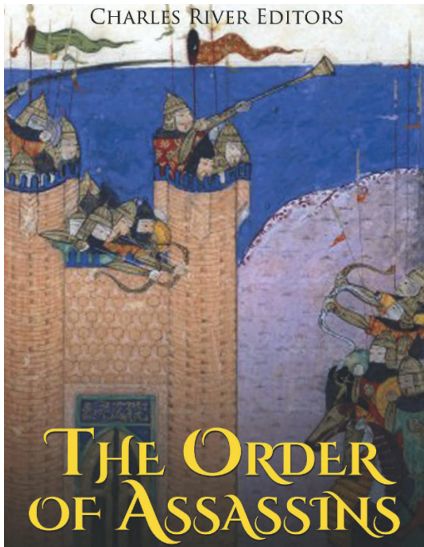
### 2 الرعب منهج تأسيسى

نشر جيمس جيلمر، الباحث فى جامعة «كارديف»، البريطانية، فى عام ٢٠١٥، دراسة حملت عنوان «دماء ورمال: صعود وسقوط الحشاشين»، وصاغها بطريقة أدبية، تحكى قصة الجماعة ومؤسسها. وقال «جيلمر»، فى مقدمة الدراسة: «كان يوما صيفيا هادئا، عندما استقبل المهدي، أمير قلعة ألموت، معلما متواضعا على ما يبدو، وسرعان ما تبين أن هذا المعلم هو حسن الصباح، العقل المدبر لحركة دينية جديدة خطيرة،كانت اجتاحت بلاد فارس. عندما استدعى المهدي حراسه، ابتسم حسن، وأخبره بأنه لم تعد هناك حاجة لخدماته. لقد سقطت ألموت: لقد بدأ صعود الحشاشين..»

وتابع: «فى القرن الحادى عشر، كانت بلاد فارس، أرضا مقسمة بين الإسلام السننى والشيعى، حيث انقسم العالم الإسلامى بين السلطة السلجوقية السنية فى الشرق، والخلافة الشيعية تحت حكم الفاطميين فى شمال إفريقيا ومصر، وكانت سوريا منطقة حدودية متنازعا عليها بشدة بين الاثنين.. واكمل: «كان

حسن الصباح شابا درس ليصبح رجل دين، وأثناء انخراطه فى الدراسة، تحول للمذهب الإسماعيلى الشيعى، ثم غادر بلاد فارس للدراسة فى القاهرة فى سنة ١٠٧٨، وفى هذه الفترة، عين الخليفة المستنصر، بدر الدين الجمالى وزيرا للجيوش، وأصبح الحاكم الفعلى لبلاد، وكانت سياساته لا تعجب حسن الصباح، فسيخته وطرده من مصر، ليعود مرة أخرى لبلاد فارس ويؤسس طائفة جديدة، وواصل: «وعد حسن المتحولين إلى مذهب الإسماعيلى النزارى، بالجنة، وخدموا بمعرفته العميقة بالقرآن والفلسفة، وتمكن من الاستيلاء على قلعة ألموت، لأن العديد من حراسها تحولوا لمذهبه، واستطاع أن ينصب نفسه قائدا عليها، وذاع صيته فى بلاد فارس، وبث الرعب فى نفوس قادة الخلافة فى ذلك الوقت، عن طريق الاغتيالات المستمرة، واستمرت طائفته فى نشر الخوف وزرع بذور الفتنة.. واختتم «جيلمر» دراسته، بقوله: «فى النهاية مع توحيد السنة فى الشرق الأوسط، وإدراك المغول خطر جماعة «الحشاشين»، تم القضاء عليهم نهائيا».

كانوا يتناولون الحشيش قبل ارتكاب أعمال العنف باسم الدين، ولذلك أطلق عليهم «الحشاشين». وأشارت إلى أن «الحشاشين»، كانوا ماهرين جدا فى التنكر والتسلل، وعمليات القتل الدقيقة، وكانت قضيتهم ومناهجهم قائمة على أن القتل وسيلة أساسية للانتصار للدين، وشيء يضمن لهم مكانا فى الجنة بعد الموت. وأوضحت أنه على الرغم من أن تأثير الطائفة السياسى كان ضئيلا، وتم القضاء عليها فى عام ١٢٥٦، فإن «الحشاشين»، تركوا علامة نفسية عميقة على عصرهم، وفى العصر الحديث أيضا، حيث تتبنى الحركات المتطرفة وجماعات الإسلام السياسى نفس أيديولوجية الفرقة.



### 3 العنف باسم الإيمان

نشرت دار النشر الأكاديمية الأمريكية «ساج»، فى عام ٢٠٠٤، دراسة تحت عنوان «العنف باسم الإيمان: الإرهاب الدينى»، قالت فيها إن الإرهاب باسم الدين المستلهم من «الحشاشين»، أصبح هو النموذج السائد فى العصر الحديث. وأوضحت أن الإرهاب الدينى، أو ما سمته بالإرهاب المقدس، هو نوع من العنف السياسى، يحفز الاعتقاد المطلق بأن قوة دينوية أخرى، قد أجازت وأمرت بالإرهاب من أجل حكم العالم. وقالت إن الفرقة تأسست على منهج يسمى «مجد الإيمان»، ينص على أن الأفعال المرتكبة باسم الدين،

### 4 الخداع بالتنويم المغناطيسى

نشرت جامعة «أواشيتا» فى ولاية أركنساس الأمريكية، عام ٢٠٢٢، دراسة تحت عنوان «جواسيس وقتلة»، تحدثت فيها عن طائفة الحشاشين فى الشرق الأوسط، وجماعة «الشينوبى» أو «النينجا» فى اليابان، وتناولت أوجه التشابه بينهما كسفاحين وقتلة محترفين.

وقالت الدراسة الأمريكية، إن «الحشاشين»، ضمت مجموعة من القتلتي باسم الدين فى الشرق الأوسط، فى العصور الوسطى، والذين آمنوا بنسخة شيعية من العقيدة الإسلامية، لافتة إلى أن كلمة «قاتل»، فى اللغة الإنجليزية، مستنبطة فى الواقع من مصطلح «الحشاشين». وقالت إن أعضاء الفرقة كانوا يتناولون الحشيش الذى وصفته، بأنه شكل بدائى من «الماريجوانا»، واعتمد مؤسسها حسن الصباح فى بداية نشاطه، على السرية والتنظيم، لأنهم يشكلون أقلية فى المجتمع الإسلامى، إلا أنهم اعتقدوا أنهم قادرون على التغلب على الأغلبية، وفى نهاية المطاف على العالم كله، من خلال التنظيم، ولهذا الغاية أنشأوا عددا من الخلايا التى ارتكبت جرائم اغتيالات.

وزعمت أن المجتمع السرى لـ الحشاشين، كان لديه أفضل الكتب العلمية، وأعظم الأدوات الدراسية المتاحة لإيهار الطلاب والمجندين فى الفرقة، واستخدموا «تقنيات الإرباك»، لغسل أدمغة الأتباع، وكان «الصباح»، بالنسبة للأعضاء، هو من يملك مفاتيح المعرفة السرية والقوة الخفية، وكانت الوسائل التعليمية فى الجماعة، تشبه إلى حد كبير السحر واستحضار الأرواح، وتضمنت شكلا آخر من أشكال التنويم المغناطيسى، وتعليم الطلاب كيفية التأثير على الآخرين.

### 5 عقيدة القتل

كشفت مؤسسة سميثسونيان فى دراسة نشرت على مجلتيها الأكاديميه عام ٢٠٢٣، وتحمل اسم «عقيدة القتل»، أن لعبة الفيديو التى تحمل نفس الاسم، تعتبر تصورا أوروبيا لحسن الصباح وأتباعه من طائفة الحشاشين، وكانت القصة مصدر إلهام لسلسلة ألعاب الفيديو الشهيرة، والتى تدور بين جماعة من القتلتي ضد جماعة فرسان الهيكل، فى صراع على الإرادة الحرة يمتد لآلاف السنين.

ولفتت إلى أن سبب الهوس الأوروبي بـ الحشاشين، بدأ فى عام ١٢٩٥، عندما عاد التاجر والمستكشف الإيطالى ماركو بولو إلى مدينة فينيسيا، بعد أكثر من عقدين من السفر عبر آسيا، ووفق ما رآه فى رحلاته، حيث روى قصة تلك الطائفة.

وزعم أن زعيمها رجل عجوز فى الجبل، كان يستدرج الشباب إلى خدمته، بإعطائهم كميات وفيرة من الحشيش، وتسكينهم فى حدائق مزينة وملبنة بالفتيات الجميلات، وكان يخبرهم بأنهم قد اختبروا للتو، الجنة التى تنتظرهم فى الحياة الآخرة إذا اتبعوا أوامره، وكان هؤلاء الشباب يتعهدون بالدفاع عن زعيمهم بأى ثمن.

وقال «بولو»، فى كتابه «أسطورة الفردوس»: «لقد اعتبر الجميع أنفسهم سعداء، بتلقى أوامر سيدهم، وكانوا مستعدين للموت فى خدمته، متابعا: «كانت نتيجة هذا النظام، أنه عندما يشعرون بالاستياء من قادة سياسيين، يتم إعدامهم على يد هؤلاء القتلتي».



### 6 الإرهابيون الأوائل

فى نوفمبر ٢٠٠٢، نشر برنارد لويس المؤرخ البريطانى الأمريكى، المتخصص فى «علاقة الإسلام والغرب»، كتابه «الحشاشين: طائفة متطرفة فى الإسلام»، والذى وصف فيه الفرقة بالإرهابيين الأوائل فى التاريخ.

وقال «لويس»: «كانت «الحشاشين»، أول مجموعة دينية، تستخدم القتل بشكل منهجى، كسلاح سياسى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، وكان هدفها الإطاحة بالنظام السننى القائم فى الإسلام، واستبداله بنظامهم الخاص، لقد أزهبوا أعداءهم بسلسلة من عمليات القتل الدرامية لزعماء إسلاميين، وكذلك لبعض الصليبيين».

وتتبع المؤلف فى كتابه، تاريخ هذه الجماعة المتطرفة، وتعاليمها وتأثيرها على أفكار جماعات الإسلام السياسى المتعصبة، حيث أصبحت «الحشاشين»، مرادفا للقتلة ذوى الدوافع السياسية والملمة لمنفذى الهجمات الإرهابية.







أفق جديد في عالم الرواية يصنعه الكاتب المغربي الشاب عيسى ناصري، عبر روايته، «الفسيفسائي» الصادر عن دار مسكيلياني، للنشر، والتي حقق من خلالها طفرتين، الأولى على مستوى البناء الروائي والسردى، والثانية على مستوى الحكاية نفسها، وهى الحالة التي أهلتها لتكون ضمن القائمة القصيرة لجائزة الرواية العربية، البوكر، التي أعلنت منتصف فبراير الماضى، بين 6 روايات أخرى.

ورأت أمانة جائزة، البوكر، أن رواية عيسى ناصري تستلهم من فن الفسيفساء موضوعاً وبناءً، من خلال أحداث تقع في مدينة، ويليلى، المغربية، بما تضمه من مواقع رومانية أثرية، تقع ضمن 3 مخطوطات.. وعيسى ناصري روائي وقاص مغربي من مواليد، مريرت، في المغرب، عام 1985، ويعمل أستاذ لغة عربية بالسلك الثانوي التأهيلي، وحصل على الماجستير في التنمية اللغوية وقضايا المصطلح الأدبي، من جامعة سيدى محمد بن عبد الله في مدينة فاس، وصدر له: «مسح ذوات الناب»، مجموعة قصصية، في 2016، وعمى الأطياف، مجموعة قصصية، 2017، ثم رواية، «الفسيفسائي»، في 2023.

عن روايته، «الفسيفسائي»، ومشاريعه المقبلة، وقضية الجوائز، والحراك الذي ظهر إثر انتشارها، وعن عمله في التدريس وأثره على تجربته الإبداعية، وغيرها، كان لـ«صرف» هذا الحوار مع الكاتب المغربي عيسى ناصري.

## نضال ممدوح

# الفسيفسائي

## الروائي والقاص المغربي عيسى ناصري: نجيب محفوظ فتح عيني على سحر الواقعية

■ تفتتح «الفسيفسائي» بجريمة قتل لكن بعد ذلك تتشعب لـ ٣ حكايات بنظام «الحكاية التوليدية»، على غرار «ألف ليلة وليلة»... لماذا تبنت هذا البناء الروائي؟

– العنصر البوليسى في الرواية يحضر في مقطعي «المستهل» و«النهاية»، كإطار للوحة الروائية المؤلفة من ٣ مخطوطات، الأولى عبارة عن رواية تاريخية بعنوان «الفتى المورى»، وكتبتها «جواد الأطلسي»، والثانية بعنوان «ليالى ويليلى»، وهى مليئة بلمحات فنتازية، أما الثالثة فهى عبارة عن مذكرات كتبها الطيبية النفسية نوال الهناوى، عن شخصية «تهامى» الذى كتب «ملحق الفسيفسائي».

وتتمثل التشابكات بين هذه المخطوطات فى أن كل رواية تنمخض عن رواية أخرى. إذ نجد كتاب هذه الروايات يحكون عن بعضهم، بحيث إن كل كاتب يخرج بروايته، من ضلب كاتب آخر. فتهامى الإسماعيلى، يكتب فى «ملحق الفسيفسائي»، عن «أريادنا نويل»، والأخيرة تكتب عن «جواد الأطلسي»، فى «ليالى ويليلى»، و«جواد الأطلسي» يكتب «الفتى المورى». الأمر فى النهاية أشبه بدمية «الماتريوشكا» الروسية، التى تختزن فى بطنها دمي أخرى، متفاوتة الحجم ومختلفة الملامح والنقوش.

■ «الفسيفسائي» روياتك الأولى بعد مجموعتين قصصيتين.. إلى أيهما تميل أكثر القصة أم الرواية؟ وأيهما يتيح لك المساحة لطرح أفكارك ورؤاك عن العالم؟

– الكتابة عندي مغامرة، بحث مستمر ومحاولة لاستكشاف العالم، وأنا الآن بصدد اكتشافه مع القارئ بالرواية، وهذا لا يعنى أنني هجرت القصة، فقد أعود إليها بعد هذه الرواية، بحيث لا أفضلية لدى لجنس سردى على آخر، ذلك أننى دائماً ما أنطلق من تصور أن العالم غامض ومتعدد وملتبس، لذا أصور امتداد هذا العالم واتساعه بالرواية، وألتقط اختزاله وكثافته بالقصة القصيرة.

■ وصلت «الفسيفسائي» لقائمة البوكر القصيرة. إلى أي مدى تؤثر الجوائز على الكاتب وإبداعه؟

– فى إجاباتي عن سؤال الجوائز، دائماً ما أقول إن

## كيف ترى مستقبل الكتاب الورقى فى ظل المنافسة التى يلاقيها؟

– الكتاب الورقى لا يتزحزح عن عرشه مهما تعددت الوسائط الإلكترونية، التى أراها تخدم الكتاب أكثر مما تضر به، فهى تروّج الكتاب الورقى أكثر مما تزاحمه، وتسهم فى التعريف به ونشره على نطاق واسع، وتشجع على تداوله، وحقى مواقع القراءة وتطبيقاتها، ومصنات التواصل الاجتماعى، تسهم فى تكريس عادة القراءة، وإعطاء الأولوية للكتاب الورقى.



الجائزة أداة لا غاية، فالكاتب عليه أن يتخذ الجائزة وسيلة للتعزيز وتحقيق الانتشار لعمله، هذا هو التأثير الذى من المفترض أن يكون للجائزة. أما إن كانت غاية فى ذاتها، فحالما يتحصل عليها الكاتب، قد يحدث له انطفاء وفتر وتراجع فى الإبداع.

■ ذكرت أن «الفسيفسائي» جاءت متشظية كحال الواقع المعيشى، إلى أي مدى رصدت هذا التشظى ولامحه؟

– «الفسيفسائي» يمكن تصنيفها ضمن اتجاه الرواية الجديدة الباحثة عن شكل جديد يستوعب غموض العالم وفوضاه، وتنافر ظواهره وتناقضها، لذا توسلت بجماليات التفكير والتشظى فى السرد، إذ عمدت إلى تجزئ الرواية إلى ٣ مخطوطات، إضافة إلى ملحق، وكل مخطوطة قطعتها إلى فصول، وكل فصل يضم وحدات نصية صغيرة.

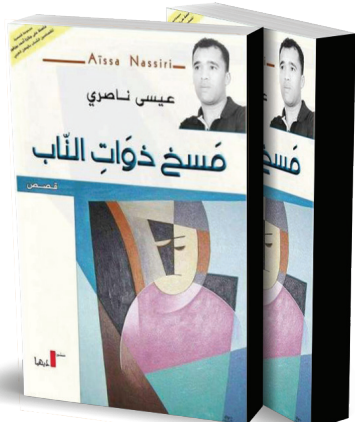
هذا التشظى فى المبنى يقابله تشظى فى المعنى، وفى العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين شخصيات الرواية، فجعل العلاقات والصائر تنتهى غالباً إلى الشتات والتهيه والضياغ: «إخفاء أيدمون» – طلاق تهامى الإسماعيلى – ذبول زهرة، مقتل أريادنا...، واعتماد جماليات التشظى يجعل القارئ فى موضع التساؤل عن مغزى تفكيك الوحدات النصية وتنافرها وتجاوزها، وعن علاقة ذلك بظواهر العالم التى تتصف بالغموض والفوضى، وبواقع الشخصيات التى تغالب الحيرة والشتات والتهيه.

جل الروايات التى ترشحها دور النشر لـ«البوكر» فيها شىء من التاريخ

أحلم بمجتمع يقرأ وتكثر فيه المكتبات وصالونات القراءة



«الفسيفسائي» تتكون من 3 مخطوطات تفرز كل منها رواية تتكامل مع الأخرى



الكتابة عندي محاولة لاستكشاف العالم.. والجوائز وسيلة وليست غاية

«البوكر»، اعتقد أن هذا راجع إلى تحمس الكتاب العرب لهذا النوع الروائي، الذى يصطاد التفاصيل المنسية، ويمنح مساحة لاشتياك التخيل الروائي بالتاريخ. ومن جانب التلقى فالروايات التاريخية لها جمهورها العريض الذى ينتظرها بشغف. ومن ثم يمكننى أن أقول إن جل الروايات التى ترشحها دور النشر لـ«البوكر»، فيها شىء من التاريخ، لذا من الطبيعى أن نرى فى قوائمها الأخيرة روايات تاريخية.

■ تعمل فى تدريس اللغة العربية، هل تحض طلابك على القراءة؟ وما مدى استجابتهم لذلك؟

– القراءة جزء من يومى، طقس روتينى اعتدته منذ الصغر، ومن الطبيعى أن أسريه إلى تلامذتى. وكان من بين أولوياتنا، نحن أساتذة «العربية»، رفع مستوى القراءة وتكريس عادة المطالعة، والنتيجة أن لمسا فى السنوات الأخيرة إقبالا كبيرا على القراءة، وثمة تلاميذ من مؤسستنا شارك فى «تحدى القراءة العربى»، بل منهم من بلغ مراحل متقدمة فى الإقصائيات الوطنية.

■ من من الكتاب المصريين المعاصرين والراجلين قرأت لهم؟ وهل تأثرت بأحدهم؟

– بدأت منذ الصغر بـ«المنفلوطى»، الذى تشربته لغته الجميلة، ثم نجيب محفوظ، وتعرفت عليه فى الثانوية عبر رائعته «بداية ونهاية»، وفتح عيني على سحر الأدب الواقعى، بعدما عرفت توفيق الحكيم عبر «عودة الروح»، ثم طه حسين من خلال روايته السيرية «الأيام»، لأقرأ فيما بعد لكل من يوسف إدريس وأحمد خالد توفيق ونوال السعداوى، وغيرهم، وكل واحد من هؤلاء ترك بصمته فى دافقتى وخيالى ولغتى.

■ من أقرب شخصياتك الأدبية إلى قلبك؟

– كل شخصياتى تسكننى، هم عالماتى الكبيرة المتناثرة فى قصصى وروايتى، لكن الأقرب منها إلى وجدانى شخصية «جواد الأطلسي»، التى خلعت عليه الكثير منى فى رواية «الفسيفسائي»، ولم أتردد أن ألبسته اسمى مقلوباً فى آخر الرواية، منحته اسم «ناصر العيسى».

■ ما الطغوس التى تحرس عليها فى الكتابة؟ هل لك عادات ثابتة لا تتغير؟

– ليست لدى طغوس ثابتة، يختلف الأمر حسب سياق الكتابة وظرفها وإملاءاتها. لكن على العموم أحتاج إلى عزلة وصفاء ذهنى، مع قهوة وموسيقى هادئة.

■ ما مشاريعك الإبداعية المقبلة؟

– أود أن أعود إلى مخطوطة رواية للاشتغال عليها، مع كتابة قصص من حين لآخر. ■ أخيراً.. ما الذى تحلم بتحقيقه على المستوى الإنسانى والإبداعى؟

– أحلم بمجتمع يقرأ، مجتمع تكثر فيه المكتبات وصالونات القراءة فى كل مدرسة أو مؤسسة أو بيت، مجتمع يرتقى بالكتاب ويكرّم فيه الكاتب.



# نصوص روائية غير منشورة لـ4 أدباء من المغرب



د. يسرى عبدالله

تتعدد مراكز إنتاج الثقافة العربية وتخلق فيما بينها حالة من التنوع الخلاق، وانحيازاتنا في «حرف»، جمالية ومعرفية بالأساس إلى كل ما يعزز ثقافتنا الوطنية، ويكرس للثقافة العربية في مشهد الثقافة في العالم. من هنا تأتي هذه المساحة لنتماس فيها مع الرواية المغربية في الآن وهنا، حيث تطل علينا مقاطع سردية من نصوص روائية غير منشورة لأربعة من الكتّاب والروائيين المغاربة، وهم: خالد ألقلي، والبشير الدامون، وفضيلة الوزاني، ويوسف كرماح. نجد فيها تباينات متعددة في صيغ الحكى، وطرائق السرد بين الروائيين الأربعة، وقد أسهم برحابة صدر، ومحبة تليق به وينا، الصديق العزيزى البلاغى الكبير والأكاديمي المغربي البارز الدكتور محمد مشبال في التواصل مع الكتّاب المذكورين.

في «العين»، ليوسف كرماح، حيث المكان مركزاً للسرد، و«العين» نداءة أخرى، عبر حضور متواتر للخيال الشعبي، من خلال الحكايات الشعبية الخرافية عن تلك المرأة التي تظهر وتختفى عند العين، والتي صارت حكاياتها مجالس لتخويف الصبية، ومن بينهم السارد البطل الذي يستذكر

مراتع الطفولة، ومن ورائها يستذكر تاريخ أولئك المنسيين في المكان. في المقطع السردى المنشور ستجد حكاية العين وتجلياتها داخل سيكولوجية بشر متعددين، مغاربة وأجانب، من الطفل إلى الجد كريميش إلى مالك المزعة مينيو الذي ترك إدارتها فيما بعد إلى جيرمان، وكلاهما حاصرته لعنة العين بعد أن سخر منها، وظن أن لا شيء هناك. إن جدل الواقعى والمخيل الشعبى النابع من حكايا المكان ذاته بنية مركزية هنا.

وفي «فتنة»، للروائي المغربي خالد ألقلي، ثمة معابنة لأجواء مركبة جامعة بين فتنة وعزوز، تستحضر فيها البطلة المركزية «صورة دوريان جراى»، ويوظف «ألقلي»، المتماس مع السينما عنوان رواية أوسكار وايلد، والفيلم الشهير الذى حمل العنوان ذاته في بنية الرواية، وفي المقطع السردى المنشور، ويلعب على استخدام الوظيفة التحليلية للسرد في الكشف عن الشاعر المركبة لبطلته الإشكالية «فتنة»، فضلاً عن الاستخدامات الدالة للغة، واتساع محيطها الدلالى، والمجارى، والبصرى.

وخالد ألقلي من الكتّاب الذين يعنون كثيراً بالتوصيفات النفسية للشخص، وهذا ما عاينته من قبل في خطابه النقدي عن روايته «خريف العصافير»، التي كانت من أهم النصوص التي تسائل التطرف في الرواية العربية الجديدة.

أما المقطع المنشور من رواية الكاتب الروائى والسيناريست البشير الدامون «في انتظار الأطباق الطائرة»، فتلوح أربع وحدات سردية: السارد البطل، وثلاث نساء: إحسان، ونعيمة، والأم، ويمثل التخيل الذاتى مركزاً للسرد، بدءاً من «طيف إحسان»، وشفافة نعيمة، العصبية على القضم، وضربة الأم وصراخها في وجه الذات الساردة، وبيزز تقنية الجملة المدهشة في المقطع، حيث يبنى جملته السردية هكذا «في الليل كنت أواجه ثلاثة وجوه نسائية: إحسان ونعيمة وأمى»، ويتناس البشير الدامون في بدء المقطع السردى مع الكتاب الشهير «الذين هبطوا من السماء». إن اللعب على الفضاء المكانى والمخيل النابع من صدها وأثره في الشخص ظل هاجساً للكاتب كما عاينت من قبل في نصه

نجد في النصوص تباينات متعددة في صيغ الحكى وطرائق السرد

المتع «أرض الدامع». وبلغت الانتباه في المقطع السردى المنشور من رواية «باب إفريقيا»، للكاتبة الروائية المغربية فضيلة الوزاني التهامى، هذا التدفق الحكائى الذى يهيمن على السرد، حيث الجمل التي تمنح من تقنية القص، والأقرب للطرق السريع، الذى يخلق حالة من التوتر الدرامى، والتشويق معاً، عبر حكاية الذات الساردة «الصبية التي تجد نفسها في ورطة حقيقية حيث مقتل أخيها الصغير بالخطأ»، وتمارس الكاتبة لعبة الاحتمال والمراوغة فيما يمكن أن تقوله للآب، وتستخدم الكاتبة في مقطعها الروائى تقنية الانتقال بين الضمائر، الذى يعيدك لآلية الالتفات البلاغى الكلاسيكية، حيث تبدأ الحكى بضمير المخاطب «تتمنين»، ثم تلجأ إلى ضمير المتكلم بحثاً عن بوح أشد ينسق والطرق السريع الذى أشرنا إليه.

هذا جانب من المشهد الروائى المغربى تقدمه هنا في «حرف»، إيماناً منا بالدور الثقافى والإبداعى الذى تلعبه الصحافة الثقافية والأدبية في مصر والعالم العربى فى الآن وهنا.



## مقطع من رواية باب إفريقيا

## باب إفريقيا



### فضيلة الوزاني التهامى

عشب طرى. امرأة قبالتى يظهر جسدها السمين أسود لفة الضوء، اللون الوحيد الذى التقطته حواسى كان أزرق غامقاً لقميص طويل ينتهى بقدمين كبيرتين محشوتين فى نعل: – كانت ملقاة فى الوحل. يصلنى صوت رجل مع نخنحة حمار. كنت بحاجة إلى أكثر من الماء الذى ترشه المرأة على وجهى. روائح خضار طرية تحفز حواسى: جزر ولنت وفجل، رائحة نفعان منعشة، تسرى فى عروق راسى، لسعات الأوراق تحت ذراعى. جؤنة خضراء تهتز يميناً ويساراً مع مشى الأتان التى كنت فوقها، الاهتزاز يصير أحياناً عنيفاً، يد صلبة تمسك بى حتى لا أقع، المنحدرات تجبره على الوقوف، كتنفى تؤلنى من وخز النباتات، عارية إلا من إزار صوف قفد وبره، أشد طرفه التماساً للدفء، وأستسلم لإيقاع مشى القافلة. أنام على أصوات ماشية وكلاب.

واصلت العدو، طويت تحت رجلى الأرض، والسواقى والمرتفعات والمنحدرات، وعندما توقفت أخيراً، بدا لى مرج يشجيرات الكينا والدفلى، وصلنى هدير البحر، أشعة الشمس خفّت حرارتها، وحرارتي ارتفعت، حتى خيل لى أنى أسمع صوت غليان الدم بعروقى، ارتشيت على حافة المرج، وممدت يدي إلى الماء التمس منه ما يصل حلقي الناشف، الزنايق البيضاء بدت لى طويلة، ساكنة، هادئة، قوية رغم صغرها، وكنت إزاءها منهكة. خيوط الشمس تغيب، أو هكذا بدت لى بين الأغصان، كنت أفقد إحساسى بما يحيطنى. أغمضت عيني على صورة الزنايق يحركها نسيم بارد بروائح مختلطة: زهور الدفلى، أعشاب مرة، ملوحة البحر، تراب موحل، ورائحة عرق ودم. عندما فتحتهما كان الظلام يتلاشى، والأصوات تجبرنى على أن أفتحهما لأراثنى محاطة بنسوة، إحداهن تحضن راسى، يد خشنه تنبعث منها رائحة

صاحب البارودة، الدائم الوقوف تحت شجرة الزيتون البرية. هو نفسه النصرانى صاحب الكلب المغدور، وربما كان صاحب هذا الجرو اللعين أيضاً. من أين خرج هذا الرجل؟ نظراته كانت تنفضنى، وعيناه غشيهما انقباض، وهما تحدقان إلى يدي، انتبهت، فرفعتها لأنظر إلى حيث ينظر. كانتا ملطختين بالدم الطرى، والبقع تنتشر على قميصى الطويل، الذى لا أعرف كيف صار لونه حينها. تراجعت إلى الوراء، ثم أطلقت ساقى للريح، لم أكن أعرف أية وجهة سأسلك. لم أعد أسمع النباح، بل دقات قلبى الذى حسبته سيخرج من صدرى. أبى وقد حمل بارودته وصوبها باتجاهى، ورأسى المشطور إلى نصفين، ونظرتنى الجامدة إلى السماء، وفمى المفتوح على قول يائس طار فى الهواء مع شظايا من رأسى: – أبى أنا لم أقتل الغالى.

أمام جثة صبي ريته بعينيها، ما كان عساى أن أفعل؟ لم أفكر، لم أنتظر، تركت كل شيء وانطلقت أعود فوق الأرض الرطبة، فوق الصخور، تخليت الجنود، كنت أريد أن أبعد عن المكان، عن خطيئتي، وأن أدفعها عنى. سأقول إنى لم أكن معه، ربما الجرو هو من بقر بطن أخى، ربما راع أخطأ الرمسى، سأقول أى شيء، لن أعترف برعونتى التى أوقعت الغالى على الوتد. كانت ربوة البلوط خالية إلا منى، وكان من الممكن أن أقول أى شيء، لكنى تسمرت وأنا أنظر إلى الرجل الذى كان يريت على وجه جواد حتى يهدأ، ربما ارتاع لنباح الكلب الشديد: كان هو نفسه، الإسباني، حارس الغابة،

## كتفى تؤلمنى من وخز النباتات عارية إلا من إزار صوف فقّد وبره

## مقطع من رواية فى انتظار الأطباق الطائرة

### البشير الدامون



تبرق ولا أطباقاً طائرة تومض، لكننى متأكد أننى رأيت سواها غامقاً. شلت حواسى قبل أن أعود أحس بشعاع من ضوء مشنت ينفذ إلى عيني، ألم يفتلك بعيني اليمنى، قبل أن يفتلك بفكى وبوجهى ويعينى اليسرى. كانت الطلعة عنيفة، وكانت الصدمة أعنف. أحسست بدوار وألم شديد. خفت أن أهاوى. اتكات على حاجز السطح حتى لا أسقط، وبعد أن تمكنت أن أعرف ما حل بى، وقبل أن أنتفض فى وجه نعيمة، وما إن فتحت بالكاد عيني حتى شاهدت أمى واقفة يسطح منزلنا تخنز فى بعينين ملتهبتين من الغضب، قبل أن نتحنى لتبتح عن حبة بطاطس كبيرة أخرى لتقذفنى بها، وهى تشتت وتنسب: – ابن الحرام. أغرب عن وجهى، إنك مطرود من الثانوية وتكذب على، وتسرق لى تقودى، وهما أنت تمارس المنكر أبها الأعرج المسلح، والله لو عدت إلى المنزل لقتلتك. انحتت أمى لتحمل حبة بطاطس أخرى لتقذفنى بها، بينما الآلام الناتجة عن الضربة الأولى تنخر عيني ووجهى ورأسى. قذفتنى بحبة البطاطس الثانية. استقرت الضربة فى ظهري، كأنها ضربة حجر. تابعتنى صوت أمى: – من اليوم أذهب لتبحث أين ستعيش أبها الكلب الأجرع الأعرج، والله لو دخلت منزلى لقتلتك.

سأحضر لك الدجاجة مهما كلفنى الأمر شرط أن تذيقينى من تفاحك

نزلت بصعوبة كبيرة طابقين من البناية الخربة. أتربة وأحجار ومسامير وقطع خشب تملأ المكان. تعب وضنى وجروح طالت ساقى ويدي وصدرى. لم يكن الصعود أقل خطورة من النزول، استقبلتنى نعيمة باسمه شاكرة وممتنة. قدمت لها الدجاجة وأنا منهك وطالبتها بحتى فى التفاح. – أريد تفاحك أينها النخلة المليحة. ضحكت بدلال، وهى تقرب صدرها منى، وتقول: – أشجار النخيل لا تثمر التفاح، لكن من أجلك سأصعب شجرة تفاح، إنك تستحق بستان تفاح... لكن لم يحن بعد موسم التفاح، تأكد أن لك فى عنق ديتاً طالما يحل موسم التفاح. صدمتنى جوابها. ربما كان قد ظهر الحزن جليلاً على وجهى حين بادرتنى: – لكن من حقا أن تأخذ بعض تفاحى الآن، بعضه فقط. اقتربت منى وابتعدت فى تدلل، ثم اقتربت منى بصدرها الكبير الناهد، ارتبكت، تخلصت، الشفاه قريبة من الشفاه، والصدر يلامس الصدر، من أين أبدا. مدت شفتى لأقطف بهدوء، التقت الشفتان. كدت أختنق من هدشة الفرح، ابتعدت نعيمة قليلاً عنى، مدت وجهى من جديد لأقطف. فأتنتنى تفاحة قوية، صلبة، جد صلبة مباشرة على عيني. كانت ضربة قوية... لطمعة شديدة. رهيب أن يحتويك الظلام ضربة واحدة، لم أشاهد نجومًا

## واظبت على صعودى على السطح

فى الليل كنت أواجه ثلاثة وجوه نسائية، إحسان ونعيمة وأمى. نذر منى النوم، انقلب على الفراش. طيف إحسان وجسد نعيمة لا يفارقانى، وبينهما يطل وجه أمى محاسباً ومعتاباً. افتح كتاب «الذين هبطوا من السماء»، التقى بالخلوقات الفضائية، إنهم ودودون. ياخذوننى ويرمون بى فى سحب من ورود. هناك إحسان تشم وردة ونعيمة تصنع مشموماً. أطير نحو إحسان ونعيمة، أود أن أقبض عليهما، تطير الفراشتان، أتوسل إلى المخلوقات الفضائية أن يمدونى بطاقة وقدرة لتطويع هاتين الفراشتين الهاربتين منى، وأن يجعلوا أمى عايشة لطيفة معى. فتحت نعيمة باب السطح، خفق قلبى بقوة، اقتربت من سطح بيتنا وصرخت ببعض الغنج تستغيث وتعلن لى أن إحدى دجاجاتها قد طارت وهوت إلى الطابق الأرضى للدار الخربة. رقص بين ضلوعى حماس بهيج، وأمل بأن أقضم تفاحها، وقلت لها متشجعاً: – سأحضر لك الدجاجة مهما كلفنى الأمر شرط أن تذيقينى من تفاحك. ابتسمت، هرف قلبى. حسبت كلماتها المزيئة بابتسامة واسعة قبولا لطيبى، بل وعداً صريحاً لتلبية التماسى، مما كان كافياً لى بأن أندبر حبلاً طويلاً وأربطه حول خصرى، وأثبت طرفه فى عمود بالسطح، وأشرع فى النزول إلى قعر الخرابة.







## مقطع من رواية العين

يوسف كرماح



وعمال المزرعة بأمر «العين». حاول كريميش بتؤدده المهود تنبيه السيد جيرمان بخطورة الأمر، كان قبل أن ينتقل إلى جوار اكواخ العمال قد سمع عن العين الكثير من الحكايات. لكن جيرمان لم يصدق خرافاتهم. شرذمة من الخمّاسة والرّاسة والمتخلفين لا يُعنى بتزهااتهم. قاده الفضول مُتسلّخاً بأفكار وعلوم عصر التنوير إلى منبع العين. امتلأ حصفانه الفضل وتقدم من الرّيوة بثقة عالية وخيّلاء. توغل في أجمة القصب العالي، ودار حول منبع العين، لم يجد شيئاً. كان يتوهم إن كانت حكايتهم صحيحة أنّه سيجد امرأة مثل حورية البحر مستلقية بين الطحالب أو في غار مثل أربيّة. لكنّه لم يجد لا مراتع ولا آثار حوافر ولا مغارة، ولم يسمع أي صوت من الألسان الغريبة التي حدّثوه بشأنها. فعاد مبتسماً ساخراً.

كثُر اللَّحْطُ حول العين، أكّد العمال المجاورون لها أنهم يرونها بين الحين والآخر قبيل الغروب في لمح البصر ثم تختفي. نغىرو NEGRO كما يحلو لمسيو إصراد مناداته تحقيراً، يُصرّ أن «العين» حق، وأنه شاهدها عن كثب في قلب الليل تخرج من القصب بلباس أبيض، وأنها كادت تسحره وتسكنه. عندما اقترب منه شيحها جثا على ركبتيه ورَكَع وهو يقرأ ما يحفظه من الدُّكُر، وظل على هذه الحال إلى أن أشرقت الشمس. لم يتحمل جيرمان هذه الحكاية. تسلّح بغروره وتنويره، ويندقيته هذه المرة.

كان الصبّ في أوجهه، وكان كلّ العمال نشطين، لدرجة تسمع أهازيجهم في الليل، حتّى إنّ الأهلّ يعزّون هذا النشاط إلى التأثير المسكر للعبن الذي يلهثموه بفراط. وكان الكل يتهامس بأن السيد جيرمان ذاهب لحفّته. في جو يتقاطع فيه الواقع بالخرافة، أوقدوا ناراً كبيرة في باحة اكواخهم التي تشبه إلى حد كبير في شكلها الدائري اكواخ الهنود الحُمْر، زعماً منهم أنّ النار تطرد الأسيّاح. من على التلةلقى اللهب بشعاعه على منبع العين، ويدات ظلالهم من الأعلى تتراقص على حافة العين كما لو كانوا أسيّاحاً. يترقبون من بعيد في انتظار ماذا سيحدث.

عندما وصل جيرمان إلى العين ساعة الأصيل، لم يجزّؤ أي من خدمه على الاقتراب من الأجمة. حتّى كلبه الوفي الذي يصطاد به الأرانب لم يجزّؤ على مرافقته. ثبت ينتظر خروجها حسب توجيهاتهم وأوصافهم. ولّما لم تخرج عند الغروب ولا بعده، توغل بين الحشائش وأغصان القصب الكثيف يتأبط بندقيته. انتظروه كثيراً لكنّه لم يُعِد. ولم يجزّؤ أحد على الاقتراب والبحث عنه، حتّى كريميش الذي كان يتحلّى بالقليل من الشجاعة، ومستعد للتضحية لم يجزّؤ. اجتمع كل عمال المزرعة وأخذوا ينادون عليه بصوت عالٍ. ولكنّهم لم يسمعوا سوى صدى أصواتهم يتردد. بات العمال يوقدون النار ويهلّلون في انتظار ظهوره طوال الليل بلا جدوى.

في الصباح وجده العمال مُغمى عليه عند حافة العين ووجهه مغمّج مرمياً على الحشائش العائمة على صفيحة الماء. حملوه على حصانه، لكن جنوناً غريباً استبد بالحصان فرماه من على ظهره وطارد الوهم بين خطوط الكروم بجنون. فحمله نغىرو وكريميش على ظهرهما بالتناوب إلى العريّة. أدرك الجميع حينها أنّ العين حق. حتّى مدام جيرمان، المرأة المثقفة والمتنورة، رابها منظر زوجها الموح، فاقداً للوعي كما لو كان في حالة صرع.



نم يا طويل  
اللسان  
سأقومُ بكيّ  
لسانك إن  
بقيت تناديني  
بكريميش

فقيه القرية هو الذي بناه، بتبرعات السُكّان المجاورين. ولكن الأسلاف يؤكّدون أنّ «جيرمان» مالك مزرعة العنب هو الذي أمر ببناء الضريح، بعد الحادثة الرهيبة التي كتبت عنها الصحف الأجنبية، وأشارت فضول الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين، حتّى إنّ خبراء جاءوا من خلف البحار لدراسة الظاهرة، ولكنّهم لم يفلحوا في فك شفرتها. خربشوا على جُداداتهم واعتبروا الأمر مجرّد هوسات ويدّع لا أساس لها، خاصة عندما عاينوا الموقع الذي لا يعدو أن يكون مجرّد خراب وقفر، واستجوبوا نفرّاً من الأهالي الذين تألّبوا على الباحثين ولم يفهموا ما يجري. إذ كانت تحوم شكوك ويخشون أن يحتكر جيرمان العين لِسقى كروم العنب ويحرم الأهالي من الانتفاع بمجرى العين.

على مَقَرّة من الضريح تتعرّش بيوت طينية متهالكة لعمال المزرعة. ما يزيد على عشرين بيتاً، كان قد أمر جيرمان ببنائها حتّى يسهل على العمال التنقل إلى «القرية». عشيرة تُكَنّى نسبة إلى مناطقها الثنائية التي تزحت منها، بقيت هذه الأنساب عالقة بهم حتّى عندما ضاقوا بتلك البيوت وانتسبوا إلى أهالي المنطقة، تزوجوا من المداشر المجاورة واشتروا أراضٍ رخيصة وربّوا المواشي وأصبحت المدافن تُسّع جثامينهم. لم تكن هناك عداءات قِبلية، فالمنطقة برُمّتها كانت في مطلع القرن الماضي نُكرة، خلاءً ممقّر تغشيه نباتات الشيع واليوم «النخيل القزم»، إلى أن اكتشف الأجانب المنطقة وحولوها من خلاء ممقّر إلى جنة، كيف؟ التاريخ أدري بكيف استولوا على الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة. استوردوا الجرارات الألمانية الأشبه بالديابات تُكَنّى «الشني»، وطوّعوا الأرض العندراء فأضحت بساطاً أخضر تفرشه كروم العنب وأشجار الليمون وحقول الذرة والقمح. وبدأت اليد العاملة الرخيصة تتقاطر على المزارع وتنبئ بيوتاً وأطنة بالقرب. المزرعة التي عُرفت باسم «جيرمان»، كانت في ملكية فرنسيّ يدعى «مينيو»، هو أوّل من رسم معالمها وطوّع أرضها الخلاء. وبعد تسع سنوات باعها لجيرمان الذي يقرّره بالنسب، ثم انتقل إلى خلاء قريب وطوّعه. كان مزارعاً ينفقه في حبوب القمح والذرة وتربية الخنازير، وكان يركّز في بحثه عن أرض القمح الخصبة، فيما جيرمان كان مزارع عنب، ينفقه في أنواع الكروم. ولكن لم يكن هذا هو السبب الأساس الذي دفع مينيو إلى تخليه عن المزرعة، فقد كان جزءً من مساحتها للشاسعة التي تقدر بعشرات الهكتارات صالحة لزراعة حبوب القمح والذرة.

كانت تأتيه في المنام وتأمّره بالمُغادرة. حدّزته مراراً، ولّما عنّت أصابته بلعنّتها. انتحرت زوجته الأولى، ربما أسفاً على التقاط «الزهر»، صورة أمام برج إيثل. ضاعت ماضيته بوباء الحنّى القلاعية، فتك الجراد بالمحصول كله، عندما تلبّدت السّماء بغيوم الجراد وآتى على الأخضر واليابس. تسلّلت الحشرات إلى المخازن وعانت بمخزون الطعام وقد هُدمت المنطقة بكارثة بيئة وإنسانية. كانت كوارث طبيعية ولكنها تزامنت مع لعنة العين. سداجة الأهالي عزّزت هذه اللعنة بترّهااتهم. تواترت عليه المَحَنّ والجوائح، خاصّة بعد انتحار زوجته التي كانت مدمنة كحول ومضطربة نفسياً، فاستكان لرجاحة تغير الحياة العينية. ابتعد القدر الكافي عن محيط العين واستولى على مساحة خصبة من الهكتارات وطوّع أحرارها.

عندما تولى السيد جيرمان إدارة المزرعة، أخبره «كريميش،

مرعونياً ويحاول النوم.

■ «هل هي جنية تقتلك بالناس؟ أنا لن أذهب إلى هناك. أنا ولد صالح جدتي. قولى لها ذلك أرجوك. اطلبى منها ألا تؤديني».

– «كفى، نم، لا تخف، سأخبرها أنك ولد صالح».

■ جدتي هل تعرفينها؟ هل التقيت بها يوماً؟ كيف هو شكلها؟ هل فعلاً لديها حوافر تيس؟

– «أخمد، هل ستنام أم سأنادي عليها؟»، يحشر مرة أخرى جسده الصغير في حضنها بقوة ويحاول النوم ولكن النوم لا يُطاوعه.

■ «كريميش، أنت أكيد التقيت بها؟».

– «نم يا طويل اللسان، سأقومُ بكيّ لسانك إن بقيت تناديني بكريميش».

كان الصبى ينام مع جدته: لأنها كانت متعلقة به، وهو أيضاً، ولأنها تحضّنه. في الصباح توقظه عندما تستيقظ، تأخذه في حضنها إلى كانون الكشيشية، تجهز وجبة الفطور لأنها تحب الفطور باكراً فيفطران قبل الجميع. كانت تظل أمه تتوعد بالويلات لكنّه لا ينام في بيتها. لم تكن تشمله بعاطفة. يخشى أن تخطفه بالليل «مولات العين»، فيهرع إلى حضن جدته لتحميه. لفرط أنه أحدث مُسرّاً يسلكه فأرّا إلى حضن جدته، حافى القدامين. عندما تضربه أمه تهرع جده لإنقاذه، خاصة عندما تكلفه بمراقبة حوش الدّجاج ويهجم النسر على الفراخ.

كانت العين لعنة القرية وتركتها في الآن نفسه، يكرّهُها الذين يتوهمون أنها أصابتهم بالعمى أو الغرق والخبل، ويتبرّك بها الذين يتوهمون أنها تشفى مرضاهم وتزوّج بناتهم وتقضى حاجتهم، يقدمون لها القرابين، شموع وسكر وأحياناً تبنّ وخيزر. لم يكن أحد يقوى على سرقة قرايينها. تبقى الشموع مضاعة من الشفق الأبيض إلى حدود منتصف الليل، تتراقص حتّى تذوب وتغطي جدران المبنى الطيني باللّذّخان الأسود. ولكن القرايين كانت تختفى، على الأرجح ليلة الخميس أو الجمعة. وحده العريف المسكون بالأرواح الشريرة يعرف سرّ اختفائها. يتردد كثيراً على الضريح يطوف بأجمة العين. يقضى أوقاتاً يلعلع بالجوار. لا خوف عليه، لم يعد له ما يخشى عليه. الوحيد الذي يملك جُرة أن يتوغل في الأجمة، وأن يعيث بقرايين الضريح، وأن يسبح في الصهريج ما طاب له. يقع ضريح العين عند رابية بالقرب من منبع الماء. بناء طيني متناهٍ لك، تُرّمه زوجة فقيه القرية

كل سنة عندما يتهاوى بفعل الأمطار. تظلله شجرة تين كبيرة، تُكَنّى «شجرة الحرام»، لأنها لا تنتج ثماراً. تعلّق عليها العذارى حجب رهيبة، لم يكن يقوى أيضا على فتحها أى أحد عدى العريف الذي يحاول فك طلاسمها ولكنه لا يفلح، وإن كان يفلح في إبطال تعازيمها برشها بأسيد حمض البوريك ورشها في مجرى مياه العين. وتظل زوجة الفقيه تتوعد بالويلات: «العريف، يكفيك ما بك من مُصّاب، ابتعد عن العين ولا

ستسحف بك».

لا أحد يذكر من بنى هذا الضريح الطيني، على الأرجح

كل من رآها يؤكّد أنه لمحا تترفل في دثار أبيض. تتخلق ساعة الأصيل بين سيقان القصب العالية. عند الغروب بالضبط، تخرج من أجمة كثيفة وتسير ببطء نحو منبع الماء «العين»، تقوم بجولة خفيفة تتفكّد الأحوال وتختفى، ونادراً ما تظهر. وكلما ظهرت تزرع الرُعب في أفئدة الأهالي. نذير شؤم. يخالون أنها تدبّر شروراً لأحد.

في زمن الأساطير والخرابة، عندما كان الطير والوحش سيد المنطقة، يُحكى أن العين كانت ملكة الربوع، بينابيعها الشافية وجنانها الخرافية. تؤمّ إليها المخلوقات للاستشفاء بمانها العذب والاستحمام في أحواضها. كانت تفضل الهدهد من بين جميع الطيور وكانت له أوكارٌ لا تحصي في مملكتها، الأمر الذي لم تقبله الغربان والشحارير، ولّما عمّ الجفاف لمدة طويلة، وشخ الغيث، حرمت جميع المخلوقات من الاستسقاء عدا الهدهد فسئم الطائران ودبّرا مكيدة لإطفاء منبع العين. فهاجر الهدهد ونزلت لعنة العين. ويحكى أيضاً أنه من يوم ما حلّ الاحتلال واستأسد على جنانها استحالت من امرأة مُسلّمة إلى جنيةٍ بحوافر تيس، وأقسمت أن تُغرق كلّ سنة آدمياً وتقوى الشباب يفتتنها وتأسرهم في عالمها مدى الحياة، حتّى كادت القرية تستحيل بُؤرة حمقى. تعددت الروايات ولكن الحقم والغرق الرواية التي ظلت تتداولها الأجيال، وتلقّى بجام غضبها على لعنة العين.

تباينت الآراء حول صفاتها، لا أحد وصفها بدقة. لم تكن جميلة أو ذميمة، لا أحد تبيّن ملامحها. من قال إنها سوداء فقد ادّعى الأمر، ومن يومها لم يزّ النور. ولكن الكثير يؤكّد أنّ بياض دثارها يغشى العيون من فرط توجّهِه. طبعاً لم يكن الكل محظوظاً برويتها، فقد كانت تظهر لبعض بالصدفة، من بعيد، حتّى إن سكان القرية المجاورين للعين لم يروها إلا نادراً، وكانوا يحفظون مسافة الاحترام والأمان بينهم بها. فعند الغروب لم يكن أحد يجزّؤ على الاقتراب من العين. تحاك أساطير حولها، الكبار والصغار على حدّ سواء يخشونها ويتقلّون في صدورهم كلما ذكر اسمها. الأمهات يرهبن أطفالهنّ عندما يتعمّشُ نومهم بأنهن سينادين على الغولة «مولات العين»، وستلتهمهم. والكبار عندما يحلمون بها، ينتظرون اللعنة.. فهذا نذير شؤم.

■ «جدتي، هل فعلاً توجد هذه السّيدة الشريرة التي تخطف الأطفال؟».

– «نم أو سأنادي عليها»، فيحشر الصّبى رأسه في حضنها

## فى الصباح وجده العمال مُغمى عليه عند حافة العين ووجهه مُعوجّ مرمياً على الحشائش



## مقطع من رواية فتنه.. حكاية جريمة

خالد أقلعى



## حب ونضال

يخفى حقيقة الكائن الانتهازى البشع الذى

سرق سنتين من حياته ولا يزال يطمع فى

المتبقى!

غير أن القلب لا يعتبر، أحياناً، من مجرد الطنون، ويأبى أن يقتنع بالحقيقة المرة حتى ولو كانت البراهين من الوضوح بحيث لا يخطئها الأعمى! يحتاج القلب أحياناً إلى زلزال يعصف به، ويكسر طوق عناده، ويقلب منطقته الأبله رأساً على عقب. ومن حسن حظ فتنة أن الزلزال حدث، وهى لا تزال فى فترة النفاضة، ولا تغلبها الحنين، وعادت إلى حضن عزوز كامارادا قبل أن تتضح صورته الحقيقية فى عيون كل من يعرفه!

شىء، غير هذه التابعة الذليلة التى تفتنى أثره

مطرقة أينما حل وارتحل!

نعم؛ لا يتعلّق الأمر بحبّ عظيم، وإنما بخنوع وخضوع ذليلين، وخوف مستفحل من ثمار غضبه التى كانت أقلها التعنيف اللفظى والضرب.

ومن العجيب، حقاً، أنه بقدر ما كانت فتنة تستحلب ذاكرتها لتقطر تفاصيل علاقتها بعزوز بقدر ما كانت صورته تعتم فى ذاكرتها، ويكتسحها المسخ والغمل فتصبح أكثر بشاعة من صورة دوريسان غراى الحقيقية المفزعة المفزعة! لقد سقط القناع الوسيم الذى كان

إن خلوتها التأملية، فى غرفة العيادة، حيث كانت تعالج، ذوّبت، بما حفزته من صور الذاكرة، كتلة الشاعر الثقيلة التى كانت تجثم على صدر فتنة تجاه عزوز، وكانت تحسبها حباً عظيماً لا مثيل له! لكن، تجلّى لها بوضوح أن ذلك الحب لم يكن إلا مزيجاً من صدمة تجربتها الحسية الأولى معه، التى وسّماها إكرام أقرب ما يكون إلى الاغتصاب منه إلى شىء آخر؛ كانت فتاة يافعة، مغمضة العينين، تتوق إلى أن تخوض تجربة عاطفية مأمونة العواقب، لكنه كان وحشاً راشداً بما يكفى ليراود هريسته، قليلة الخبرة، ويلتهمها، ويمصص عظمها، ولا يبقى منها



تحقيق بالصور والوقائع بعد 47 عامًا من وفاته

# العندليب الغامض

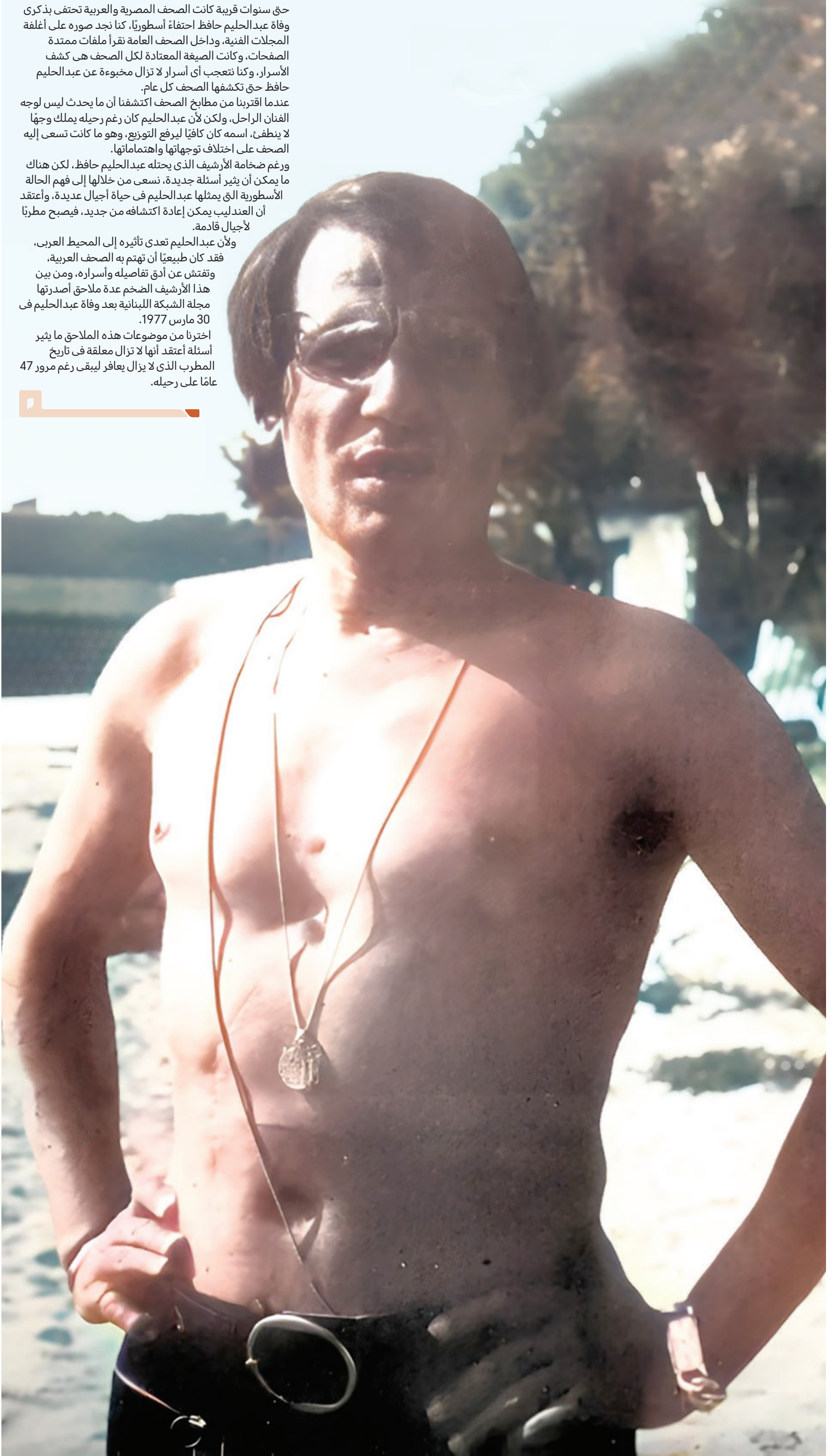
حتى سنوات قريبة كانت الصحف المصرية والعربية تحتفى بذكرى وفاة عبد الحليم حافظ احتفاءً أسطوريًا، كنا نجد صورته على أغلفة المجلات الفنية، وداخل الصحف العامة نقرأ ملفات ممتدة الصفحات، وكانت الصيغة المعتادة لكل الصحف هي كشف الأسرار، وكنا نتعجب أى أسرار لا تزال مخبوءة عن عبد الحليم حافظ حتى تكشفها الصحف كل عام.

عندما اقتربنا من مطابخ الصحف اكتشفنا أن ما يحدث ليس لوجه الفنان الراحل، ولكن لأن عبد الحليم كان رغم رحيله يملك وجهًا لا ينطفئ، اسمه كان كافيًا ليرفع التوزيع، وهو ما كانت تسعى إليه الصحف على اختلاف توجهاتها واهتماماتها.

ورغم ضخامة الأرشيف الذى يحتله عبد الحليم حافظ، لكن هناك ما يمكن أن يثير أسئلة جديدة، نسعى من خلالها إلى فهم الحالة الأسطورية التى يمثلها عبد الحليم فى حياة أجيال عديدة، وأعتقد أن العندليب يمكن إعادة اكتشافه من جديد، فيصبح مطربًا لأجيال قادمة.

ولأن عبد الحليم تعدى تأثيره إلى المحيط العربى، فقد كان طبيعياً أن تهتم به الصحف العربية، وتقتش عن أدق تفاصيله وأسراره، ومن بين هذا الأرشيف الضخم عدة ملاحق أصدرتها مجلة الشبكة اللبنانية بعد وفاة عبد الحليم فى 30 مارس 1977.

اخترنا من موضوعات هذه الملاحق ما يثير أسئلة أعتقد أنها لا تزال معلقة فى تاريخ المطرب الذى لا يزال يعاقر ليبقى رغم مرور 47 عامًا على رحيله.



1

## هل قتل عبد الحليم حافظ نفسه؟

منذ شهرين دخل عبد الحليم حافظ مستشفى «كينجر - كولدج» بلندن، لإجراء عملية جراحية دوالى الدم المترسب فى معدته بسبب عدم أداء الكبد لوظيفته الطبيعية.

وقد وصف له الأطباء البريطانيون «الكورتيزون»، وهذا الدواء أدى إلى تجمع كمية من الماء فى معدته، على إثر ذلك أبقى المطرب العربى الكبير مدة عشرين يوماً فى المستشفى تحت العلاج الدقيق، فشفى وخرج إلى منزله فى لندن.

كانت ترافقه فى هذه الرحلة الاستشفائية شقيقته «عليه» وشقيقه إسماعيل وابن خالته شحاتة وكان يشرف عليه طبيبه المصرى الخاص شاكر سرور.

وليلة خروجه من المستشفى إلى منزله فى لندن، كان فرح عبد الحليم بالشفاء لا يوصف، ولكى يتوج فرح الشفاء بتناول الاستمرار فى المستشفى على أن يسهر فى ملهى «شهرزاد» مع صديقه عبدالرحمن الخودة.

وقد أخفى أمر هذه السهرة عن طبيبه الدكتور سرور الذى راح يفتش عنه تلك الليلة دون أن يجده، فقد أوعز عبد الحليم للجميع عدم إبلاغ طبيبه الخاص بهذه السهرة، لأنه كان بالغ التفاؤل بشفاؤه.

وسهر عبد الحليم حافظ حتى الفجر، كان يغنى فى الملهى فهد بلان، وكانت ترقص هناك ناهد صبرى، وبدأ عبد الحليم فى غاية السعادة، إنه متعشش للسهر والطرب، بعد المدة الطويلة التى أمضاها تحت العلاج فى المستشفى.

وكان فى الملهى بعض الأمراء العرب، فرحبوا بعبد الحليم، وألحوا عليه كى يغنى، فاعتذر قائلًا: أنا لسه خارج من المستشفى.

وكانت ليلة ممتعة، اتشح فيها عبد الحليم بالرداء المغربى، وقد بلغ من حبه للانطلاق والسهر أنه لم يغادر الملهى إلا فى الخامسة صباحًا، كان الطقس بارداً، ولما أصر عليه الأصدقاء أن يضع شيئاً على رأسه لالتقاء البرد وهو خارج من الملهى، رفض قائلًا: سيبنوى أستمتع بالدنيا.

على إثر تلك السهرة انتكست صحة عبد الحليم، فنقل إلى المستشفى حيث راحوا يعالجونه بالكورتيزون، وتحسنت صحته من جديد، ولما اطمأن طبيبه الخاص إلى هذا التحسن الذى لسه لدى مريضه، تركه فى لندن وعاد إلى مصر.

وما هى إلا أيام قليلة حتى استدعى الدكتور سرور من جديد إلى لندن، كما استدعى محاميه مجدى العمروسى، لقد ساءت صحة عبد الحليم مجدداً، وقيل إن هناك سببين وراء هذه الانتكاسة التى قضت على حياته.

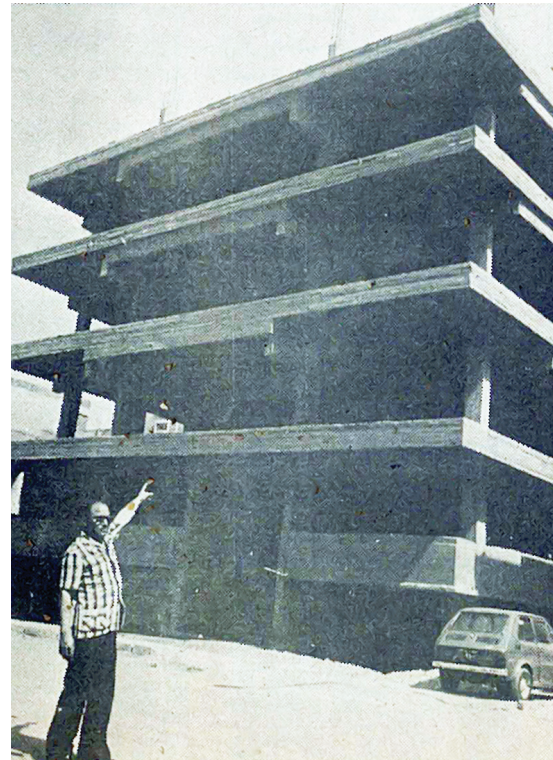
السبب الأول أن الأطباء البريطانيين أدخلوا إبرة فى كبده للفحص، فنتج عنه نزيف داخلى.

والسبب الثانى أن الأطباء بعدما زودوه بالدم الذى فقده، فحصوا معدته بالأشعة، فأدخلوا سلكاً رقيقاً من فمه إلى معدته، ويقال إن هذا السلوك جرح المعدة، فعاد النزف مرة أخرى، وكان خطيراً، وهذا ما استدعى وضع عبد الحليم فى غرفة العناية الفائقة تحت المراقبة الدقيقة.

لقد أدخل إلى هذه الغرفة فى الساعة السادسة والربع من مساء الخميس ٣٠ مارس، وبعد عشرين دقيقة فارق الحياة، لقد توفى فى الساعة السابعة إلا سبع دقائق.







## ثروة عبد الحليم حافظ

2

والكونسرفتورات لا فى الأزقة والشوارع والمواخير.

وينبغى أن تكون طموحًا إلى مصادقة الكبار والنبلاء والأشراف، حتى إذا وصلت إليهم حافظت عليهم وصنت ودهم واحترمت مقامهم، فلا تطعنهم فى ظهورهم ولا تجرحهم فى كراماتهم ولا تنهش فى أعراضهم حتى لا يغيضوا عليك ويلعنوا أصلك ويطردوك طرد الكلاب.

وفوق ذلك يتحتم عليك أن تكون فى الأصل فنانًا أصليًا لا فنانًا مرزورًا، فنانًا يمارس الفن لمجرد الفن المرسل أولًا، ثم للاعتراف المشروع، ثم للكسب الشريف الذى لا تزحف إليه على بطنك وتغتر جبينك وتناجر بمن معك لتتال ماربك.

لقد كافح عبد الحليم حافظ طويلًا حتى أصبح الحليم الذى تشبته الملايين، ولم يكافح بفنه وحده، بل بدفع لسانه وحسن تصرفه وعظيم احترامه لأصدقائه الأقرين قبل أصحابه الأبعدين.

كان العنديل فنانًا حقيقيًا بكل شىء، بصوته وعلمه وخلقه، ولهذا أصبح مليونيرًا فى حياته ومدرسة فى مماته.

بالليرات التركية، وبالدولار الأمريكى وليس بالليبر الإيطالى، وبالإسترلينى الإنجليزى وليس بالكوزيرو البرازيلى، مليونير وجيه هو الذى كان فقيرًا معدمًا يقطع ترعة الحلوات حافى القدمين، ممزق القميص أسود الأظافر، ولو أن الطفل اليأس كان يملك جنيهين فقط أجرة طبيب وثمن دواء لما تغلغلت البلهارسيا فى كبده، وترعرت فى معدته وقتلته بعد أربعين سنة من المرض والعلاج والعذاب.

ولكن كيف استطاع عبد الحليم حافظ أن يجمع ثروته الطائلة؟

هذا السؤال طرحه على أحد الفنانين المخرجين النمام الذين يعتبرون الفن وسيلة لثلاثة أهداف: كسب المال ونيل الشهرة والنق بالنسوان.

فتمثلت نفسى أقول له: حتى تصبح غنيًا مثل عبد الحليم يقتضى أولًا أن تملك صوتًا عذبًا مثل صوته لا مثل صوتك الأجلش، ووجهًا جذابًا مثل وجهه لا مثل وجهك الثعلبي، وكذا خارقًا مثل ذكائه لا مثل ذكائك الخبيث، ويجب أن تكون مثقفًا ثقافة موسيقية وعلمية رفيعة تمارسها فى المعاهد والجامعات

كتمليك للأجانب، أما فيلا العجمى فإنها مستأجرة لمدة ١٥ سنة بمبلغ ١٣ ألف جنيه، وبموجب عقد موقع من الحراسة على شركة العمورة، أما شقة بيروت التى قيل إنها ملك له ومفروشة بما يزيد على المائة ألف ليرة لبنانية، فإنها فى الواقع مستأجرة بموجب عقد وقيمة ستة آلاف ليرة لبنانية سنويًا تدفع سلفًا، وقد اشترى مفروشاتها من المديعة التليفزيونية ليلى رستم بمبلغ عشرة آلاف ليرة لبنانية لا غير.

وانتهى العمروسى حديثه بأن المبالغة كانت فى تقديرات الناس وحدهم، الذين أوصلوا التركة العادية إلى مبالغ خيالية ذكر أنها تفوق الخمسين مليونًا من الجنيهات المصرية. وفى مقالة عنبة رافقة كتبها رئيس تحرير المجلة، كشف فيها عن ثروة عبد الحليم الحقيقية.

قال: كنت أعرف أنه مليون ولكنى لم أكن أقدر أن ثروته تعد بالملايين، وسواء اختلف أهل الإحصاء فى تحديد الأرقام أو لم يختلفوا، فإن الحقيقة التى لا تقبل أى جدل أو تأويل، هى أن عبد الحليم حافظ كان مليونيرًا.

مليونير بالجنيهات المصرية وليس

أشياء أخرى لابن خالته شحاتة الذى كان يلازمه مع زوجته، ولبعض أقربائه فى قريته الحلوات.

ومن المضموم أيضًا أن عبد الحليم خصص قسمًا من ثروته لبناء مستشفى للبلهارسيا فى بلدته، ولبناء بعض المؤسسات الخيرية أيضًا، وقد ذكر أن عبد الحليم غير وصيته للمرة الثالثة فى لندن على يد محاميه مجدى العمروسى أيضًا، وبوجود شقيقته عليّة وشقيقه إسماعيل، الذى رافقه فى الرحلة الأخيرة وابن خالته شحاتة.

ولأن ما نشرته المجلة لم يكن منطقيًا كما قالت هى، فقد كلفت مراسلها فى القاهرة شقيق نعمة ليتحدث مع محامى حليم مجدى العمروسى، الذى قال لهم: ثروة عبد الحليم عادية جدًا، وأقل بكثير من التقديرات الخيالية التى تداولتها الأقاليم والأسن، وللتوضيح أقول إن شقة لندن التى قيل إن عبد الحليم يملكها فى العاصمة البريطانية والتى قدروها بما يزيد على المائة ألف جنيه إسترليني، هى فى الحقيقة شقة عادية تخضع لحق الاستعمال لمدة عشر سنوات فقط، والشقق هناك لا تباع ولا تسجل

- فيلا فى لندن يقدر ثمنها ٥٠ ألف جنيه إسترليني.

- فرش شقة فى بيروت قرب فندق كارلتون كانت تملكه مديعة التليفزيون ليلى رستم، أما الشقة نفسها فكانت بإيجار سنوى قدره ستة آلاف ليرة لبنانية.

- ثلث شركة صوت الفن، فهو شريك بها مع الموسيقار الدكتور محمد عبد الوهاب والمصور السينمائى الحاج وحيد فريد.

- أرصدة مالية لا يعرف مقدارها إلا أمناء السر فى القاهرة وجنيف ولندن وربما فى مصارف أخرى أما فى بيروت فلم يكن يملك عبد الحليم أى رصيد.

- ممتلكات شخصية من هدايا ذهبية ثمينة كالخواتم والسلاسل والهدايا الأخرى، ويقال إن ثلاث خزائن كاملة خصصت فقط لساعات اليد التى يملكها.

وكان الراحل قد كتب وصيته الأولى منذ عشرة أعوام، ثم جدها منذ عام واحد، على يدى محامى شركة صوت الفن الأستاذ مجدى العمروسى، وهى تتضمن بالطبع أن يرثه أهله الأقرين وهم أشقاؤه الثلاثة، محمد شبانة وإسماعيل شبانة وشقيقته عليّة، وخصص

اهتمت مجلة الشبكة بما تردد عن ثروة عبد الحليم حافظ، فنقلت عما وصفته بأنها مصادر شبه رسمية أن ثروته ٥٠ أو ٦٠ مليون جنيه مصرى.

تقول «الشبكة» فى الوقت الذى أشارت فيه جهة شبه رسمية، وهى بيان غير رسمى بالطبع، ويعتمد على التقدير فقط، بأن ثروة الفنان الراحل عبد الحليم حافظ تبلغ ما بين الخمسين والستين مليون جنيه مصرى، أكد عدد من أقرب أقباء عبد الحليم أن هذا الرقم مبالغ فيه جدًا.

أما ثروة عبد الحليم الواضحة، والتى يعرفها هؤلاء الأقباء فهى كما يلى.

- ثلاث شقق فخمة فى عمارة السعوديين التى كان يسكنها فى العجوزة.

- شقتان فاخرتان فى شارع قراقوش بحسن صبرى.

- ثلاث سيارات تقدر قيمة كل منها ٢٠ ألف جنيه إسترليني.

- فيلا بالعجمى فى الإسكندرية.

- شقة فى الإسكندرية «بعقد إيجار».

- عمارة من خمسة طوابق فى مدينة المهندسين بالقاهرة، تحتها استديو.

## جسد عبد الحليم خريطة رسمتها العمليات الجراحية

3



4

## «ليندا فريدريك»... آخر نساء حليم

وتوطدت الصلة بين المطرب العربى العاطفى والمثلة التليفزيونية البريطانية، فأحبها وعاهدها على الود، ووعدها بالتنقل الدائم بين لندن والقاهرة كلما سحبت له ظروفه الفنية والصحية بذلك.

وبما شهدت ليلى لندن «حليم وليندا» يرتعان فى ضبابها ومرباعها وشوارعها الطويلة، وهما يتعانقان عنق العنادل ويتبادلان هديل الحمانم ويتناغيان مناعة العشاق. لكن ليندا كانت تدرك أن عبد الحليم فنان غريب عنها كتب على جبينه «عازب»، لذلك كان لابد أن تقع فى غرام الفنان البريطانى «بيتر سيلرز» فتزوجته، وعند ذلك فقط انقطعت صلة عبد الحليم العربى بليندا الإنجليزية، ليندا الجميلة التى تعيش وتضايق عبد الحليم من هذا الادعاء، وقال: هل يوجد فى الدنيا إنسان «يفؤل» على نفسه بالمرض

وقعت الشبكة على سر عاطفى كبير كان يخفيه عبد الحليم حافظ عن الصحفيين حتى لا يثيروا حوله اللغظ.

هذا السر هو حبه فنانة إنجليزية تعمل فى حقل التمثيل وتدعى «ليندا فريدريك» شقراء، أنثى رائعة الجمال، ومتناسقة فى المظهر والجوهر مع العنديل.

أحبها فى لندن عام ١٩٧٤، عندما شاهدتها على شاشة التليفزيون البريطانى، وسأل صديقه وسفيره ورفيق لياليه عبد الرحمن الخوجة عنها، فقال له إنها تسهر كل مساء فى نادى «كازانوف»، الذى تربطها بصاحبه «جوليان بورتر» علاقة حميمة.

وذهب عبد الحليم الذى نادى كازانوفًا، وتعرف بليندا ودعاها مع صاحبها جوليان إلى مطعم «يلندلار» فى لندن.

التقطت موهما لجسدى المشخ بالجرّاح، حتى لا يحسب الناس أنى أقوم بدعاية صادقة هذه المرة لمرضى، بل لأمرضى.

ثم أضاف عبد الحليم: احفظوها فى أرشيفى إلى الوقت المناسب، فقد يأتى يوم تنشرونها فيه بعد أن يقتنع كل الناس أنى أدأويهم بفنائى وأنا عليل، عندئذ طلب المصور من عبد الحليم أن يأخذ له عدة صور أخرى وبأوضاع مختلفة حتى يحفظها فى أرشيف الشبكة للذكرى والتاريخ.

والوقت المناسب الذى تكلم عنه عبد الحليم جاء اليوم، ولكن بصورة رهيبية، جاء بعد أن قتلتته علته ونقلتته إلى رحمة ربه مأسوفًا على شبابه الغض.

حتى يكسب عطف الناس؟ هل هناك مخلوق سليم الجسم والعقل يلصق بنفسه تهمة المرض؟ إن صحيح الجسد يتباهى بعافيته، والناس يفرحون لطربهم إذا كان قويًا وسعيدًا، فكيف أضعف ذاتى لأستدر عطف المستعطفين؟

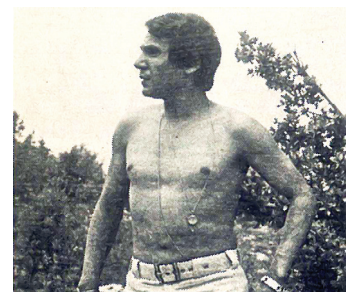
ولم يكف عبد الحليم بهذا الدفاع المنطقي، بل جمع قميصه الحريرى وقال: انظروا.

ونظرنا فإذا صدره وظهره كخريطة جغرافية رسمتها العمليات الجراحية، أكثر من أربع- خمس عمليات شقت جلد جسده: لتستأصل من داخله العلل الخبيثة التى كانت تنهش حياته نهشًا، ولما دخلنا لهذا المنظر الغريب، قال لنا: أرجوكم ألا تنتشروا الصور التى

الصور المنشورة مع هذا الكلام لعبد الحليم حافظ عمرها ثلاث سنوات، التقطتها عدسة الشبكة للفنان الذى أقل نجمه فى رأس الجيل بعاليه، حين كان يهرج فى أحضان الطبيعة اللبنانية قبل أن يحيى تلك الحفلة الغنائية الخالدة فى مربع البيسين.

يومها كان اللغظ حول مرض عبد الحليم، فأنبرى من يدعى أن العنديل الأسمر ليس مريضًا ولا حاجة، بل إنه يتاجر بصفقة رابحة اسمها المرض ليكسب عطف الجمهور قبل كل حفلة غنائية ينوى إحياءها.

وتضايق عبد الحليم من هذا الادعاء، وقال: هل يوجد فى الدنيا إنسان «يفؤل» على نفسه بالمرض





## الصلاة والزكاة والصوم والحج فى «مصر القديمة»



### 1 أجدادنا كانوا يقولون «الله واحد أحد ليس كمثله شيء» و«إله خالق نفسه بنفسه»

«أوزير، وأوزير، هو «رع»، وكان «أوزير، هو رب الموتى، وكان المتوفى يحاكم أمام محكمة العدل الإلهية بواسطة ٤٢ قاضياً، وفى الميزان نجد القلب فى كفة، وريشة العدالة فى الكفة الأخرى، لمعرفة من خفت موازينه ومن ثقلت موازينه.

فمن كان طاهر اليدين نقى القلب فتحت له أبواب «يارو»، أى «الجنة»، حيث يجد أنهاراً من عسل وماء زلال وخمر مقدس، ومن كان شريكاً بـ«ثمنهم وحش كاسر اسمه «عم موت... وعم، أى «يلتهم»، وموت، يساوى «الميت».

وكانت رية السماء «نوت»، ملتحمة برب الأرض «جب»، فخلق الإله رب الهواء «شو»، فتفتق الماء عن الأرض، وخلق الإله النون الأزلى «ننو»، أى «الماء»، ثم خلق لوتسة زرقاء فبزغ منها قرص الشمس «نفرتوم»، أى كاملة الأوصاف.

والمفاجأة أنه كان من أسماء الإله «خنوم»، أى خالق البشر، وقد أنجب أبوالسلالة البشرية وهو «آتوم»، أخوين وأختين، قتل أحدهما وهو «ست»، أخاه «أوزوريس»!

ونجد فى كتاب الموتى، وتحديدًا الفصل ١٧، أن «رع، هو

يبدأ الدكتور وسيم السيسى من «عقيدة التوحيد»، فى مصر القديمة، فيذكر أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بالإله الواحد، وكان يقولون: «الله لا يمكن معرفة اسمه، لأنه فوق إدراك عقول البشر»، وكانوا يصفونه بصفات مثل «أمون» بمعنى الباطن، أو «رع» بمعنى الظاهر، أو «بتاح» بمعنى الخالق.

ويستشهد بما هو مكتوب فى معبد إسنا أن «بتاح خالق نفسه بنفسه»، بل إن أجدادنا كانوا يقولون «نتر واو واو ن ن سنو إف»، أى «الله واحد أحد ليس كمثله شيء»!



### 2 المصريون القدماء كانوا يصلون بعد الوضوء.. والأذان كان يقول «حى على الصلاة»

«الضياء» وكلمة «كباب» كلمة مصرية دخلت الإنجليزية فأصبحت «cube»، أى «مكعب»، كما دخلت العربية فأصبحت «كعبة»، أما كلمة «آن» فهي كلمة مصرية معناها «المتجه إلى»، وقد دخلت العربية فأصبحت «اجتاز»، أو «يجتاز»، فإذا وضعنا كلمة «حج» إلى جوار «آن» تصبح «حجآن»، أى «المتجه إلى النور».

ووفق الدكتور وسيم السيسى فإن «الأجداد، كانوا يحجون إلى أبيدوس فى جنوب سوهاج حيث قبر أودوريس – النطق المصرى القديم الصحيح لكلمة أوزيريس – وإلى الجزيرة حيث الكعبة التى بناها إدريس ٥٥٠٠ قبل الميلاد، والذي جاء ذكره فى القرآن الكريم (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)». أما كلمة «ماعو» فهي كلمة مصرية معناها «الزكاة»، وهذه الكلمة جاءت فى القرآن الكريم «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»، و«النون» معناها «عقيدة»، أو «شعيرة دينية»، ومن ثم يكون معنى الآية «يَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ»، كما جاء فى تفسير ابن كثير.

«بيت»، «ضوا» أى «الوضوء»، وهناك جدارية للملك مينتا ذاهباً إلى «البر ضوا» أى «بيت الوضوء»، ووراءه خادمه يحمل له «إبريق ماء». وكانوا يدعون إلى الصلاة «حى على الصلاة»، وكلمة «حى» معناها «قم وانهض»، وكانوا يتجمعون صفوفًا وراء بعضهم بعضاً، وأمامهم واحد اسمه «إمم»، وهى كلمة مصرية قديمة معناها «إمام»، والجدارية معروضة فى متحف اللوفر بباريس. وكان المصريون يصلون وأذقانهم للأرض وليس جباههم، حتى يواجهوا الإله بوجوههم، وقد جاء ذكرهم فى القرآن الكريم فى الآية ١٠٧ من سورة الإسراء «إِذَا نَبَأَ عَلَيْهِمُ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا»!

أجدادنا كانوا يصومون أيضاً، وكلمة «صوم» جاءت من كلمة مصرية «صاو»، أى يمتنع عن طعام أو شراب أو كلام، وكانوا يصومون من الفجر حتى غروب الشمس، ثلاثون يوماً.

والمفاجأة الأكبر أن أجدادنا كانوا يحجون، والحج كلمة مصرية معناها «النور» أو

إذا كان المصريون مؤمنين بـ«التوحيد»، فكيف كان الدين عندهم من الأساس؟

كلمة «دين» كلمة مصرية قديمة جاءت من «دي» أو «ديو» المصرية ومعناها خمسة، والنون معناها عقيدة «النون الأزلى».

ومن هنا يكون معنى كلمة «دين» العقيدة الخماسية، وكانت أركان هذه العقيدة هى:

- التوحيد
- الصلاة بعد الوضوء
- الصوم
- الحج
- الزكاة

وقبل أن تستغرب يؤكد الدكتور وسيم السيسى أن أجدادنا كانوا يوحدون الله، فنجد على «متون الأهرام»: «الله واحد أحد ليس له ثان»، كما نجد نصاً يقول: «أنا الإله واحد أحد موجد نفسى بنفسى، وليس مثلى أحد».

أما الصلاة فكانت بعد الوضوء، وبيت الوضوء فى اللغة المصرية القديمة «بر» أى



### 3 الصوم 30 يوماً يمتنعون خلالها عن الطعام أو الشراب وحق الكلام

و«الصائبة المندانيون الذين أخذوا الدين عن إدريس المصرى، عليه السلام، كانوا يصومون ثلاثين يوماً، وكان شهر رمضان بالتحديد!

ويستشهد بـ«ابن حزم، الذى قال، فى «الملل والنحل، الجزء الأول» صفحة ٣٤، «الصائبة يصومون شهر رمضان، وكان شهر رمضان يبدأ عند رؤية الهلال، وكانوا يغنون «وحى يا وحى، ترحيباً بـ«مقدم شهر الصوم، كما يذكر د. أحمد شلبى فى مؤلفه «مقارنة الأديان».

أما ليلة القدر فقد كانت عند العرب قبل الإسلام، وفق تفسير ابن كثير، كما كانت عند الصائبة المندانيين، وهم كما قلنا أخذوا كل معارفهم الدينية من الديانة المصرية القديمة، بل كان لديهم عيد كبير، وهو عيد من يومين، والليلية التى بينهما هى ليلة القدر.

والخطايا، قال تعالى «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفت». وكلمة «كفارة» كلمة مصرية قديمة بمعنى غطى أو أخفى أو مسح، ودخلت هذه الكلمة المصرية للعبرية والعربية، بل الإنجليزية وهى COVER، فالكفارة إذن هى مسح الذنوب أو غفران الذنوب، وتذكر لنا دائرة معارف الدين أن الصوم كان كفارة من أعراف القدماء المصريين لمسح الخطايا وغفران الذنوب.

ويبين وسيم السيسى أن اليهودية لم تعرف الصوم إلا يوماً واحداً، فرضه القاضى صمويل كفارة، عن عباداتهم لألهة عديدة.

والمسيحية لم تفرض صوماً إلا تشبهاً بالسيد المسيح، الذى صام أربعين يوماً.

بتفصيل أكثر تحدث الدكتور وسيم السيسى عن الصوم، ويطلق من الآية ١٨٣ من سورة البقرة «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...» ثم يسأل: «من هم الذين من قبلنا؟»

ويجيب ناقلًا عن هيرودوت أن «المصريين يصومون»، وعن المؤرخ الإسلامى أحمد شلبى أن «المصريين القدماء عرفوا الصوم»، ويقول هو أن كلمة «صوم» كلمة مصرية قديمة من مقطعين: «صاو» بمعنى كبح أو حبس أو منع، والمقطع الثانى هو حرف «الميم» بمعنى «عن»، فيكون معنى الكلمة هو «امتنع عن الطعام أو الشراب أو حتى الكلام».

وفى سورة مريم الآية ٢٦ «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صُومًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ نِسِيًّا»، وقد فسرها ابن عباس صوماً أى صمتاً، ومن أهداف الصوم الكفارة، أى التكفير عن الذنوب



### الصوم كان من الفجر حتى غروب الشمس والهدف «مسح الذنوب» و«غفران الخطايا»

– قلبى نقى ويديا طاهرتان. وهنا يعلن «تحتوتى... رب المعرفة.. «الأوزير، «المرحوم...» قلبه نقى ويدها طاهرتان من أى ثم!

ثم يقول أوديريس رئيس المحكمة «محكمة الروح»:

يكتب اسم الأوزير – النطق المصرى القديم الصحيح لكلمة الأوزير – فى سفر الحياة، وتفتح له أبواب «يارو» أى الجنة حيث يجد:

- أنهاراً من ماء زلال
- أنهاراً من عسل مصفى
- أنهاراً من خمر مقدسة
- سنابل قمح من ذهب.

أما إذا كان المتوفى شريكاً بـ«ثمنهم وحش كاسر اسمه «عم موت»، وهو الوحش الكاسر الذى تحدثنا عنه.

– أنا لم أسرق.

– أنا لم أقتل الناس «يتولها مرتين».

– أنا لم أكنب.

– أنا لم أسبب أى كآبة لغيرى.

– أنا لم أزن.

– أنا لم أشته زوجة جارى.

– أنا لم أسبب البكاء لأحد..

– أنا لم أغش فى الميزان.

– أنا لم يرتفع صوتى على أحد.

– أنا لم أسبب شقاء لحيوان.

– أنا لم أعذب نباتاً بأن نسيت أن أسقيه ماء.

ثم يسأل القاضى روح المتوفى عن الإيجابيات، فيذكر ٤٢ إيجابية منها:

- كنت عينا للأعمى.
- وبذا للمشلول.
- ورجلا للكسيع.

البردية، فجاءت الشرطة وشملت المخزن بالشمع الأحمر، لكن «والاس، اتفق مع عمال البسهم ملابس عمال حدائق، تظاهروا بالعمل فى حديقة الفندق، وعند المساء حفروا سرداباً تحت المخزن من الجهة الخلفية، وسرق «والاس» البردية، وأرسلها للميناء البحرى بالإسكندرية، الذى كان لا يخضع للسلطات المصرية، ومنه أرسلت لمتحف البريطانى، وهذه البردية التى دونت من ٣٣٥٠ عامًا محفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٤٧٠.

البردية أو كتاب «قانون الأخلاق» كان بمثابة التوراة أو الإنجيل أو القرآن، لذا كانت توضع فى قبر المتوفى، وفيها نجد «الاعتراف الإنكارى للمتوفى... ومنها نقرا:

- أنا لم ألوث مياه النيل.
- أنا لم أرتكب إثماً.

كما كان لمصر القديمة «السبق الدينى» فى «التوحيد»، كانت رائدة فى الأخلاق أيضاً، والدليل هنا «بردية الحكيم أنى»، وهى بمثابة «قانون الأخلاق»، متضمنًا الثواب والعقاب «الجنة والنار».

وجدت هذه البردية سنة ١٨٨٠ م، وكانت فى حوزة أسرة عبدالرسول، وسمع بها عالم المصريات البريطانى والاس بادج، وكان معروفًا عنه أنه لص آثار.

يقص علينا بريان فاجان فى كتابه «اغتصاب النيل» قصة هذه البردية، التى يبلغ طولها ٢٤ متراً وعرضها حوالى ٤٠ سم، وهى بالغة الروعة، ولوجاتها بالألوان الزاهية الطبيعية.. وقد اشتراها «والاس، وخباها فى مخزن ملاصق لحديقة فندق الأقصر.

غير أن السلطات المصرية سمعت بهذه

عدسة: طارق الجباس

### 4 عرفوا الثواب والعقاب والجنة والنار.. والدليل «بردية الحكيم أنى»





محمد بن عبد الجبار النفري

أوقفني في القرب وقال لي: القرب الذي تعرفه مسافة، والبعد الذي تعرفه مسافة، وأنا القريب البعيد بلا مسافة، تعرّفْ إليك وما عرفتي؛ ذلك هو البعد، رآني قلبك وما رآني: ذلك هو البعد

التفقه على مدار السنوات مرسخًا النموذج الأصولي للفقه الذي انحرف عن نموذج الفقه النبوي وفقهه. لا يتبنى الكاتب مع ذلك رؤية سلفية ترى في إسلام الصحابة النموذج المثالي للإسلام، وإنما يشدد على أن هذا النموذج رغم تميزه الذي ظهر في معرفة حدود النص الديني المرجعي، وإدراك شروط اللحظة الزمنية التي تشكل فيها خطاب الوحي، ومعرفة قرائن السياق التي تفسره، وإدراك الطبيعة الدينامية في الإسلام، وغير ذلك من المميزات. فإنه مع ذلك يظل نموذجًا أوليًا ناقصًا قياسًا إلى إمكانات الإسلام نفسه. قدّم الباحث اليميني عصام القيسي في كتابه الأحداث، استعادة الإسلام، جهدًا فكريًا ونقديًا لافتًا يضاف إلى جهوده البحثية في كتب سابقة منها، العلمانية الثالثة، و الإنجيل الخامس، و عودة العقل،، حرف، حاورت القيسي حول أبرز الأطروحات التي تعرّض لها بكتابه الأحدث.

## حنان عقيل

يقدم الباحث والإعلامي اليميني عصام القيسي في كتابه، استعادة الإسلام، جفريات في جيولوجيا الإسلام التاريخي، الصادر حديثًا عن دار رؤية، أطروحة تتمحور حول اختلاف الإسلام الذي نعرفه اليوم عن إسلام القرن الهجري الأول، وأن صورة الإسلام التي نعرفها اليوم قد تشكلت في القرنين الثاني والثالث الهجريين بعد شيوع مذاهب الفقه التقليدية، وبالاخصاف عن، جيل الصواب الإسلامي؛ ذلك الجيل الذي طبق الإسلام وفقًا لشروطه التاريخية بأقل قدر من الانحرافات. يوضح القيسي، أن المنهج الفقهي الذي كان عليه النبي وصحابته والتابعون هو منهج التكليف الصفي لا منهج الاجتهاد المنظم، ذلك المنهج لدى الصحابة اعتمد على أن كل مكلف بالدين عليه أن يفهمه ويمارسه في حدود وسعه، وليس مكلفًا بما هو في وسع غيره من المكلفين الذين هم أكثر منه علمًا، فالفقه النبوي وما تلاه من الأجيال الإسلامية في القرن الهجري الأول كان وقامه التفكير المقاصدي.

ويرصد المؤلف، بناءً على ذلك، الخطوات التي باتباعها قد تأسل هذا الانحراف عن الإسلام في صورته الأولى، ويحاجج بأن مقولتي، حجية الحديث النبوي، و حجية الإجماع، كانتا علامتين بارزتين في خط الانحراف عن الإسلام، وكان للإمام الشافعي دور بارز في تأصيلهما، ثم تطور مسار

# استعادة الإسلام

## الباحث اليميني عصام القيسي: «النصوص التاريخية» أبعدت العقل عن ممارسة دوره في فهم النص القرآني واستخراج كنوزه

■ ذكرت في مقدمة كتابك «استعادة الإسلام» أن انتماءك لجماعة الإخوان لمدة عشر سنوات كان سببًا في اهتمامك بقضايا الفكر الديني وبلورة أطروحتك الفريدة لاحقًا ما هو سائد.. كيف حدث ذلك؟

– من المعروف أن الجماعات الدينية تقرر على متسببها برنامجًا تفقيهيًا مكونًا من سلسلة كتب منتقاة، وفعاليات فكرية مختلفة، وهذا يكسب المنتسب قدرًا من المعرفة الدينية، ثم إن الفرد نفسه – وهذا ما حدث معي – قد يكون إخلاصه لفكرة والمشروع كبيرًا وهذا يدفعه للمزيد من المعرفة النوعية، وتأسيس الفكرة نظريًا، والمزيد من المعرفة يكشف له جوانب القصور والعيب في الفكرة والمشروع، وكلما تحسنت معرفته نوعيًا تكشف له العيوب العميقة الأكثر خطرًا في الفكرة «العيوب الأصولية»، فإذا كانت شخصيته قوية ولديه نزوع للاستقلال واحترام الذات فإنه لا يقبل على نفسه السكون عن الخطأ، وهذا ما حدث معي عندما وصلت في النهاية إلى قناعة تامة بأن بناء الفكر الإسلامي التقليدي «الأصولي» قد قام على أسس هشة للغاية من المنظور الأصولي نفسه.

■ قلت إنك بصدد بلورة مشروع نظري متكامل في الفكر الديني يوزع عبر ثلاثة كتب، الأول منها هو كتابك «استعادة الإسلام»، الصادر حديثًا، أما الثاني فهو عن حجية الحديث المنسوب للنبي، والثالث فهو نظرية لفهم الظاهرة القرآنية.. فما الأهمية التي تمثلها المحاور الثلاثة تحديدًا في تجديد الفكر الديني الراهن؟

– هذه السلسلة من الكتب تشكل مشروعًا نظريًا متكاملًا، الأول منها يكشف عن حجم الخلل الذي حدث في الفكر الإسلامي وأسبابه، وهذا هو المهاد الضروري لإقناع القارئ بضرورة البناء الجديد بعد ذلك، وأظن أن كتاب «استعادة الإسلام»، قد قام بهذه المهمة بصورة كافية. إذ بين بوضوح صورة الانحراف المتدرج الذي حدث في النظرية الفقهية الإسلامية وظروفه، وما أدى إليه هذا التراكم الكمي من الانحرافات الجزئية من تحول نوعي، وكشف عن الدور المحوري للإمام الشافعي تحديدًا في تأسيس هذا التغير النوعي.

أما الكتاب الثاني في السلسلة ففرضه التوسع في مناقشة أخطر قضية في الفكر الإسلامي، وهي قضية حجية السنة النبوية وكلام النبي. لأن إسقاط دعوى الحجية الزعومة هو حجر الزاوية في مشروعنا النظري، وهو ما نعمل عليه منذ عشرين سنة تقريبًا. وهي قضية أصولية ونقدية كبرى حسمها سيودي إلى تغيير إيجابي

هاثل في العقل المسلم وفي الواقع الإسلامي. أما الكتاب الثالث فمن المقرر أن يكون بمثابة مقدمة نظرية في فهم الظاهرة القرآنية وتفسيرها. يقدم اجتهدًا جديدًا نسبيًا في نظرية اللغة القرآنية، وفي نظرية المعرفة القرآنية، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يسعى لوضع أساس نظري متين يمكن المسلم من بناء إجابات محكمة لأسئلة العصر والفلسفة المطروحة على الإسلام والقرآن.

■ يقوم أحد محاور الكتاب على أن الإسلام كما هو معروف اليوم قد تشكل بالانحراف عن إسلام القرن الأول الهجري. ما الذي دعماك إلى إطلاق صفة «الانحراف» على هذا التحول رغم أنه جاء بالضرورة استجابة لمعطيات تاريخية واجتماعية آنذاك؟

– لا بد من التمييز بين مفهوم الانحراف ومفهوم التطور الطبيعي. الذي حدث لم يكن تطورًا طبيعيًا بل سلسلة انحرافات جزئية بسيطة تراكمت، عبر قرن ونصف القرن تقريبًا، وانتهت إلى تحول نوعي، لم يتمكن الحس النقدي تفكرى الإسلام المتقدم من رصد واكتشافه في مهده، ووصف «الانحراف» هنا أهون وادق من وصف «التحريف»، لأنني أعتقد أن ما حدث لم يكن ناتجًا في مجمله عن قصد وتبدير، بل عن غفلة من العقل الإسلامي، وعن بدائية وضعف الحس النقدي الإسلامي في القرون الأولى، باستثناء ما حدث في المكون الشعبي، فإنه قد قام أساسًا على سلسلة من «التحريفات» المقصودة.

■ قلت إن النصوص التاريخية هي المستولة عن إنتاج التطرف في العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا، كيف اكتسبت هذه السلطة؟

– قصدت بالنصوص التاريخية الروايات الحديثة المنسوبة للنبي على سبيل الدين. هذه النصوص بعد أن أدرجها المسلمون في دائرة الدين والبلاغ المبين، صار لها مقام مهيمين على القرآن نفسه، صارت حاكمة على القرآن عمليًا وإن كان القرآن حاكمًا عليها نظريًا، حيث جعل لها الفقهاء سلطة تخصيص عموماته وتقييد مطلقاته وتفصيل مجملاته ونسخ بعض آياته عند البعض.. كل ذلك بزعم أنها مبينة له، والحقيقة أنهم جعلوها قاضية عليه متحكممة فيه كتحكم الحاكم على الخليفة في فترة ضعف الدولة العباسية.

هذه الترسانة من النصوص شكلت نسبة كبيرة من العقل الإسلامي التقليدي، ومن ثم شكلت نسبة كبيرة من أسباب أزمتيه. وكان الهدف من تصنيفها هو إبعاد العقل عن ممارسة دوره الطبيعي في فهم النص القرآني واستخراج كنوزه، على إثر انتصار تلك الفئة من الفقهاء التي تنتصر للنقل على حساب الرأي والعقل في تاريخنا الإسلامي.

■ برأيك.. ما الذي دسّم من رسوخ التوجهات الفقهية للقرون التالية حتى اليوم في الوقت التي ظلت فيه كل محاولات العودة إلى الاتجاهات المقاصدية تحارب بضراوة؟

– كانت تشكيلة معتدة من الملايسات التاريخية، منها تبني الدولة بعد عصر المأمون خط النقل على حساب خط العقل بسبب ظروف سياسية معروفة. ومنها بساطة النموذج النقلي نفسه بالنسبة للعقل الجمعي في عصور نشأة الفكر الإسلامي، وهي ليست بساطة الحقيقة التي يشير إليها مبدأ أوكام، بل بساطة العقل نفسه الذي يفضل الإجابات الجاهزة المصكوكة المريحة على الإجهاد الذهني.

## ما الذي تقصده بعلوم الحكمة في الإسلام والقرآن؟

– أعني علوم الفلسفة الإسلامية، نظرية المعرفة الإسلامية، فلسفة الاجتماع الإسلامي، فلسفة التاريخ الإسلامي، فلسفة الأخلاق الإسلامية، إلخ، هذه العلوم والمباحث ذات الأهمية الاستراتيجية للفكر الإسلامي.



الباحث عصام القيسي

وخطورة هذا النوع من الانحرافات التراكمية هو أنه يحدث في غفلة من العقل النقدي في بداية نشأته، ثم يأخذ شكل المسلمة بعد ذلك، ويعدها يقوم الأذكاء من العارفين بتسديد فجواته وترسيخ سلطته عبر سلسلة من الجهود الترقيقية التي يرونها تاصيلًا علميًا. ■ تقول إنه لا حاجة للمسلمين وللإسلام بالفقه في نظريته التقليدية ولا إلى علم أصول الفقه.. ما دافعك نحو الإجماع بذلك إن نظرنا إلى العلمين باعتبارهما تراكبًا في تراث الاجتهاد الديني استجابة لمعطيات مختلفة وليس بالضرورة أحكامًا

قاطعة ينبغي الرضوخ لها؟ – حساسية العقيدة الدينية وصرامة المنهجين الأصولي والفلسفي تفرضان على المرء أن يبدأ بتحرير مناطق التماس بين المقدس والديوي قبل الحديث في أي أمر، حتى لا تتداخل حدود الظاهريين الدينية والديوية، لأن هذا إن حدث يوقع المسلم في مظنة الشرك، وهي مسألة خطيرة من الناحية العقيدية، ويصيب العقل بحالة تضخم فكري يشبه التضخم الاقتصادي، وله نفس النتائج السلبية للتضخم في العقل الجمعي.. ذلك لأن تداخل حدود الظاهريين يعني الخلط أحيانًا بين ما هو مطلق وما هو زمني، ودخول الزمني/ البشري/ الوضعي/ في حدود الديني المقدس/ المطلق/ لا بد أن يؤدي إلى إفساد وظيفة هذا الأخير في الحياة.

وعليه ينبغي أولاً أن نحدد منزلة هذه الجهود الفكرية التي نسميها فقها وأصول فقّه من الدين: هل هي امتداد طبيعي للنص الديني أم انحراف عنه؟ وقد أثبت الكتاب أن النظرية الفقهية قامت على فرضيتين فاسدتين: الأولى تزعم أن الشريعة أطروحة شاملة على مستوى الأحكام التفصيلية، والأخرى تزعم ضرورة وجود نخبة من الفقهاء الذين يستنبطون هذه الأحكام من مظانها، وتقديدها للمستهلك المسلم على سبيل الدين.. فإذا صح أن هاتين الفرضيتين فاسدتان فإن ما بني عليهما يعد فاسدًا بالنتيجة. ولا بأس بعد ذلك من اعتبار التراث الفقهي جزءًا من تاريخ العقل الإسلامي.

■ أسهبت في محاولة إثبات دور الإمام الشافعي في ترسيخ سلطة النصوص على حساب سلطة العقل، فما السبب برأيك في تقديسه حتى اليوم وتشكيل صورته

### باعتباره إمام الوسطية؟

– الكتاب سعى لبيان الدور الخطير الذي قام به الشافعي في تأسيس الفكر الإسلامي التقليدي وتأسيس أخطر خرافتين فيه، أعني خرافة حجية الحديث النبوي الدينية، وخرافة حجية الإجماع، وكيف عمل على تقليص دور العقل في الفقه الإسلامي، بتمكين هاتين الخرافتين في بنية أدلة الأحكام، وبرفضه فقّه الرأي والاستحسان. وأما أن الشافعي إمام الوسطية فهو كلام لا رصيد له من ميراث الرجل قياسًا على أقرانه من أئمة المذاهب الفقهية الأخرى على الأقل، وقد أوضح الكتاب بجلاء أنه كان أكثر الفقهاء الأربعة تشددًا ونصوصية وأكثرهم تضيقًا على العقل.

ويبدو لي أن وراء شهرة الرجل وتسيده عرش الفقه أصران: الأول كونه صاحب مساهمة علمية مميزة هي تأسيس أصول الفقه، والأخرى كونه ينتسب إلى أرومة عربية قرشية صريحة على عكس صاحبيه أبي حنيفة ومالك، أما أحمد بن حنبل فقد كان تلميذًا تابعًا وليس نذا له. كما لا ننسى أن المسلمين قد دخلوا منذ القرن الخامس في دورة انحطاط، والشعوب التي تنحط تميل في الدين إلى المذاهب الأكثر تعصبًا ونصوصية وظاهرية، وهذا ما يعلته مذهب الشافعي الفكري والفقهي.

■ تدافع عن نموذج يستند فيه كل فرد إلى ضميره وخبرته بمقاصد الدين وقيمه.. هل تخزن أن كل فرد، على اختلاف المستويات الفكرية والتعليمية والتجارب الحياتية، قادر على أن يصل إلى استنباط فهم صحيح للنص القرآني؟ وكيف يمكن إذن فهم آية «وأسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون»؟

– الخطأ في هذا التصور هو افتراض أن على الفرد المسلم أن يصل إلى فهم صحيح لكل نصوص الإسلام ممثلة في القرآن، وأن يصل إلى حكم فقهي من الأحكام الخمسة في مختلف شئون حياته، أما الافتراض الأول فهو خطأ محض لأن المسلم غير مكلف بفهم القرآن جملة وتفصيلاً، هناك حد أدنى من القرآن هو اللازم في التكليف وعليه الحساب والعقاب باتفاق الجميع، وما عدا ذلك فليس على المسلم إثم إن جهله. لا يحتاج المسلم مثلاً لمعرفة أسرار القصص القرآني، لكنه إن عرف منها شيئًا ازداد فقها، وارتقى منزلة عند الله.

وتظل المساحة الحرة الواسعة في القرآن مجالًا لأهل الفكر والمعرفة يستنبطون منها النظريات والأفكار التي تخدم الحياة الإسلامية بناءً على مسلمة «الإسلام أطروحة شاملة على مستوى المبادئ والقيم لا على مستوى الأحكام»، وهذه مهمة يقوم بها الخاصة من المفكرين والمتأملون في هذه المساحة الحرة من القرآن يمكن أن يسمى فكرًا إسلاميًا لا بأس، لكن ليس واجبًا على كل مسلم أن يكون مفكرًا منتجًا للأفكار والنظريات! أما قوله تعالى «فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»، فلا صلة لها بتأصيل النظرية الفقهية كما يحاول الفقهاء. الآية في سياقها القرآني تخطب كفار قريش الذين استغفروا إرسال الله لآلبياء رجالًا بدلًا من إرسال الملائكة للناس، فرد عليهم القرآن: «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون». فاهل الذكر هنا هم أهل الكتب الدينية السابقة من اليهود والنصارى وليس الفقهاء، لكن العبارة تصلح على العموم للإرشاد، بحيث يكون المعنى: من الأفضل العودة لأهل الاختصاص عند الاختلاف في الرأي أو القيام بعمل يحتاج إلى رأي الخبراء المختصين.



الشعوب التي تنحط تميل إلى المذاهب الأكثر تعصبًا وظاهرية مثل مذهب «الشافعي»

النظرية الفقهية قامت على فرضيات فاسدة.. وما بُني عليها لاحقًا فاسد





وقال لى: تجدنى ولا تجدنى ذلك هو البعد، تصفى ولا تدركى بصفى ذلك هو البعد، تسمع خطابى لك من قلبك وهو مئى، ذلك هو البعد، تراك وأنا أقرب إليك من رؤيتك، ذلك هو البعد.



محمد بن عبد الجبار النفري

# تفكيك العقل المتطرف

3



محمود الشهاوى

لم يرتكن فؤاد زكريا إلى تفكيكه الأساس الفكرى لمشروع الإسلام السياسى، بمختلف تياراته وفى القلب منها جماعة الإخوان، وإنما عمل على تقديم مشروع مواز أو تصور مضاد، فإذا كانوا يرفعون شعار «الإسلام هو الحل»، فإنه، وقد كان منفردًا بين المثقفين المصريين والعرب- رفع شعار «العلمانية هى الحل».

والعلمانية، كما يعرفها فؤاد زكريا، ليست بديلاً للدين، وإنما ضرورة سياسية ودينية للحكم والإدارة، إذا كنا نريد للمجتمع أن يتقدم ويلحق بركب الحضارة، وقبل هذا إذا كنا نريد أن نحصى الدين ذاته وننزهه عن سوءات السياسة.

ومن هذا المنطلق يقدم، فى كتابه «الصحة الإسلامية فى ميزان العقل»، الصادر فى 1987، إجابة وافية عن سؤال «لماذا العلمانية ضرورة الآن دون تأخير؟»، مفندًا

## فؤاد زكريا: العلمانية ضرورة اجتماعية وسياسية



ومن جهة ثانية، فإن هذه الحاكمية الإلهية تُهتَل فكرة مستحيلة التطبيق: لأن الشرع الإلهى لا يطبّق إلا بواسطة البشر، ولأن توسط الإنسان لا غناء عنه عند إنزال أى حكم إلهى من السماء إلى الأرض، ومن ثمّ يمكن بسهولة أن تتحول حاكمية لله إلى حاكمية للبشر.

ومن جهة ثالثة، فإن هذه الحاكمية الإلهية التى تزعم أنها تنقل رسالة السماء إلى الأرض، أخطر وأشدّ ضرراً بما لا يقاس، من أى حكم بشرى يتقدم إلى مجتمعه بوصفه بشرياً، لأن الأخير قابل للتخطئة والتغيير، بينما الأول يضى على الإنسان الذى يطبقه عصمة لا يملكها، ويخلع عليه قداسة المصدر السماوى الذى يزعم أنه هو الناطق باسمه، فيصبح من المستحيل ردّ إلى الصواب، ويغدو القمع والاضطهاد هو القاعدة فى تعامله مع كل من يحاول تنبيه المجتمع إلى أخطائه.

رابعاً: وأخيراً، فإن التعامل السياسى بين مختلف المجتمعات البشرية يصبح أمراً بالغ الصعوبة إذا لم يستند على أسس علمانية، فحين يصبح أساس التعامل دينياً، قد ينقسم الولاء داخل المجتمع الواحد ما بين أصحاب العقائد المختلفة، فيتجه ولاء مسلمى الفلبين، مثلاً، إلى إندونيسيا، ويتجه ولاء مسيحيى لبنان، مثلاً، إلى فرنسا، ويستتبع ذلك وقوع الكوارث الطائفية التى لا تزال مجتمعاتنا المعاصرة عاجزة عن التحرر منها.

ومن جهة أخرى، فإن تطور التاريخ والحضارة جعل أصحاب الدين الواحد، المنتشرين فى دول مختلفة، يحملون اتجاهات شديدة التباين فى أمور السياسة والاقتصاد. ولو حل الولاء الدينى محل الولاء الوطنى أو القومى لدبت الفوضى فى العلاقات بين أمثال هذه المجتمعات، وذلك لسبب بسيط هو أن اشتراك المجتمعات المختلفة فى دين واحد لم يصبغها بصيغة واحدة فى تفكيرها السياسى واتجاهاتها الاقتصادية والاجتماعية، وإنما نجدها فى واقع الأمر مختلفة فى كل شىء ما عدا الدين.

ومن هنا أصبح من الطبيعى أن تتخذ الدول مواقفها مع الدول الأخرى وفقاً لمصالحها، لا وفقاً لدينها، فتميل دول إسلامية كثيرة إلى الانحياز لموقف المسيحيين فى النزاع بينهم وبين المسلمين فى قبرص، أو إلى جانب الهند فى صراعها مع باكستان الإسلامية، وهلمّ جرا.

وبالطبع فلسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى تلك الحقيقة التى نبّه إليها الكثيرون من قبل، وهى أن إقامة تكتل من الدول على أساس إسلامى لا بد أن يترتب عليه إقامة تكتل آخر على أساس مسيحي، وتعدد التكتلات الدينية تختل الموازين الدولية، وتقوم صراعات من نوع جديد، يغيد إلينا صورة الحروب الصليبية وغيرها من حروب الطوائف والأديان.

لو تأملنا الأمر بنظرة واقعية لوجدنا أن جميع الدول التى أعلنت رفضها الصريح لأى مبدأ علمانى، وقررت إقامة سياستها على أسس دينية، لا تطبق هذه الأسس فعلياً فى معاملاتها الدولية، بل إن هذه الدول، حين تخلت عن العلمانية، أصبحت من أقل دول العالم استقلالاً، وأشدّها خضوعاً للنفوذ الأجنبى (الذى تقرضه دول الغرب المسيحية).

وكيفى فى هذا الصدد أن نقارن بين إندونيسيا سوكارنو وإندونيسيا سوهارتو، وبين باكستان بوتو وباكستان ضياء الحق، وبين السودان النميرى. وهكذا الديمقراطية وسودان النميرى. وهكذا تبود العلمانية شرطاً ضرورياً من شروط التعامل السليم بين الدول فى المجتمعات الحديثة، على حين أن العودة إلى أسس أسبق تاريخياً منها، كالأساس الدينى، تؤدى إلى الاختلال الشديد فى العلاقات الدولية.

يتعارض مع رأينا السابق: إذ إن الحكم الإسلامى قد كفل تلك الحريات بقدر ما ابتعد عن التعصب وعن خرفية التفسير فى فهم الأحكام الدينية، ولجأ إلى الاجتهاد والتحرر الفكرى بقدر لا يختلف كثيراً عما يدعو إليه العلمانيون. ولأشك أن الحكم العربى فى الأندلس لم يكن إسلامياً إلا بمعنى فضفاض إلى أبعد حد، أما العصور أهدرت فيها معظم الحريات الأساسية للإنسان.

ثالثاً: تضىف العلمانية على الإنسان المكانة التى يستحقها، فهى لا تؤله ولا تقول بعصمته من الخطأ، وإنما هى تعترف بحدودية عقل الإنسان وعجزه عن تحقيق الكثير مما يتجه إليه طموحه، غير أنها تعترف فى الوقت ذاته بأن عظمة الإنسان تكمن على وجه التحديد فى سعيه الدائم إلى تجاوز عجزه وقصوره، وتذكر عن وصى أن الإنسان حقق فى هذا المضمار إنجازات رائعة، وما زال ينتظر ما هو أعظم كثيراً مما حققه. فالحضارة البشرية ليست إلا سعى هذا الكائن، الذى يعى جيداً حدوده وقصوره، إلى تجاوز ذاته. وهذا ينطبق على كافة مجالات الحضارة، ولكن ما يعيننا هنا هو الميدان السياسى والاجتماعى.

فليس فى وسع أحد الادعاء بأن النظم التى وضعها الإنسان لنفسه كاملة. غير أن إدراك الإنسان لقصور هذه النظم هو الذى يدفعه إلى تحسينها بلا انقطاع. وخلال كل مرحلة فى هذه العملية التى لا تنقطع، يكتب الإنسان مزيداً من الخبرات، ويعمل على تقليل أخطائه والارتفاع بمستوى إنجازاته. والأهم من هذا كله، أن الإنسان يكتب مزيداً من الثقة فى نفسه، ويصبح مساره كلما تراكمت تجاربه، بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات.

غير أن خصوم العلمانية يحملون فى داخلهم قدراً هائلاً من الاحتقار للإنسان، لا يعلنونه عن المأر. وربما لم يكونوا على وعى تام به، ولكنه كامن فى صميم تعاليمهم، فأكبر الكبار عندهم، فى ميدان السياسة وتدير شؤون المجتمع، هو أن تستمد السلطة السياسية شرعيتها من الإنسان، ومن الشعب، وأن يكون تشريعها مستمداً من التجارب والخبرات التى تتركهم لدى المجتمعات البشرية؛ ذلك لأن كل ما يصدر عن الشعب، أو عن الإنسان عامة، موصوم لديهم بالتلوث والتخبط والإخفاق.

ولفظ «الوصعى» الذى يصفون به القوانين البشرية، ويحتنون به ما هو من وضع الإنسان، أصبح من النفاظ والتجريب والتحقيق، ولدى معظم هذه الاتجاهات بغض كامن للديمقراطية، لا مجرد أنها تعنى «حكم الشعب»، وهو البغض الذى يغلف بإطار من التمسك بالتراث، فيقال إن اللفظ يونانى يغبر عن تجربة غربية عن أصالتها. ويتخذ هذا البغض للديمقراطية، وهذا الاحتقار الدفين للشعب، شكلاً مؤسسياً حين توضع «الشورى» فى مقابل الديمقراطية، ثم يترك الأمر للاختلاف حول ما إذا كانت الشورى ملزمة للحاكم أم غير ملزمة.

وفى غمار هذا الاختلاف ينسى الجميع أن نقطة البدء فى الشورى تأتى من الحاكم؛ لأنه هو الذى «يشاور»، على حين أن نقطة البدء فى الديمقراطية لا بد أن تأتى من القاعدة، أى من الشعب، وهو فارق هائل. كما ينسون أن الشورى إذا ما طبقت تطبيقاً يتلاءم مع ظروف العصر، لا بد أن تصبغ فى نهاية الأمر شكلاً من أشكال الديمقراطية، ولا بد أن تخرج عن الإطار الفردى الاستبدادى.

ولا جدال فى أن فكرة «حاكمية لله»، التى طرحها سيد قطب، وردتها من بعده جماعات كثيرة اتخذت من تعاليمه نقطة انطلاق لها، تلخص موقف هذه الجماعات فى عدم الثقة بالإنسان. ويرتكز هذا الموقف على استغلال الأخطاء التى يقع فيها الشعب لكى يثبت أن هذا الشعب ينبغي أن يظل فى حالة وصاية دائمة، وأنه بالتالى عاجز عن تدبير أموره بنفسه.

الحكم الدينى يغرى الحكام باستغلال قداسة الدين لإضفاء العصمة على أخطائهم



سيد قطب

تسييس الدين يئزله من عليائه ويربطه بجو المناورات والصفقات والمصالح



أولاً: أصبح تسييس الدين، فى العقدين الأخيرين، أمراً يتسع نطاق الاعتراف به يوماً بعد يوم، بل يبدو أن المعارضين عليه بدأوا يتراجعون، فأصبح اعتراضهم مُنصباً على التفاصيل، على حين أن المبدأ العام أصبح مقبولا لدى أعداد متزايدة منهم. وأصبح من الاعتقادات المتداولة على أوسع نطاق، القول إن إبعاد الدين عن السياسة ينطوى على انتقاص من قدر الدين، وتضييق غير مشروع لنطاقه، ووصل الأمر بأحد المفكرين الذين يحرصون على الاحتفاظ بصورة «الاعتدال»، أمام الرأى العام الإسلامى، إلى حد ابتداء تغيير «الإسلام السياسى» للدلالة على موقف خصوم «الإسلام السياسى».

ومن المؤكد أن الزحف المتزايد لقوى الإسلام السياسى قد نجح، إلى حد لا يشتهان به، فى تأكيد مبدأ كان حتى عهد قريب مرفوضاً رفضاً قاطعاً: هذا المبدأ هو: تدخل الدين فى شئون السياسة، أو تنظيم السياسة وفقاً لمبادئ الدين، فحتى الستينيات من هذا القرن كانت نسبة كبيرة من المشتغلين بالسياسة، حتى المتدينين منهم، تؤمن بأن فصل الدين عن السياسة من الأمور البديهية التى لا تمنى على الإطلاق انتقاصاً من قدر الدين. ولكن جو الإرهاب الدينى الذى فرض علينا منذ السبعينيات أرغم الكثيرين على قبول الفكرة القائلة إن الدين ينبغي أن يكون شاملاً لجميع جوانب الحياة، وضمنها الجانب السياسى والاجتماعى، وإن من يقولون بغير ذلك يسعون إلى خنق العقيدة بحبسها فى أضيق الأطر.

والواقع أن السياسة، بمعنى إدارة شئون الحكم فى مجتمع معين، هى بطبيعتها فن متغير، يقوم على الممارسة المرتكزة – فى الأحوال المثلى – على مجموعة من المبادئ القابلة بدورها للتغيير. ولا معنى فى السياسة لعبارة «صالح لكل زمان ومكان»، لأن المرونة – حتى بالنسبة إلى المبادئ الأساسية – تشكل جوهرها. وأبسط معرفة بتاريخ البشرية يثبت أن السياسة لا تعرف شيئاً أزلياً، وأنها هى فن التواءم مع أوضاع البشر شديدة التقلب.

ومن ناحية أخرى، فإن السياسة تفترض الاختلاف وتعدد وجهات النظر وتباينها، وأساس مهمتها هو العمل على تغليب اتجاه معين على الاتجاهات الأخرى، على حين أن الأديان تسعى إلى أن تكون شاملة، وكل دين يهدف إلى أن يسرى على الإنسانية جمعاء. وأخيراً فإن أغلب الممارسات السياسية تنتمى إلى عالم الوسائل، وتستخدم فيها أساليب ومروغات تخرج عن عالم الغايات والمثل العليا الذى ينتمى إليه الدين. وبهذا المعنى فإن تسييس الدين يلحق به ضرراً بالغاً؛ إذ ينزله من عليائه ويربطه بجو المناورات والصفقات والمصالح، الذى ينبغي أن يظل الدين مترففاً عنه.

وهكذا يؤدى تسييس الدين إلى مأزق لا مخرج منه: فإذا مارسنا هذه السياسة المرتكزة على الدين بالطرق المألوفة فى عالم السياسة، كان معنى ذلك الهبوط بالدين إلى مرتبة الانتهازية والتأمر، وإذا تمسكنا فى تلك السياسة بالمثاليات الدينية كانت نتيجة ذلك عجزاً كاملاً عن التعامل مع عالم يمارس السياسة بطرق دينوية خالصة. ثالثاً: أثبتت التجربة التاريخية أن نطاق الحريات يتسع كثيراً فى ظل الحكم العلمانى عنه فى أى مجتمع تدار فيه شئون السياسة على أساس دينى، فالحكم الدينى يغرى الأغلبية باضطهاد الأقلية، ويغرى الحكام باستغلال قداسة الدين من أجل تبرير تصرفاتهم وإضفاء العصمة على أخطائهم. وكثير من حقوق الإنسان الأساسية، ولا سيما حرية الاعتقاد والتفكير، تقيد أو حتى تهدر إذا كان الحكم يركز على وجود حقيقة مطلقة يغد كل ما يخالفها زندقاً وتجبىفاً.

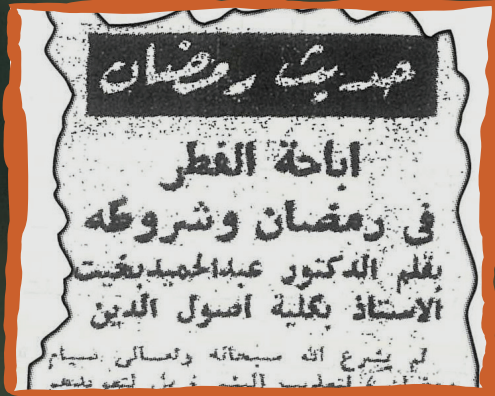
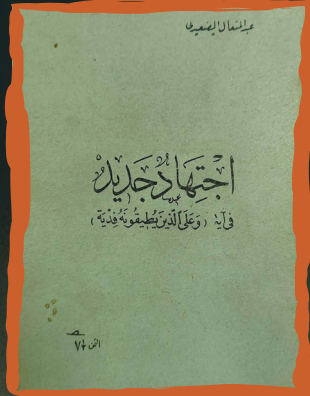
وبالطبع فإن الرد الجاهز على هذا الاعتراض هو الإشارة إلى ذلك المدى الواسع من التسامح مع الأقليات، الذى عرفته عصور إسلامية زاهية، كالعصر الأندلسى على سبيل المثال. وتلك حقيقة تاريخية لا تنكّر، غير أن تفسيرها لا





محمد بن عبد الجبار النفري

أوقفني في الحزن، وجاءني بكل حزين، فرأيت حزن كل حزين على فوته، لا على شيء منه، ولا على شيء به، ولا على شيء له. ورأيت كل حزين لا يحزن على فوته إلا أن يراه.



دراسة عمرها 70 عامًا تفتح لنا الباب

# عبد المتعال الصعيدي في مواجهة الشيخ بخيت

في عام 1955 وقبل أيام من شهر رمضان، الذي بدأ 23 أبريل، حمل الشيخ عبد الحميد بخيت، المدرس بالأزهر، مقالاً مطولاً لينشره في جريدة الجمهورية، لكن المسؤولين بها رفضوا النشر، فتوجه به إلى جريدة الأخبار، التي احتفت به وبمقاله ونشرته، لتبدأ واحدة من معارك التفكير الكبرى في مصر.

مقال الشيخ بخيت كان عنوانه، «إباحة إفطار رمضان وشروطه».

العنوان لا شيء فيه، فكتب الفقه لا تعدم حديثاً مطولاً عن الحالات التي يباح فيها الإفطار، لكن الشيخ بخيت قفز بالمجتمع كله إلى مساحة خطيرة، فهو لا يتحدث عن الإفطار لمن كان مريضاً أو على سفر كما يفهم عموم الناس، ولكنه -وكما ذهب في مقاله- يرى أن من يشق عليه الصوم أو يضايقه له أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً، ومن لم يجد فلا جناح عليه في أن يفطر ولا يطعم.

منح الشيخ بخيت الحق لمن يضايقه الصوم بأي طريقة أن يفطر ويطعم، وحق من لا يستطيع أن يطعم فلا حرج عليه أن يفطر.

## الباز

وظيفته دون أن تفصله.

في الأرشيف الصحفي يمكننا أن نجد تفاصيل هذه المعركة، لكننا لن نجد وثيقة مهمة جداً، وهي عبارة عن دراسة أصدرها الشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتيب صغير عنوانه، «اجتهاد جديد، في آية «وعلى الذين يطيقونه، فقد كان الرأي الذي صاغه الشيخ بخيت عبارة عن تفسير جديد لهذه الآية، فرد عليه الصعيدي باجتهاد جديد.

قدم الصعيدي لدراسته بقوله: جاء في قوله تعالى من هذه الآيات «وعلى الذين يطيقونه، قراءات وتأويلات واختلافات ذهب فيها المتقدمون من المفسرين والفقهاء مذاهب شتى، بلبلت الآية وجعلت توجيهها مستغلقاً، إلى أن أتى الشيخ بخيت بمقاله الذي نشره في جريدة الأخبار، فذهب فيها مذهباً زادها بلبله، ولم ينتهز أحد هذه الفرصة لتوجيه الآية توجيهاً جديداً يليق بأسلوب القرآن، في وضوح معناه وعدم التواءه وتعتيقه، حتى لا يعثر فيها عاثر، ولا يخطئ فيها مخطئ، وكان هذا أهم من الغلو في أمر الشيخ عبد الحميد بخيت، والإسراف في التعصب عليه أو له، فرأيت أن أقوم بهذا الواجب في هذه الرسالة.

لن أنشر هنا دراسة عبد المتعال الصعيدي كاملة، ولكني سأكتفي بشرح أجزاء منها تساعدنا في تكوين صورة كاملة عن هذه المعركة الفكرية، التي كانت نموذجاً كاشفاً للمجتمع، فلدنيا من يجتهد ولدنيا من يريد أن يحجر على التفكير، ولدنيا مجتهدون مجددون يعرفون قيمة الدين، فما كتبه الصعيدي لم يكن موافقاً لما قاله بخيت، بحث ودرس وقدم اجتهاداً جديداً، لكن للأسف الشديد فإن الأصوات العاقلة تنهت منا في الزحام.

بيئاً يتراجع فيه عن رأيه بإباحة الإفطار في رمضان على إطلاقه، في مقابل أن يعلن شيخ الأزهر عن أنه لن يسحب منه شهادة العالمية.

وبالفعل قبل ثلاثة أيام من خضوع الشيخ بخيت إلى التحقيق، أرسل بياناً إلى جريدة الجمهورية يعلن فيه تراجع، معللاً الأمر بأن هناك أخطاء وقعت في مقاله بسبب الأخطاء المطبعية والتفسيرات اللغوية، لكن وبعد ساعة واحدة من وصول البيان إلى جريدة الجمهورية تواصل معهم الشيخ بخيت تليفونياً وطلب عدم نشر البيان.

بدأ الشيخ بخيت أمام الوسطاء وأمام الصحفيين الذين علموا بالبيان رجالاً متردداً، لكنه في الغالب لم يكن كذلك، فقد استمع إلى نصيحة محاميه، الذي اقترعه بأن هذا البيان يمكن أن يضر موقفه القانوني ضرراً كبيراً.

يوم ١٩ يونيو ١٩٥٥ وقف الشيخ بخيت أمام مجلس التأديب الذي رأسه الشيخ الحسيني سلطان وكيل الأزهر، وبعد مرافعات وجدل ونقاش، صدر حكم المجلس نضاً بمواخضة الشيخ عبد الحميد بخيت بتنزيله من وظيفة التدريس إلى وظيفة أخرى غير وظائف التدريس وما يتصل بها.

لجنة التأديب أعلنت عن أن الشيخ بخيت كان يستحق أقصى عقوبة تأديبية، وهي الفصل من وظيفته، إلا أن اللجنة رأت أن تأخذه بالرحمة، خاصة بعد أن أعلن عن تراجع.

قبل أن يبدأ التحقيق مع الشيخ بخيت، قال: أشعر بأنني جندي يناضل لتحطيم الوثنية الدينية، لكن فيما يبدو أنه أمام اللجنة تراجع قليلاً عن رأيه وموقفه، ما جعل اللجنة تتعامل معه في الغالب بالرحمة، فأنزلت

واكتنار العقلية الرسمية في رأس الأزهر والهوى الغرض وشهوة الانتقام، كل هذا دفع إلى ذلك التصرف الفاضح، وكان في إمكان مشيخة الأزهر والأجدر بها، عقب نشر الحديث، لو كانت تريد مصلحة الدين والمصلحة العامة، أن تجمع أساطين أعيانها وكبار علمائها الرسميين وترد على الحديث بشكل علمي بحث، وينشر ويناد على العالم الإسلامي يخاطبه بدلاً من المهارات التي أنزلت من شأن العلماء في نظر المسلمين.

ويضيف الشيخ عبد الحافظ: حرية البحث يجب أن تكون مكفولة للجميع، والإسلام في جميع تشريعاته يؤيد البحث الحرو والاجتهاد الصادق.

لم يكتف الشيخ عديريه بذلك، بل قال: جماعة العلماء الأحرار، التي انتشرت بعضويتها، تعلنها حرماً شعوا ضد مصادرة العقول التي لم ياذن بها الله، ولو كان التعرض لهذه المصادرة من شيخ الأزهر نفسه، ولو قدمنا إلى المحاكم، ومرحباً بالألم في سبيل العقيدة والمبدأ، فهو وسام شرف أعترز به.

الشيخ بخيت نفسه أعلن عن موقفه بقوله: أنا أعترض على تشكيل لجنة لمحاسبة الناس على أفكارهم، ولا يمكن أن يقر عقل وجود طبقة تحاسب الناس على ما يرون ويعتقدون، إذ إن هذا ضرب من الكهنوتية التي ناهضها الإسلام وقضى عليها.

لم يخض الأزهر، سار في طريق المحاكمة، ما جعل الشيخ بخيت يعلق، فهو في النهاية يعمل في الأزهر، عمله هو مصدر رزقه.

كانت هناك وساطات من بعض أستاذة الأزهر، كان هناك من يريد ألا يقع الأزهر في مازق محاكمة باحث على رأيه، وتوصل الوسطاء بالفعل إلى أن يصدر الشيخ بخيت

بهذا الأستاذ- يقصد بخيت- ليعظه وينصح له برفق ويطلب منه الاحتياط قبل أن ينشر على الناس، وألح طه حسين على ضرورة إنهاء هذه القضية التي لا خير فيها للأزهر ولا لمصر ولا للإسلام.

دفاع طه حسين عن الشيخ بخيت، قسم الأزهريين إلى قسمين.

القسم الأول ومثله غالبية الأزهريين الذين طالبوا برجم الشيخ بخيت أو حرقه حياً، واكتفى البعض بالمطالبة برفع دعوى للتفريق بينه وبين زوجته لأنه مرتد وزواجه من مسلمة باطل، وذهب بعضهم إلى النيابة وطالبوها بالبقاء القبض عليه لأنه أصبح خطراً على المجتمع.

القسم الثاني كان موقفه مشرقاً ومشرقاً، فقد توافق عدد من أعضاء هيئة التدريس بكلية الأزهر على أنه ليس من مصلحة العلم والدين مصادرة الآراء والحرية، وليس من العقل تهديد الباحثين بالحكمات والاضطهاد.

أصدر هؤلاء الأساتذة بياناً ووقعوا عليه، والمفاجأة أن عدداً من هؤلاء الأساتذة أسسوا حركة أطلقوا عليها «جماعة العلماء الأحرار»، وأعلنوا عن أن هدفهم هو النهوض بالأزهر وإظهار ما في الإسلام من سماعة وتجديد يتوافقان مع ما في الحياة من مستجدات.

ما رأيكم أن نستمع إلى ما قاله أحد أعضاء هذه الحركة «جماعة العلماء الأحرار».

اسم الشيخ عبد الحافظ عديريه، وقال: إن مشيخة الأزهر لم تعد تحترم نفسها، أثارت الزواجر والأعاصير في وجه أحد كبار العلماء، لا لذنوب جناح إلا أنه يقول أيها الناس احترموا عقولكم ولا تحبسوها، مع أن الذي ذكره فضيلة الشيخ بخيت ليس بجديد ولا مفتري على الإسلام، وإنما هو من صميمه وواقعه، ولكن ضيق الأفق

يمكن أن تعتبر هذا مجرد اجتهاد، تتفق معه أو تختلف، لكن ما يشغلني- ومؤكد أنه سيفشل- هو الحالة التي خلفها هذا المقال وراءه، لقد وجد المجتمع المصري نفسه أمام حالة حوار كبرى على هامش معركة فكرية بين الشيخ عبد الحميد بخيت وعلماء الأزهر، وقف في القلب منها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

بعد أيام من نشر المقال، أصدر الأزهر بياناً أدان فيه الشيخ بخيت، وأعلن بوضوح عن أن ما كتبه في مقاله مخالفة صريحة لقوله تعالى «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، وما قاله لا يستند إلى دليل أو حتى شبه دليل، والإجماع على أن تقتصر الرخص في الإفطار على ما أقرته الشريعة، فهي للمريض والمسافر فقط.

لم يكتف الأزهر ببيانه، بل قرر إحالة الشيخ بخيت إلى لجنة تحقيق.

لم يعترض أحد على بيان الأزهر، فهو في النهاية مواجهة لرأي برأي آخر، لكن الاعتراض كان بعد أن قرر الأزهر إحالة بخيت إلى لجنة تحقيق.

أبلغ الأزهر الشيخ بخيت بالتحقيق معه بخطاب رسمي، جاء فيه: حضرة السيد المحترم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد بخيت، تقرر انعقاد اللجنة المؤلفة للتحقيق العلمي معكم في تمام الساعة ١٢ ظهر اليوم بمكتب فضيلة السكرتير العام للجامع الأزهر بالإدارة العامة، فعليكم الحضور في الزمان والمكان المشار إليهما.

كانت هناك حالة صمت على ما يحدث للشيخ بخيت: حتى كتب الدكتور طه حسين في ٦ يونيو ١٩٥٥ في جريدة الجمهورية مقالته «حق الخطأ»، وهو المقال الذي طالب فيه شيخ الأزهر وكان وقتها الشيخ عبدالرحمن تاج أن يأتي





محمد بن عبد الجبار النفري

أوقفق فى الصفح الجميل وقال لى: لا ترجع إلى ذكر الذنب فُتُذنب بذكر الرجوع، وقال لى: ذكر الذنب يستجُرُك إلى الوجد به، والوجد به يستجُرُك إلى العود فيه.



مجلس التأديب الذى انعقد لمحكمة الشيخ بخيت

معركة

الشيخ

بخيت

## الشيخ عبد الحميد بخيت: شريعة الإسلام الحقيقية فى صيام رمضان

ما يجب عليهم نحو أنفسهم أو عيالهم أو دولهم أو الإنسانية، بوجه عام فإن لهم أن يفطروا جهازاً نهاراً، وعلى القادرين منهم أن يفتقدوا فيتصدقوا كل يوم يفطرونه بإطعام مسكين أو قيمته، تلك شريعة الإسلام فى رمضان، لا تتريب على من يفطر بعده، ولا يعترض صائم على مفطر، فالناس أدرى بأعذارهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

والأمكنة الثمانية فيأكلون ويشربون، وذلك لنلا يراهم الجائعون المقلدون لأبائهم فى الصوم فيسخرزون منهم، مع أن بعضاً من هؤلاء المفطرين أحسن ديناً وخُلُقاً من كثير من الصائمين- إلخ إلخ. إن شريعة الصوم لم تفرض إلا على الشغوفين به، القادرين عليه، الذين يؤدونه بدون ما برم أو ضجر، وأما الذين يطبقونه بمشقة وإرهاق قد يعوقهم عن أداء بعض

ولا يطلب إليهم شيئاً يضايقهم ويعقد الحياة لديهم، ومن هنا رخص الله الإفطار لمن يؤذيهم الصوم ولو قليلا من الأذى، فمن يشق عليه الصوم أو يضايقه فإن له أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً، فمن لم يجد فلا جناح عليه أن يفطر ولا يطعم. نقول ذلك إذ شهدنا ونشهد كل يوم مئات من المؤمنين يشق عليهم الصوم، فيذهبون إلى الخلوات

قال الله فى القرآن الكريم «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملاوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون». أجل يريد الله بالناس اليسر والبساطة والسهولة،

لم يشرع الله سبحانه وتعالى صيام رمضان لتعذيب البشر، بل لتعويدهم الصبر على المكارة، وقوة الاحتمال فى النوازل، ولعلمهم يتقون ربهم إذ يذكرون رحمة الله بالناس، بإنزال الدستور الجامع المنظم لجميع شئونهم الدنيوية والأخروية، مما يحفزهم للتفرغ لمشاكل الحياة الأخرى التى تعرض للأمم والحكومات، فحكمة مشروعية الصوم هى كما

## قراءات وتأويلات واختلافات فى آية «وعلى الذين يطيقونه فدية»

## اجتهاد الصعيدى «1»

نعود إلى ما فى آية «وعلى الذين يطيقونه فدية، من قراءات

وتأويلات واختلافات لبيان سببها أولاً، ولتفصيلها ثانياً.

فأما سببها فهو أنهم فهموا خطأ أن ظاهر الآية يفيد إباحة الفطر لمن يطيق الصوم أى يستطيعه مع إعطاء الفدية «طعام مسكين»، وهذا الظاهر عندهم باطل بإجماع المسلمين، لأن الصوم فرض على كل من يطيقه، ولا يجوز له أن يفطر ويطعم مسكيناً عن كل يوم يفطره، فلما وقعوا فى ذلك الخطأ اضطروا إلى الوقوع فى تلك القراءات والتأويلات والاختلافات، وتكلفوا فيها ما تكلفوا ليضروا مما وقعوا فيه.

أولاً: بعضهم قرأ الآية «وعلى الذين يطُوقونه، بتشديد الواو وفتحها، أى يكلفون الصوم ولا يطيقونه، من الشيخ الكبير والمريض الذى لا يرجى شفاؤه ونحوهما.

ثانياً: بعضهم قراها «وعلى الذين يطيقونه، بتشديد الباء وكسرها، أى يتكلفون الصوم ولا يطيقونه كالقراءة السابقة، ولكنها بالبناء للفاعل.

ثالثاً: بعضهم قراها «وعلى الذين يُطِيقونه، بتشديد الطاء والياء، أى يتكلفون الصوم ولا يطيقونه، وهى بالبناء للفاعل كالقراءة السابقة.

رابعاً: بعضهم قراها «وعلى الذين لا يطيقونه، بزيادة لا النافية مع تخفيف الباء كالقراءة المشهورة، أى لا يستطيعون الصوم كالقراءات السابقة.

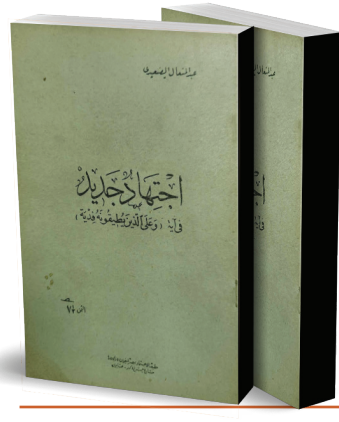
وقد ذكر القاضى ابن العرى أن القراءة هى القراءة المشهورة «يطيقونه، بتخفيف الباء وعدم زيادة لا وأن ما عداها من القراءات شاذ وإن روى وأسنده، والقراءة الشاذة لا يتبنى عليها حكم، لأنها لم يثبت لها أصل.

وذكر ابن جرير الطبري أن هذه القراءات مخالفة لصاحف الإسلام، وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأى على ما نقله المسلمون وراثة عن نبهم صلى الله عليه وسلم نقلاً ظاهراً قاطعاً للعد، لأن ما جاعت به الحجة من الدين هو الحق الذى لا شك فى أنه من الله، ولا يصح الاعتراض عليه بالأراء والظنون والأقوال الشاذة.

القراءات والتأويلات فى القراءة المشهورة كثيرة أيضاً مثل تلك

خامساً: بعضهم أبقاها على ظاهرها عندهم من إباحة الفطر لمن يطيقون الصوم ووجوب الفدية عند الفطر، وذهب إلى أن هذا كان فى أول فرض الصوم، من أطاقه من المقيمين صامه

وإن شاء، وإن شاء أفطره وافقدي، فأطعم لكل يوم أفطره مسكيناً، حتى نسخ ذلك بقوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر، فوجب الصيام على الصحيح المقيم، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام». وقيل إن ذلك نسخ للشيخ الكبير إذا أطاق الصوم، ثم نسخ تعلمون، وقيل إن ذلك كان مرخصاً للشيخ الكبير إذا أطاق الصوم، ثم نسخ هذا، فإذا لم يطقه كان له أن يفطر ويفدى.



### الخلاصة أنه لا رخصة لأحد من المسلمين

### المكلفين فى إفطار رمضان بغير عذر

بعيد أيضاً، لأنه لا معنى للترخيص بذلك للشيخ الكبير وحده ثم نسخه مع قيام سبب الرخصة فيه وهو كبره، فعدالة التشريع الإلهي تأبى مثل هذا، والمحقول فى دعوى النسخ فى الآية ما سبق من أن ذلك كان فرض الصوم أولاً لكل مطلق له، لا للشيخ الكبير وحده. عاشرًا: وبعضهم ذهب فى تأويل الآية إلى أن معنى قوله «يطيقونه، بتخفيف الباء يتكلفونه، لأن الطاقة اسم للقدرة مع المشقة بخلاف التوسع، أو لأنه لا يقال فى العرف للقادر القوى إنه يطيق هذا الفعل، وإنما يقال لمن يقدر عليه مع ضرب من المشقة، أو لأن «يطيقونه، ماضياها أطاق، والهزمة فيه للسلب، كأنه سلب طاقته، بأن كلف نفسه من المجهود ما سلب طاقته عند تمام بدله، وهذا التأويل متكلف أيضاً، لأن الظاهر أن قوله «يطيقونه، بمعنى يستطيعونه، وهو قول أكثر المفسرين والفقهاء، وهم الذين ذهبوا إلى أن الآية منسوخة، فالمتبادر من قوله «يطيقونه، يستطيعونه لا يتكلفونه بمشقة، وفى حمل الشئ على غير المتبادر منه تكلف، ولكن من يتكلف هذا التأويل يؤثر على تكلف النسخ فى الآية، فكل منهما حينئذ متكلف عند الآخر، وإنما يؤثر كل منهما تكلفا على تكلف.

فالمجهور على أن الشيخ الهرم إذا أفطر فعليه الفدية، ومثله المريض الذى لا يرجى شفاؤه، أما الحامل والمرضع إذا أفطرتا فذهب الشافعى إلى أن عليهما الفدية أيضاً، لأن قوله «وعلى الذين يطيقونه فدية، يشملهما، وفرق أبوحنيفة بينهما وبين الشيخ الهرم، لأنه لا يمكن إيجاب القضاء عليه، فلا جرم وجبت عليه الفدية، أما الحامل والمرضع فالقضاء واجب عليهما، فلو أوجبنا عليهما الفدية كان هذا جمعا بين البديلين، وهو غير جائز، لأن القضاء بدل، والفدية بدل، فلا يصح الجمع بينهما.

وذهب أحمد فيمن به شهوة الجماع غالبية لا يملك نفسه ويخاف أن تنشق أنثياه إلى أنه كالمرضى يفطر ويطعم، ومثله من يخاف على نفسه الهلاك لعطش أو نحوه، فأوجب الإطعام بدلا عن الصيام، وهذا محمول على من لا يرجى إمكان القضاء، فإن جاع ذلك فلا فدية عليه، والواجب انتظار القضاء عند زوال العذر. وذهب مالك إلى أنه لا يجب على الشيخ الكبير الذى يجده الصوم ويشق عليه مشقة شديدة شئ من صيام أو فدية، لأنه ترك الصوم لعجزه فلم تجب فدية، كما لو تركه لمرض اتصل بالوت. وذهب الليث إلى أنه لا كفارة على المرضع دون الحامل، لأن المرضع يمكنها أن تسترضع لولدها بخلاف الحامل فى ذلك، ولأن الحمل متصل بالحامل، فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضائها.

وذهب عطاء والزهرى والحسن وسعيد بن جبير والنخعى إلى أنه لا كفارة عليهما، لأنه فطر أبج لعذر فلم يجب به كفارة كالفطر للمرض. وقد قال ابن حزم فى ذلك والعجب كله من أن أبا حنيفة ومالكاً والشافعى يسقطون الكفارة عمن أفطر فى نهار رمضان عمداً، وقصد إبطال صومه الله تعالى بفعل قوم لوط، وبالأكل وشرب الخمر عمداً، ويتعمد القىء، نعم وبعضهم يسقط القضاء والكفارة عنه فيمن أخرج من بين أسنانه شيئاً من طعامه فتعمد أكله ذاكرًا الصوم، ثم يوجيئون الكفارة على من أفطر من أمره الله تعالى بالإفطار وأباحه له، من مرضع خائفة على رضيعها التلف، وشيخ كبير لا يطيق الصوم ضعفاً، وحامل تخاف على ما فى بطنها، وحسبك هذا تخليطاً، ولا يحل قبول مثل هذا إلا من الذى لا يسأل عما يفعل، وهو الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

الخلاصة أنه لا رخصة لأحد من المسلمين المكلفين فى إفطار رمضان بغير عذر، والأعداد المبيحة للفطر ثلاثة: أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس، فيباح بذلك إفطار رمضان مع القضاء دون الكفارة، والثانى الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة، وإليه ذهب الشافعى وأهل الراى إلى أنه لا فدية عليهما، والثالث الشيخ الكبير والعجز الكبيرة، والمريض الذى لا يرجى برؤه، فعليهم الكفارة دون القضاء عند الجمهور، وقيل إنه لا قضاء ولا كفارة عليهما، أما الذى يفطر عمداً من غير عذر فإن أفطر بغير الجماع فعليه القضاء ولا كفارة عليه فى المشهور عندهم، وإن أفطر بالجماع فعليه كفارة كفارة عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يجد فأطعام ستين مسكيناً.



عبد المتعال الصعيدى





محمد بن عبد الجبار النفري

وقال لي: من عيبدني وهو يريد وجهي دام، ومن عيبدني من أجل خوف فتر، ومن عيبدني من أجل رغبته انقطع.. اعرف من أنت، فمعرفتك من أنت هي قاعدتك التي لا تهدم، وهي سكينتك التي لا تزل.



الشيخ بخيت يتناقش مع محاميه حمادة الناحل

# معركة الشيخ بخيت

## اجتهاد الصعيدي «3»

### قول جديد في آية «وعلى الذين يطيقونه فدية»

بالخصال الثلاث على الترتيب، لأن النبي «صلى الله عليه وسلم، لم ينقله من خصلة منها إلى أخرى إلا بعد عجزه عن الأولى، ونزع عياض في ظهور دلالة الترتيب في السؤال عن ذلك، فقال: إن مثل هذا السؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير، والجمهور على وجوب الترتيب بين الخصال الثلاث، وجمع بعضهم بين القولين بحمل الترتيب على الأولوية والتخيير على الجواز، وعكسه بعضهم. واستدل بعضهم بقوله «تصدق بهذا» على أن الكفارة تجب على الرجل دون المرأة، وبه قال الأوزاعي، وهو الأصح من قول الشافعي، وقال الجمهور: تجب على المرأة على اختلاف بينهم في الحرة والأمة والمطوعة والمكرهة، وهل هي أو على الرجل.

ويدل قوله فأطعمه أهلك على سقوط الكفارة بالإعسار، لما تقرر من أنها لا تصرف في النفس والعيال، ولم يبين له النبي «صلى الله عليه وسلم» استقرارها في ذمته إلى حين يساره، وهو أحد قول الشافعي، وجزم به عيسى بن دينار من المالكية.

وقال الجمهور: لا تسقط بالإعسار، لأنه ليس في هذا ما يدل على سقوطها عن المسر، بل فيه ما يدل على استقرارها عليه، والذي أدن له بالتصرف فيه ليس على سبيل الكفارة، وقيل المراد بالأهل المتكوريين من لا تلزمه نفقتهم، وبه قال بعض الشافعية، وروده بما وقع من التصريح في رواية الهادلي، وفي أخرى من الإذن له بالأكل، وقيل: لما كان عاجزاً عن نفقة أهله جاز له أن يفرق الكفارة فيهم.

ويدل قوله «صم يوماً مكانه، على أنه يجب عليه قضاء اليوم الذي أفطر فيه بالجماع، وقد حكى عن الشافعي أنه لا يجب عليه القضاء، واستدل له بأنه لم يقع التصريح في الصحيحين بالقضاء، وأجيب بأن عدم ذكره في الصحيحين لا يدل على عدمه لثبوته عند غيرهما. وذهبت الهادوية وجماعة إلى أن الكفارة غير واجبة أصلاً لا على موسر ولا على معسر، لأنه أباح له أن يأكل منها، ولو كانت واجبة لما جاز هذا، وهو استدلال غير ناهض، لأن المراد بظاهر في الوجوب، وإباحة الأكل لا تدل على ذلك، بل فيها الاحتمالات السابقة.

والذي يهيمنا من هذا كله ما ذهب إليه المالكية من وجوب الكفارة على من أفطر في رمضان بجماع أو غيره، اعتماداً على رواية «أن رجلاً أفطر في رمضان» من غير تقييد بجماع، وقد روى عن مالك أنه قال: تجب الكفارة بكل ما كان هنكاً للصوم إلا الردة، لأنه إفطار في رمضان أشبه الجماع، وعن أحمد أن الكفارة تجب على من أنزل بليس أو تكرر نظراً، لأنه إنزال عن مباشرة أشبه الإنزال بالجماع، وعنه في المحتجم: إن كان عالماً بالنهي، فعليه الكفارة، وقال عطاء في المحتجم: عليه الكفارة.

وحكى عن عطاء والحسن والزهري والشورى والأوزاعي وإسحاق: أن الفطر بالأكل والشرب يوجب ما يوجب الجماع. وبه قال أبوحنيفة، إلا أنه اعتبر ما يتقضى به أو يتداوى به، فلو ابتلع حصة أو نواة أو فسقة بقتلها فلا كفارة عليه، واحتجوا بأنه أفطر بأعلى ما في الباب من جنسه فوجب عليه الكفارة كالجماع.

وهذا كله خلاف ما ذهبت إليه من وجوه: أولها أنهم أوجبوا الكفارة على غير المجامع أخذاً من الخير السابق بالاعتماد على رواية فيه أو بالقياس عليه، وهذا ضعيف كما سبق، أما ما ذهبت إليه فيعتد على قوله تعالى «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، وهو ظاهر الآية.

وثانيها أنهم يجعلون كفارة ذلك مثل كفارة الجماع، وهو على رأي طعام مسكين واحد بصريح الآية، لا عتق رقبة أو صوم شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً، فلا يجب عليه عندئذ إلا إطعام مسكين واحد، وهو مدة من غالب قوت البلد أو نصف صاع من البر وروصاع من غيره، وقال ابن عباس: يعطى المسكين عشائه وسجوره.

وثالثها أنهم لا يوجبون قضاء اليوم، لأن الكفارة التي يوجبونها شديدة تكفي عنه، ولا سيما إذا كانت صوم شهرين متتابعين، أما الكفارة عندئذ فسهلة لا تكفي عن قضاء اليوم، ورابعها أن رأيي وسط بين من يشدد في الفطر بغير الجماع فيجعل كفارته مثل كفارته، ومن يتساهل فيه فلا يجعل فيه كفارة أصلاً، وخير الأراء ما كان وسطاً.

وخامسها أن فيه مع هذا حمل الآية على أحسن محاملها، وكتاب الله يجب أن يحمل على أحسن محامله.

ولا شك أن الخروج من هذه الفتنة بهذا التوجيه الجديد لهذه الآية خير ممن لم يهجمه فيها إلا التعصب للجمود على التجديد.

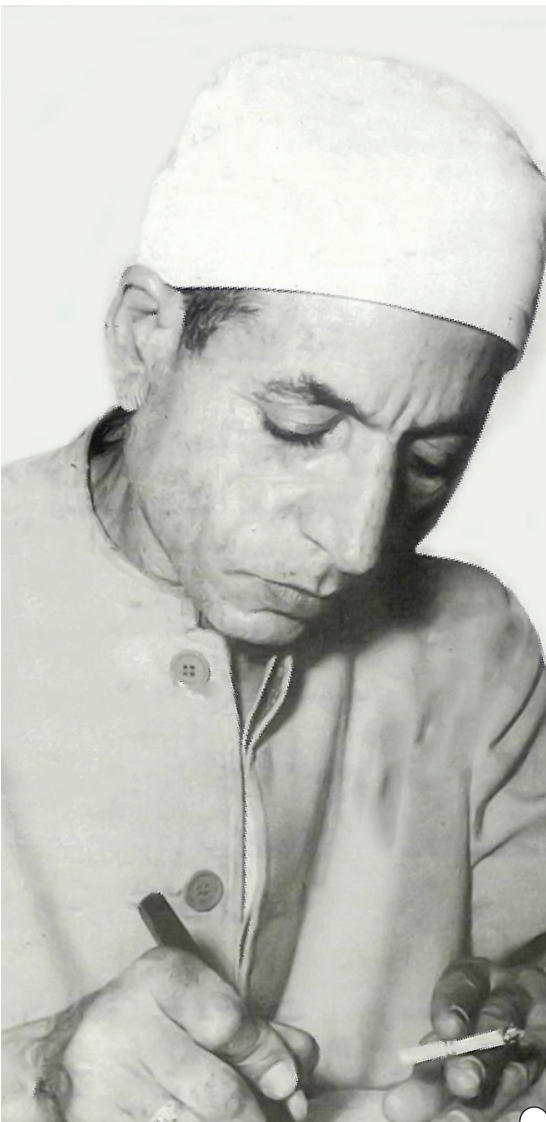
سأبين لأولئك الذين يدعون أن المتقدمين لم يتركوا مكاناً لاجتهاد جديد بعدهم، أن في الآية اجتهداً جديداً يقضى على بلبلة المتقدمين لها، فلا تحتاج معه إلى تكلف دعوى النسخ فيها، لأنه لا يصار إليه في القرآن إلا عند تعذر حمله على غيره، حتى إن بعض المتقدمين ذهب إلى أنه لم يقع نسخ في القرآن، وحمل كل ما ذهبوا فيه إلى النسخ على معامل لا نسخ فيها، وقد ذكر مذهبه الفخر الرازي في تفسيره الكبير، وذكر ما يلجأ إليه من المحامل في الآيات التي قيل إنها منسوخة، وكذلك لا تحتاج إليه تكلف المارقة في إيجاب الفدية على من لا يطبق الصوم مع أنها لا تجب في المشهور عندهم على من يطبقه إذا أفطر عمداً، بل يجب عليه القضاء فقط، وقد سبق أن من لا يطبق الصوم لا يجب عليه قضاء ولا فدية، لأن شرط التكليف الاستطاعة، فمن لا يطبق الصوم لا يجب عليه، ومن لا يجب عليه الصوم لا يجب عليه فدية.

فلا بد معنى قريب على طرف الثماد لا يرد عليه شيء من ذلك، وقد سبق أنهم فهموا أن ظاهر الآية يفيد إباحة الفطر لمن يطبق الصوم، وأنهم حين فهموا أن ذلك هو الظاهر منها اضطروا إلى تأويلها بما أولوها به ليصرفوها عنه، وإنى أخالفهم في أن هذا هو ظاهر الآية، لأنه إنما يكون ظاهرها لو كانت على هذا النظم، وللذين يطيقونه فدية— لأنه يكون تقديرها وللذين يطيقونه فطر وفدية، فتفيد على هذا إباحة الفطر لهم، ولكن الآية ليست على هذا النظم، وإنما هي «وعلى الذين يطيقونه فدية، فلا تفيد إلا وجوب الفدية على من يفطر وهو مطيق الصوم، وقد أفادت قبله أن من يفطر لعذر عليه عدة ما أفطره من أيام أخر، فيكون من يفطره بعد عذر عليه القضاء أيضاً من باب أولى، وهذا مع وجوب الفدية عليه بصريح قوله «وعلى الذين يطيقونه فدية، فيكون عليه شيان: القضاء بدلاً من الصوم، والفدية بدلاً من الإثم الذي وقع فيه بفطره من غير عذر، ولا تجب الفدية على غيره لعذره في الفطر، فلم يقع في إثم يحتاج إلى فدية، وعلى هذا لا نحتاج إلى تكلف نسخ في الآية، ولا إلى تكلف فرض فدية على أنه لا فدية عليه لعذره، وإنما على القضاء لمن يفطر لعذر، مع فقط إذا أمكنه، فيكون في فرض الكفارة عليه وعدم فرضها على من لا عذر له مفارقة ظاهرة، كما سبق في تعقيب ابن حزم عليهم.

وبهذا يكون الفطر في رمضان على قسمين: قسم عليه القضاء فقط، وهو المفطر لعذر من سفر أو مرض ونحوهما، وإذا كان عذره لا يرجي زواله، كالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجي برؤه، فلا يجب عليه القضاء لعدم وجوب الصوم عليه بسبب عجزه عنه، وشرط التكليف الاستطاعة، وقسم يجب عليه القضاء والفدية، وهو من يفطر بغير عذر، فيجب عليه القضاء بدلاً من الصوم، ويجب عليه الفدية بدلاً من الإثم. وهذا يتضمن تفسيراً جديداً في الآية، ويتضمن حكماً جديداً في إيجاب فدية— طعام مسكين— مع القضاء فيمن يفطر بغير الجماع، لأنني لم أعرش على حديث ولا قول لبعض الفقهاء يفرض الفدية عليه مع القضاء على أن تكون فديته طعام مسكين واحد فقط.

أما من يفطر بالجماع فقد ورد فيه عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي «صلى الله عليه وسلم»، فقال: هلكت ما رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: هل تجد ما تعتق به رقية؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: ثم جلس، فأتى النبي «صلى الله عليه وسلم» يعرق فيه تمر، قال: تصدق بهذا، قال: فهل على أفقر منا؟ فما بين لابتها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي «صلى الله عليه وسلم» حتى بدت أنواجده، وقال: اذهب فأطعمهم أهلك، وفي لفظ ابن ماجة قال: اعتق رقبة، قال: لا أجدها، قال: صم شهرين متتابعين، قال: لا أطيع، قال: أطعم ستين مسكيناً، وفيه دلالة قوية على الترتيب، ولابن ماجة وأبي داود في رواية «وصم يوماً مكانه، وفي لفظ للدارقطني فقال: هلكت وأهلك، فقال: ما أهلكك؟ قال: وقعت على أهلي، وظاهر هذا أنها كانت مكروهة، وفي رواية أن رجلاً أفطر في رمضان، وبها استدلت المالكية على وجوب الكفارة على من أفطر في رمضان بجماع أو غيره، والجمهور حملوا المطلق على المقيد، وذهبوا إلى أنه لا كفارة إلا في الجماع.

وفي الحديث دليل على أن الكفارة تجزئ بكل واحدة من الخصال الثلاث، وروى عن مالك أنه لا تجزئ، إلا الإطعام والحديث يرد عليه، وظاهره أيضاً يدل على أن الكفارة



الشيخ بخيت

## اجتهاد الصعيدي «2»

### البلبلة التي خلقتها تفسيرات «وعلى الذين يطيقونه فدية»

في آية «وعلى الذين يطيقونه فدية، بلبلة شديدة على تفسيرهم لها، لأن أكثرهم ذهب إلى أنها منسوخة، وأن التخيير في ذلك كان فرض الصوم أولاً، وهذا هو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذهب جماعة منهم «ابن عباس، إلى أنها محكمة غير منسوخة، ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر، فعليه الفدية بدل الصوم، ودعوى النسخ في القرآن لا تقبل بسهولة.

ويجب أن يكون فرض الصوم أولاً على التخيير معروفاً مشهوراً حتى تقبل فيه دعوى النسخ، ولو كان معروفاً مشهوراً ما ذهب ابن عباس وغيره إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وكذلك لا يقبل بسهولة دعوى ابن عباس وغيره أنها في حق الشيخ الكبير الذي لا يطبق الصوم، لأن الحق أنه لا يجب عليه قضاء ولا فدية، وعلى هذا تبقى الآية وفيها بلبلة شديدة، لأنه لا يوجد توجيه لمعناها يقبل بسهولة، ومثل هذا لا يقبل في توجيه معاني القرآن الكريم، لأنه يجب أن يحمل على أحسن المحامل، ويجب أن تقبل معانيه بسهولة لا تكلف فيها، وقد سبق بيان ابن حزم للمفارقة الظاهرة في مذهب من رأى أن الآية محكمة، وحملها على من يشق عليه الصوم الحمل أو رضاء ونحوهما، إذ أوجب القضاء والكفارة في ذلك، ولم يوجهها على من أفطر من غير عذر، مع أنه أولى بهذا من غيره، وقد اختار من أفطر لهذا أنها منسوخة على ما ذهب إليه الأكثرون، وفاته ما دعوى النسخ من التكلف لتشريع سابق في الصوم لم يثبت بيقين على ما سبق، ويرد عليه أيضاً أنه لو كانت الآية لحكاية تشريع سابق للصوم على التخيير.

لم يكن هناك معنى لتشريع الفطر فيه بعذر السفر والمرض مع فرض القضاء فيهما، لأن الصوم ثابت فيه على التخيير، فهو مباح في ذاته، ولا يحتاج إلى الترخيص فيه بعذر، لأن له أن يتركه بغير عذر ويخرج الفدية بدله، فيكون له هذا مع العذر من باب أولى، ولا يكون للعذر تأشير إلى إباحته له، وبهذا تضعيب فائدة قوله «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، بين قوله «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، وقوله «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين»، مع أن ذلك كله آية واحدة، لا يعقل إلا أنها نزلت في وقت واحد، وفي تشريع واحد، فيجب أن يكون تشريعاً متسقاً لا ترد عليه مثل ذلك.

وكان الواجب أن يكون في خطأ الشيخ عبد الحميد بخيت في تفسير الآية ما ينهينا إلى ما في تفسير المتقدمين لها من تلك البلبلة، وإلى ما في توجيههم لها من البعد عن سياقها، وعما يجب التشريع من الاتساق والانسجام، وعما يجب فيه من الخلو من المفارقات، فإذا كان الشيخ عبد الحميد بخيت قد أخطأ في تفسير الآية ذلك الخطأ الظاهر فإن من قبله لم يصلوا فيها إلى ما تراجح إليه النفس، ويسكن له القلب، وقد يكون أدرك هذا وأراد أن يصل فيها إلى شيء جديد يزيل تلك البلبلة، فأخطأ التوفيق فيها، حتى زاد في بلبلتها، وأضاف اضطراباً جديداً إلى اضطرابهم في تفسيرها، وإن كان اضطرابه أظهر من اضطرابهم، ولكنه اضطراب مثله على كل حال، وليس من يخطئ في طريق لم يهده قبله كمن يخطئ في طريق مهمل، لأن من يخطئ في الأول قد يكون له شيء من العذر، وإن كان خطاه ظاهراً، لأن له أن يعتذر بأنه إذا أخطأ فيه فقد أخطأ فيه من قبله، وهم أئمة ذلك الشأن، وهجابهة التفسير والتشريع، ولكل خطأ على قدر منزلته في ذلك الشأن.

ولكننا مع الأسف الشديد لم ننتبه إلى شيء من ذلك، ولم ننظر إلا إلى ذلك الخطأ الجديد في تلك الآية، لظهور أمره وخروجه عن المقصود من تشريع الصوم في الإسلام وفي الشرائع قبله، ثم يقينا بعد هذا على جمودنا على ما ذهب إليه المتقدمون في تفسير الآية، كان جمودنا على هذا ونحوه أخف ضرراً من الخطأ في محاولة إصلاحه، مع أن مصيبة المسلمين الآن ليست فيمن يحاول الإصلاح والتجديد فيهم، فيصيب أحياناً في محاولته الإصلاح والتجديد، ويخطئ أحياناً في محاولة هذا خطأ قد يكون ظاهراً في النادر، وقد يكون غير ظاهر في الغالب، وهذا يدل في جملة على إخلالهم فيما يحاولون، وإنما مصيبة المسلمين الآن فيمن يتخذ الجمود على كل قديم عقيدة دينية، فيرى كل قديم صواباً، ويرى كل جديد خطأ، ويحارب الإصلاح والتجديد بكل ما فيه من قوة، وينأوي المصلحين والمجددين بكل وسيلة.

وهذا هو الذي كان له أسوأ أثر في المسلمين الآن، لأنه جعلهم يفتقون عن التقدم والنهوض، ولا يحاولون إصلاح ما فيهم من فساد، حتى سبقهم غيرهم سبقاً ظاهراً في ميدان العلوم والمعارف، وصار ملك الدنيا في يده بهذا السبق، فضاء كل شيء من أيدي المسلمين، وصاروا لا يساؤون شيئاً في هذه الدنيا، وساء اعتقادهم في أنفسهم، وضعف اعتقادهم في دينهم، فصار الإسلام فيهم اسماً بلا معنى، وصاروا مسلمين بالاسم لا بالحقيقة، فهم الآن قسمان: قسم تحلل من دينه وعصى أوامر ونواهي، وقسم لا يفهمه فهمًا صحيحاً، بل يجعله جهلاً مركباً، والجهل المركب أقبح أنواع الجهل، وكل هذا نتيجة الجود الذي يراه أصحابه ديناً، ويرتفع صياح أصحابه باسم الدين كلما راوا محاولة التجديد، ولا سيما إذا كان التوفيق صاحب هذه المحاولة، مع أن الدين يتن من جمودهم، ومع أن هذا الجمود يسلبهم ما يزعمونه لأنفسهم من حق التكلم باسم الدين، ومن حق إقرار شيء أو إنكاره فيه، لأن جمودهم مرض ديني يجعلهم في حاجة إلى الإصلاح، فهم في حاجة إلى من يقوم لهم دينهم، ومن هو في حاجة إلى تقويم دينه لا يمكنه تقويم دين غيره.

وحيث لا تقع مسؤولية بقاء البلبلة في الآية إلا على الذين جعلوا همهم في خطأ الشيخ عبد الحميد بخيت في تفسيرها القيام بإثارة فتنة عمياء لا تفي شيئاً، ولا تدرك ما في تفسير المتقدمين لآلية من بلبلة، لتحول إصلاحاً في تفسيرها يقضى على هذه البلبلة، ولا يجعل سبيلًا للخطأ فيها، لأنها تكون واضحة النهاج، بينة الطريق.

ولكن أئى لهم هذا؟ وهم يرون أن المتقدمين لم يدعوا لنا جديداً نستدركه عليهم، وإنما غاية ما يمكننا بعدهم أن نرجح رأياً من آرائهم على رأي، ونختار مذهباً على مذهب، لا أن نستنبط جديداً بعدهم، لأنهم وصلوا إلى ما لا يمكن من الاجتهاد في علومنا، ولم يدعوا لنا جديداً نستنبطه بعدهم.

### مصيبة المسلمين الآن فيمن يتخذ الجمود

### على كل قديم عقيدة دينية فيرى كل قديم صواباً ويرى كل جديد خطأ



يا عبد.. شيء كان، وشيء يكون، وشيء لا يكون.. شيءٌ كان: حي لك.. وشيء يكون: ترانب.. وشيء لا يكون: لا تعرفني معرفة أبدًا.



محمد بن عبد الجبار النفري

## معرفة

## الشيخ

## بخيت



الشيخ بخيت أمام محكمة بولاق

# طه حسين يدافع عن الشيخ بخيت ويكتب: حق الخطأ

إذا أسرف مسلم على نفسه، واقترب إثمًا من الآثام التي يعقبتها الله ويحذر منها عباده المؤمنين، ويوعدهم بالعقاب الشديد والعذاب الأليم إن تَوَزَّطُوا فيها، فأمر هذا المسلم لا يخلو من إحدى التنتين: إما أن يكون قد اقترفت خطيئة تؤذي غيره من الناس، وتضيع بعض حقوقهم، وإما أن يكون قد اقترفت خطيئة لا تؤذي أحدًا غيره، ولا تمس إلا الصلة الدينية الخالصة بينه وبين الله الذي يعلم سره وجهه، ويراقب ضميره حين يفكر أو يشعر، وشخصه حين يحسن في العمل أو يسيء.

فإذا كانت الأولى، فولى الأمر وحده هو المكلف أن يحاكم هذا المسلم وأن يعاقبه على إيذائه للناس وإضاعته لحقوقهم كلها أو بعضها، وأن يقتص منه للدين أدهم أو أصابهم ببعض ما يكرهون.

وولى الأمر هو القائم بالحكم بين الناس، وهو مكلف أن يقيم الحدود، وأن ينصف المظلوم من الظالم، وأن يكون الضيف عنده قويًا حتى يظفر بحقه كاملا، وأن يكون القوى عنده ضعيفًا حتى يؤدي ما عليه من الحق كاملا.

وإن كانت الثانية، ولم يُجَنِّ الخاطئ المتورط في الإثم والكبيرة على أحد غيره من الناس، وإنما جنى على نفسه وحدها، فضئج حقًا من حقوق الله التي لا تمس حقوق الناس من قريب، أو من بعيد، فأمره إلى الله وحده وحسابه على الله وحده، وليس لأحد من الناس كائنًا من يكون أن يحاسبه أو يعاقبه.

هذه كلها أوليات مفهومة من الدين بالضرورة. كما يقول الأزهريون. ومفهومة من الدين بنص القرآن الذي لا يقبل تأويلًا ولا تبديلًا.

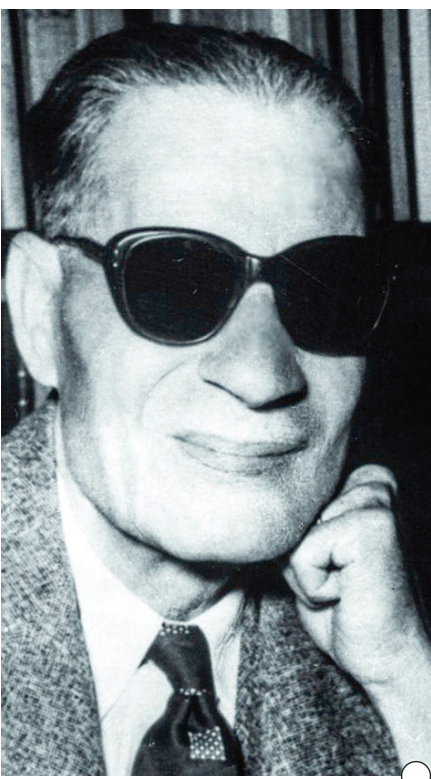
فما عسى أن يكون موقف ذلك الأستاذ الأزهرى الذى قال مقالته تلك فى الصوم، فأغضب الشيوخ وأثار هذه القضية التى يظهر أنها لم تنقش بعد، إنه لم ينكر أن الصوم ركن من أركان الإسلام. ولم يُبَخِّ للناس أن يفطروا إن شاءوا بغير قيد ولا شرط، وإنما فهم نضًا من نصوص القرآن الكريم هبًا لا يقره عليه الشيوخ. وأعلن رأيه للناس: قرأ قول الله عز وجل: «وَعَلَى الدِّينِ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامَ مَسْكِينٍ»، وفهم من هذه الآية ما فهمه بعض المفسرين القدماء — ومنهم الزمخشري مثلًا — من أن الذين يجدون المشقة فى الصوم يستطيعون أن يفطروا وأن يتصدوا من ذلك بإطعام مسكين. وقرأ آيات فى القرآن وفهمها على غير ما يقرأ الشيوخ. قرأ قول الله عز وجل: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ. وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا». وقوله: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»، وقوله: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ الدِّينَ مِنْ حَرْجٍ»، ورأى النبى ﷺ يقول فيما روى البخارى: «إنما يُعْتَمَدُ مَسْرُينَ لا معسرَين». ويقول فيما روى البخارى أيضا: «لا أن هذا الدين متين فأرغل فيه برق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».

قرأ هذا كله وقرأ نصوصا كثيرة أخرى غيرها، واعتقد أن الإسلام لا يأخذ الإنسان بالشفقة ولا بالنعف. وإنما يأخذه باللين والرفق لأن الإنسان خلق ضعيفا. وقد علم الله المسلمين أن يسألوا ألا يحمل عليهم أصرا كما حمل على الذين من قبلهم، وألا يكلفهم ما لا طاقة لهم به،

تورط الأستاذ طه حسين فى دعواه أن الشيخ عبدالحميد بخيت فهم من قوله تعالى «وعلى الذين يطيقونه فدية، ما فهمه بعض المفسرين القدماء، ومنهم الزمخشري مثلا، من أن الذين يجدون المشقة فى الصوم يستطيعون أن يفطروا وأن يقتدوا من ذلك بإطعام مسكين. وفى دعواه أنه قد سبقه إلى رأيه فى الصوم جماعة منهم ابن حزم.

وكان على الأستاذ طه حسين أن يعرف أنه لو صبح هذا لم يحدث الأزهريون هذه الضجة، وأنه لو صبح هذا لم يقف الشيخ عبدالحميد بخيت ذلك الموقف الجامد، الذى يشبه موقف بعض الأزهريين، وأنه لو صبح هذا لكان للزمخشري وابن حزم ما يعتمدان عليه من الدليل، لأن هذا كان شأن القدماى من المجتهدين . فاعتمد الشيخ عبدالحميد بخيت على مثل ما اعتمدا عليه، ولم يصير إلى موقف العجز عن الدليل، والحقيقة أن المتقدمين جميعا ومنهم الزمخشري وابن حزم لم يروا فى الآية مثل ما رأى الشيخ عبدالحميد بخيت فيها من غير دليل. وإنما حمل أكثرهم قوله «يطيقونه، على الاستطاعة من غير مشقة، ودعوا أن التخبير فيها بين الصوم والنفدية كان شريعة الصوم أولا ثم نسخ، وحمله قليل منهم على عدم الاستطاعة، ليشر من دعوى النسخ. وأراد من ذلك من يشق عليه الصوم من الشيخ الكبير والمريض الذى لا يرجى برؤه، فلا يشق عليها بالصوم، وإنما يفطران ويفتديان بإطعام مسكين.

أما الشيخ عبدالحميد بخيت فقد أباح الفطر مع الضدية لكل من يتقل عليه الصوم، ولو لم يكن هنا عن الفدية صحيح، بل لجرد استئفال النفس، وهذا لم يقل به الزمخشري ولا ابن حزم ولا غيرهما من المتقدمين، ولا يمكن أن يقوله غير الشيخ عبدالحميد بخيت



طه حسين



ورأى كثيرا من المسلمين يظهرن الصوم إن لقوا الناس أو لقوا بعض الناس، ويفطرون حين يخلون إلي أنفسهم وإلى أمثالهم من الذين يقول الله فيهم: «يَسْتَخْفُونَ مِنَّ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَّ اللَّهِ وَفُو مَعَهُمْ». فأشار على هؤلاء بأن يفطروا إن وجدوا المشقة فى الصوم، ويأن يقتدوا من هذا الإفطار بإطعام مسكين، واعتقد فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الله أنه بهذه المشورة ينصح للإسلام والمسلمين، فينبهى الناس عن الشقاق ويحثهم على الصدقة، والله ليس فى حاجة إلى صيام الصائمين، والمساكين من الناس فى حاجة أشد الحاجة إلى أن يطعمهم القادرون على إطعامهم مؤثرين للصدقة أو مفتدين بها من الصوم. كذلك رأى هذا الأستاذ، ولست أقول إنه أصاب، ولست أقول إنه أحسن فيما صنع.

ولكننى أقول إنه لم يتعمد خروجا من الدين ولا مخالفة عن أمر الله، ولا انحرافا عن نصوص القرآن وما صبح من الحديث، فأقصى وأقصى ما يمكن أن يقال فى شأنه، إنه اجتهد فأخطأ، وليس على من اجتهد حرج فى أن يخطئ، وما أكثر المجتهدين الذين أخطأوا فلم يقض عليهم أحد بالكفر، ولم يُتَّهموا بالخروج من الدين، ولم يحاول أحد أن يحاكمهم أو يعاقبهم، أو يطلب إلى القضاء أن يقرق بينهم وبين أزواجهم! وليس لأحد أن يتهمهم بشيء من ذلك، أو يقدمهم إلى القضاء فى شيء من ذلك، أو يحاول التصريق بينهم وبين أزواجهم لشيء من ذلك: فكل شيء من هذا القليل اعتداء على حق المسلم فى أن يجتهد فى رأيه، وينصح لله والناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ولا ينبغي أن يقال إن ذلك الأستاذ لم يبلغ منزلة الاجتهاد، فمَنْزِلَةُ الذين أخطأوا هذه شيء غامض غير محدود ولا واضح الأعلام، ولم يستطع أحد من شيوخنا فى الأزهر أن يحدد لنا منزلة الاجتهاد هذه، ولا أن يبين لنا متى يبلغها الناس ومتى يقصرون عن بلوغها، ولكن المسلم الذى يقرأ كتاب الله ويفهمه كما يستطيع الناس أن يفهموه، ويقرأ حديث النبى ﷺ ويفهمه كما يستطيع الناس أن يفهموه أيضا، ثم يشارك فيما اتفق الناس على أن يسوموه علوم الدين، فيأخذ بحظ من الفقه وأصوله، ومن الكلام ومذاهب الناس فيه، ويشهد له بهذا كله الأزهر الشريف الذى يعطيه إجازة مكتوبة معتمدة من الدولة تشهد بأنه عالم من علماء الدين.

هذا المسلم ليس عليه بأس إن حاول الاجتهاد مخلصا فى اجتهاده ناصحا فيه للإسلام والمسلمين، وذلك الأستاذ قد ظفر بثلث الإجازة كما ظفر بها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وزملاؤه من أعضاء هيئة كبار العلماء وزملاؤهم من علماء الأزهر الشريف جميعا. وإذا كان شيوخنا الأجلة يابون على أنفسهم الاجتهاد، ويكتفون بتقليد واحد من الأئمة الأربعة، خوفا من الزلل، واشفاقا من الخطأ وإيثارا للعافية. فذلك حقهم لا ينزعهم فيه أحد، ولكنه لا يبيح لهم أن يأخذوا الناس بأن يكونوا مقلدين مثلهم. هم أحرار فى التقليد وغيرهم حرق فى الاجتهاد، والله غالب على أمرهم جميعا، سيئال المقلدين عن تقليدهم، وسيئال المجتهدين عن اجتهادهم،

وسيجزى كلأ منهم بعمله جزاء لا يشك فى عدله إلا الجاحدون.
وإذن فقيم كل هذه الضجة؟
وفيم كل هذا الجدل؟

رجل اجتهد ومن حقه أن يجتهد. فإن يكن أصاب فأجره على الله. وإن يكن أخطأ فحسابه على الله. وليس لأحد من الناس، لا من رجال الحكم ولا من رجال الأزهر، أن يحاسبه على ذلك أو يعاقبه، لأنه لم يعتد على حق من حقوق الناس، لم يسفك دمًا حرامًا ولم يأخذ مالا حرامًا. ولم يؤذ أحدًا فى شيء تعاقب القوانين على إيذاء الناس فيه. كل ما يمكن أن يقال هو إنه أخطأ فى حكم من أحكام الدين. فمن حق العلماء أن يبينوا له خطأه وأن يدلوه على الصواب، ويدعوه إلى أن يتوب إليه، فأما أن يحاكموه أو يعاقبوه أو يؤذوه، أو يقدموه إلى القضاء ليفرق بينه وبين أهله، فذلك شيء لا يبيحه لهم الإسلام. ونهر إن فعلوه يعطون أنفسهم حقًا لم يُعطه الله لهم، فهم يتجاوزون حدودهم ويظلمون هذا الأستاذ، وينتحلون لأنفسهم ما لا يملكون.

ولست أدري: إلأم انتهت إليه هذه القضية الآن؟ ولست أعلم حين أملى هذا الحديث أبرئ هذا الأستاذ أم أدبى؟ ولكن الشيء الذى أقطع به هو أن محاكمتهم من أجل رأيه فى الصوم إسراف وانحراف عن أصول الإسلام وستته السحمة، ولا بد أن يعود علماء الإسلام فى الأزهر إلى قصد السبيل بعد أن جاز بهم السلطان عنه، واستحب فريقٌ منهم هذا الجور فى وقت من الأوقات: فليس لعلماء الإسلام حق فى أن يحاكموا مسلما أو يعاقبوه لأنه اجتهد رأيه فأخطأ أو أصاب، ذلك أن الإسلام لا يعرف الإنكليروس، ولا يعرف هذه السلطة الدينية العليا التى يستأثر بها فريق من رجال الدين، فيحكمون بإيمان هذا الرجل وكفر ذلك المسلمين.

وقد عاش المسلمون قرونا قبل أن يوجد الأزهر الشريف، فلم يعرفوا هيئة تحاكم الناس على الاجتهاد فى الراى، وهم قد كرهوا من الخليفة المهدي تنبئه للزنادقة، وإسرافه فى هذا التتبع، وأخذ بعض الناس بالشبهة وقتله بالظنة، وهم كرهوا كذلك إسراف المأمون حين أراد أن يحمل الناس على الإيمان بخلق القرآن، وحين امتحن بذلك جماعة من أخبار المسلمين.

والأزهر نفسه قد عاش قرونا لم يكن يملك فيها أن يحاكم أو يعاقب على الراى، وإنما كان يملك أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير كما أمر الله فى كتابه العزيز. ولم يُنَّح هذا الحق للأزهر إلا فى آخر الزمان، وفى هذا القرن الذى نعيش فيه، حين أنشئت هيئة كبار العلماء وأعطيت ما أعطيت من الحقوق، وكان إعطاؤها الحق فى محاكمة الناس ومعاقبتهم على الراى بدعة لم يعرفها الإسلام من قبل، وكان من الحق على الأزهر أن يذكر الحكومة التى أعطت هيئة كبار العلماء تلك الحقوق أن فى ذلك بدعة، وأن شر الأمور محدثاتها، وأن كل بدعة ضلالة، وأن كل ضلالة فى النار، كما كان ابن مسعود رحمه الله يتحدث إلى تلاميذه فى الكوفة.

وقد اختلف أئمة المسلمين فى أمور كثيرة، اختلفوا فى الفقه، واختلفوا فى الكلام، واختلفوا فى السياسة، وشئ بعضهم على بعض، وأسرف بعضهم على بعض فى التشنيع، ولكن أحدًا منهم لم يُقدَّم إلى المحاكمة ولم يُفرض عليه عقاب شديد أو سبير، ونحن نقرأ من تشنيع بعض العلماء على بعض طرائف لا تحصى، نقرأ فى كتاب ابن حزم مثلا أن الأشعرى كان قد أهدر دمه حين رأى هذا الراى أو ذاك فى الكلام، وأن أصحاب أبى حنيفة قد أهدروا نصوص القرآن وتكلفوا على النبى ما لم يُقَل من الحديث، حين راوا هذا الراى أو ذاك فى الفقه، ولكن هذا كله لم يُعد أن يكون كلامًا يقال، فأما أن يُحاكم فقيه أو متكلم على رأى له فى الفقه أو الكلام، وأن يكون الدين يحاكمونه من الفقهاء أو المتكلمين، فذلك شيء لا يعرفه المسلمون إلا منذ أنشئت فى مصر هيئة كبار العلماء، وأغرب ما فى هذه القصة أن صاحب تلك المقالة فى الصوم لم يبتكر شيئا ولم يقل جديدا، وإنما سبقه علماء من المسلمين إلى مثل هذا الراى، وقد أشرت فى أول هذا الحديث إلى أنه لم يبتكر تفسير آية الصوم التى اعتمد عليها فى رأيه ذلك، وإنما سبق إليه مفسرون قداماء، ذكرت منهم الزمخشري.

وقد سبقه إلى رأيه من الفقهاء القدماء الذين لا يكفرهم الأزهريون جماعة أذكر منهم ابن حزم، ولست أعرف أن الزمخشري حوكم على تفسيره لهذه الآية الكريمة. ولا أن ابن حزم قد حوكم على إباحة الإفطار خاصة والفدية لئن وجد المشقة فى الصوم، ولكن آفة الأزهريين المعاصرين أنهم يقرعون كتبًا يعينها قد فرضتها عليهم ظروف الأزهر فى بعض العصور، ولا يكادون يقرعون غيرها من الكتب التى كتبها علماء الإسلام فى العصور الأولى وفى البلاد الإسلامية المختلفة. وهم من أجل ذلك يحصرون العلم والدين فى حدود ضيقة جدا، هى حدود الكتب التى يقرعونها، والعلم أوسع جدا من هذه الكتب، والدين أوسع جدا وأصح جدا مما يراه الأزهريون، ولولا أنى أحب الأزهر حبًا متالصفا فى نفسى، وأرقى بالأزهريين كما أرقى بالصديق الحميل لقلت أكثر من هذا، ولكنى على كل حال أتمنى مخلصا للأزهريين ولعلمائهم خاصة أن يقرأوا القرآن نفسه، وأن يقرأوا الحديث فى نصه أكثر مما يقرأون كتب الفقه وكتب المفسرين المتأخرين.

ولست أعرف شيئا يعلم المسلم مساحة الراى وسماحة الحلق. وأخذ الأمور بالرفق واللين والحكم على الأشياء فى غير تكلف ولا تعقيد، كالإمعان فى قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف، والاقتصاد فى الرجوع إلى المفسرين والشرح بحيث لا يُرجع إليهم إلا عند الضرورة القصوى. أما بعد، فأظن أننى قد بلغت بهذا الحديث ما حاولت من إثبات أن من حق ذلك الشيخ الذى قال مقالته تلك فى الصوم أن يجتهد، وأن يخطئ. وأن ليس لأحد من الناس — وأن كانوا شيوخ الأزهر، وعلى رأسهم صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر — أن يحاكمه أو يعاقبه على شيء من ذلك. وأن لهم أن يجادلوه بالثى هى أحسن، وأن يأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر ويدعوه إلى الخير، لا يتجاوزون ذلك إلى أكثر منه: لأنهم لا يملكون أن يتجاوزوا ذلك.

على تفصيل سعيه فى التجديد على جمودهم، ونرى أن من يحاسبه على خطئه يجب أن يكون ممن يؤمن بالتجديد لا من أصحاب الجمود، ليعاملوه بما يستحق من الرأفة، لأنه لا عداوة بينه وبينهم كأصحاب الجمود، فلا يكون شأنهم معه إذا حاسبوه كشأن من يكون خصما وحكما، ومن يكون قد أعلن فى الجرائد أنه يستحق أنسب عقاب قبل أن يجلس لمحاكمته، ثم لا يرى مع هذا أنه لا يصح بعده أن يشترك فى مجلس الحكم عليه. وقد تورط الأستاذ طه حسين رايًا فى ادعائه أن المسلمين لم يعرفوا هيئة تحاكم الناس على الاجتهاد قبل إنشاء هيئة كبار العلماء، وأنه لا يعرف قبلها جماعة حوكموا على اجتهادهم، فقد رأى ابن حزم مثل رأى الشيخ عبدالحميد بخيت ولم يحاكمه أحد عليه.

وقد بينا تورطه فى دعوى أن ابن حزم رأى مثل هذا الراى، ونبين هنا تورطه فى دعوى أن ابن حزم لم يحاكم على اجتهاده ولم يؤذه فيه، فقد أودى أشد إيذاء، ونال من أهل عصره ما نال من الجحود، حتى شكا منهم فى بعض شعره فقال: وإن أناسا ضيعوني لضيع وإن زمانا لم أقل خصبه جذب وكذلك جرى لأين تيمية وغيره ممن يعرفهم الأستاذ طه حسين، ولا أدري كيف نسى هنا ما جرى لهم؟ وقد تورط الأستاذ طه حسين خامسا فى دعواه أن الإسلام لا يعرف سلطة دينية يستأثر بها فريق من رجال الدين، فيحكمون بإيمان هذا الرجل وكفر ذاك، ولا شك أنه بهذا يناقض ما ذكره عن أن من حق الأزهر ومن الحق عليه أن يقول للمخطئ فى أمر من أمور الدين أخطأ،

# عبد المتعال الصعيدى يعقب: الورطة التى وضع طه حسين نفسه فيها

وأن ينهى الناس عن مجاراته فى الخطأ، فإن المخطئ قد يكفر بخطئه، كما يرى مثلا أن محمداً— صلى الله عليه وسلم— كان مصلحا لا نبيا، فيكون من حق الأزهر ومن الحق عليه أن يقول له كُفرت، حتى لا يحسب من أهل الإسلام بغير حق.

فالحق أنه يجب أن يكون فى الإسلام سلطة دينية لبعض رجال الدين، لبيبينها أمور دينهم، ويفصلوا فيما يختلفون فيه من هذه الأمور، ولكن هذه السلطة يجب أن تكون لرجال يحسنون استعمالها، ولا يجاربون بها الإصلاح والمصلحين، ولا يقلبون بها حقائق الدين، فيكون الجمود عندهم دينًا، ويكون التجديد عندهم كفرا، فمثل هؤلاء يجب أن تنزع منهم السلطة الدينية، لتوضع فى أيدي رجال يعرفون سماحة الإسلام، وينتهضون بالمسلمين، ويسيرون فيهم سيرة المصلحين.

### تورط طه حسين فى ادعائه أن المسلمين لم يعرفوا هيئة تحاكم الناس على الاجتهاد قبل إنشاء هيئة كبار العلماء



قال لب: إذا بلوتك فانظر بما علّقتك، فإن كان بالسوى فاشكْ إلىّ، وإن كان بى أنا فقد قرّرت بك الدار.. إن هلكت فى سواى كنت لما هلكت فيه.. لو كان قلب الواقف فى السوى ما وقف، ولو كان السوى فيه ما ثبت.. أذكرنى مرّة أمح بها ذكرك للسوى كل مرّة.



محمد بن عبد الجبار النفري



# الزمن الجميل

## وليد الخشاب: طاعٍ فى «ضربة معلم».. وعبر بواقعية عن «خان الخليلي»



لقطة من فيلم «فى بيتنا رجل»

### «فى بيتنا رجل» وظف الشهر الكريم للتميز بين «المصريين الأصلاء» و«عملاء الإنجليز»

فانوسًا جديدًا مبهجًا باخر نقود فى جيبه، شفقةً منه عليها، فتهديه فانوسها القديم، ليكتشف البطل طيب القلب أن جنيًا يسكن ذلك الفانوس، وأنه قادر على تحقيق أمنيات إسماعيل بس المادية، بوصف الأخير «سيد الفانوس السحرى».

هكذا يبدو رمضان فى الفيلم وكأنه شرط تتحقق فيه لحظة الاقتراب بين الإنسان وإلّاه، لأنه شهر الخير والكرم، ويبدو وصول الفانوس بين يدى إسماعيل يس وكأنه مكافأة إلهية على كرمه مع الفتاة الصغيرة، فى شهر يحب الكرم والرفق بالمحتاجين.

ومع ذلك، يمكن اعتبار أن الفيلم يوحى من طرف خفى بأن الشهر الكريم هو أيضًا لحظة تمييز بين المصريين الأصلاء الذين يرعون المحتاج فى رمضان، والمصريين المتسلقين الانتهازيين، الذين يتسلقون بنفاقهم وجبروتهم وفسادهم درجات السلم الاجتماعى ولا يكتفون بالأخيرين.

كان الفيلم هنا فارق قليلًا خطايا وطنيًا يستخدم رمضان كعلامة تميز المصرى الأصلى عن المستعمر الدخيل ومن يعاونه، ليميز بين المصرى الاصيل، والمصرى المستغل المتسلق من الطبقات التى صعدت فى مجتمع التحرر الوطنى بفضل انتهازيتها، لا بفضل العمل الشريف.

رمضان فى الفيلم مرتبط بطيبة إسماعيل يس، بينما الطائفة الانتهازية التى تعاديه، تبدو وكأنها فى الناحية الأخرى من خط رمضان الرمزيّ، الذى يقسم المجتمع على نحو مجازى، بين الطيبين الذين يفعلون الخير فى الشهر الفضيل، والأشرار الذين لا يعيرون الشهر الكريم أهمية خاصة.

■ هل ترى أن صورة رمضان تغيرت فى السينما المصرية عندما انتقلت إلى عصر الألوان؟

– يختلف تصوير رمضان فى الفترات اللاحقة على زمن الأبيض والأسود عنه فى الأفلام الكلاسيكية المصنوعة بالأبيض والأسود. يتميز فيلم «ضربة معلم»، مثلاً، الذى أخرجه عاطف الطيب عام ١٩٨٧، بكونه أكثر فيلم مصرى يمتزج فيه حضور شهر رمضان بكل تفاصيل الحبة الدرامية التشويقية، بل ويتميز بحضور الشهر الكريم منذ اللقطة الأولى.

تكاد تكون الصورة الأولى التى تتوقف عندها الكاميرا فى مقدمة «ضربة معلم» فى صورة رمضانية، ففى الثوانى الأولى من الفيلم، تركز الكاميرا فى لقطة مقربة جدًا على فوهة مدفع، بينما يسمع المشاهد صوتًا يصيح من خارج الكادر بالعبارة المأثورة الشهيرة: «مدفع الإفطار، اضرب!».

كان الفيلم يظهر من البداية أنه مشحون بعواطف متفجرة تفجر مدفع الإفطار، كأنه يتندد على جرم الأم التى تلعب دورها سميرة محسن، حيث نراها فى الدقائق الأولى من الفيلم مع عشيقها، صديق ابنها، ثم يدخل عليهما ابنها شريف منير، ويردى صديقه الخائن «عشيق أمه، قتلاً».

لا يبدو لرمضان فائدة منطقية فى الفيلم، إلا لأن الانطباع المشاهد عن جرم الأم يتضاضف، لأنها تقيم علاقة مع عشيق فى سن ابنها، أثناء الشهر الفضيل، وكذلك يبدو القرار الذى اتخذه شريف منير بقتل ذلك العشيق الخائن وكأنه حصن بهالة روحية، لأنه لم ينتقم لشرفه فقط، ولم يعاقب خائنًا فقط، بل لأنه «أصلح الميزان الأخلاقى» فى هذا الشهر المقدس.

كذلك يقدم فيلم «ضربة معلم» لمحة سريعة عن انصهار المسلمين والمسيحيين فى النسيج المصرى الواحد خلال شهر رمضان، إذ يوحى بأن واحدًا من الأعيان الصاعدة الذين يشاركون فى إخفاء الابن القتال عن عين الشرطة من عائلة مسيحية.

كان الفيلم هنا يقابل بين منطلق الدولة الحديثة التى يمثلها الضابط نور الشريف، والذى يقضى بأن يقبض على قاتل العشيق، وبين منطلق الشرف الشعبى الذى يعظم من القتل ثأرًا للشرف، ويعتبر الابن بطلاً شهماً لا قاتلاً مجرمًا، ويشتبك فى تلك النظرة أعيان مسلمون ومسيحيون، يشاركون جميعًا فى إخفاء الابن وتهريبه. هكذا يتوجه «سليم الجرجاوى»، وليلعب دوره محمد أبو العينين، إلى الضابط نور الشريف، الذى يحاول جاهلاً أن يقبض على شريف منير المختبئ فى بيت «الجرجاوى»، ويدعو الضابط وجنوده مقدمًا واجب الضيافة، ويوضح: «من أراد تناول طعام الغداء لأنه لا يصوم فليتنفضل، ومن يصوم فليتنفضل» (حتى يأتى موعد الإفطار).

هكذا تبرز تلك اللحظة فقرة الوحيدة التى تجاه «الغريم»، وهو الشرطة فى هذا السياق، بفكرة الحفاظ على الشرف حتى ولو بالقتل، وبمبدأ احترام مؤسسات الدولة، لترسم سريعًا ملامح هوية مصريّة صعيدية يجتمع تحت رايتها المسلمون والمسيحيون حتى فى رمضان، الذى يفترض أنه لحظة يتمايز فيها عنصر الأمة بسبب شكل ومواعيد الصوم.

الجماليات الأدبية عند إحسان عبدالقدوس، مؤلف الرواية التى تحولت إلى «فى بيتنا رجل»، عن جماليات نجيب محفوظ، صاحب رواية «خان الخليلي»، المخرفة فى الواقعية. فى «خان الخليلي»، يظهر شهر رمضان بعد حوالى نصف ساعة من بداية الفيلم، أى بعد اقضاء ربعة الأول، ويقدم عاطف سالم الشهر كخلفية لإظهار مظاهر الحياة فى الحى الشعبى الاصيل بلون واقعى، فيستعرض مزاج الناس فى القهوة قبل بداية الشهر، حيث يداعب بعضهم بعضًا بأنهم لا يصومون.

يستعرض تجمعات الأطفال يغنون جماعةً ويطلقون «العادة»، من كبار سكان الحى، فتكون فرصة ليظهر المخرج طيبة قلب عماد حمدي، بطل الفيلم الموظف الكبير، والذى يمنح الأطفال بعض القروش ليستمتعوا بشراء حلوى رمضان، مع تقديم عرض واقعى لمشاهد «المسحراتى» وهو ينادى على أفراد الحارة ليوقفهم وقت السحور.

■ هل كان لرمضان فى «خان الخليلي» دور درامى أيضًا؟

– «خان الخليلي» يستقيض فى إظهار مظاهر الأكل الفاخر الشهى والمتنوع فى وجبة الإفطار، فى بيت أسرة عماد حمدي وبيت الجار، ويبدو رمضان عاملاً أساسيًا فى تصوير الهوية الجماعية للمصريين، يحتفون ويحتفلون كذات جماعية متحدة أثناء الشهر، ويمارسون البهجة الناجمة عن ذلك التوحد فى ذات مصرية شاملة. بذلك يبدو تصوير رمضان، بالذات فى تجمع أفراد الأسرة حول مائدة شهية، أو فى تجمع الرجال حول موائد الشاى والقهوة فى المقهى، وكأنه العلامة الأساسية فى تصوير المصريين كشعب واحد يتحد فى البهجة.

وبذلك أيضًا، رمضان هو العلامة النقيضة للغارات الحربية فى الفيلم، الذى تدور أحداثه أثناء الحرب العالمية الثانية، حين كانت مصر تتعرض لغارات جوية المانية، تستهدف البلاد بوصفها تتضمن قواعد وتجمعات عسكرية بريطانية.

فى الفيلم، يتجمع المصريون ويتم تصويرهم كذات جماعية متناغمة فى المخيا أثناء الغارات الألمانية، وفى المقهى بعد الإفطار، وفى المنازل حول موائد الإفطار، فهم متعاضدون وقت الشدة، فى المخيا، فى ظلام وزحام وتقدس وخوف، وهم منسجمون مسترخون فى المقهى وحول موائد الإفطار. هكذا يبدو رمضان فى «خان الخليلي»، حيلة تؤكد جماليات الواقعية، لكنه أيضًا عامل فى بناء صورة نسيج وطنى متسق فى وقت الراحة والاستمتاع البدنى والروحي. ومن طرف خفى، يبدو رمضان أيضًا، ومثلما فى «فى بيتنا رجل»، العامل الذى يوحد المصريين فى مواجهة التهديد الاستعمارى.

ولا يسعى هنا إلا أن الأحظ ملمحًا سحريًا يخل ما أسميه دائمًا بقدرة السينما التنبؤية. فمشاهد الغارات واحتماء سكان الحى بالمخابئ فى جنح الظلام تظهر فى فيلم «خان الخليلي»، الذى غرض للمرة الأولى فى يناير ١٩٦٦، أى قبل عام ونصف من حضور طائرات الاستعمار المهدد والدمر فى سموات مصر، أثناء حرب ١٩٦٧، وكان الكاميرا كانت تضع على الشاشة مشاهد لن يلبث أن يعيشها المصريون فى الواقع، بعد عرض الفيلم بعام ونصف العام.

ربما لا يؤكد «خان الخليلي» بقوة ارتباطات تماسك النسيج المجتمع المصرى برمضان، من حيث مجتمع على الابتهاج به كل من المسلمين والمسيحيين على حد سواء، لكن لا تقوت الفيلم إشارة إلى ذلك التماسك، فى الدقائق العشر الأخيرة من الأحداث، حين يجتمع أبناء الحى فى منزل عماد حمدي، يدعون لأخيه حسن يوسف بالشفاء، وتظهر الكاميرا رفع الجميع أكفهم بالدعاء، وتستعرض قيامهم جميعًا بذلك الطقس، حتى تختتم الكاميرا حركتها بالتوقف عند أحد أبناء الحى، وهو يتمتم بالدعاء بينما يرسم الصليب.

■ هل يقتصر تصوير رمضان فى الأفلام الكلاسيكية المصرية على تأكيد وحدة النسيج الوطنى وتمايزه عن القوى الغربية والاستعمارية؟

– أزعم أن ذلك يكاد يكون الدور الأساسى لشهر رمضان فى أفلام الأبيض والأسود المصرية، باستثناءات قليلة، لعل أهمها تصوير رمضان فى فيلم «الفانوس السحرى»، الذى يعرف أيضًا باسم «إسماعيل يس والفانوس السحرى»، وأخرجه رائد الكوميديا فطين عبد الوهاب عام ١٩٦٠.

فى «الفانوس السحرى» يظهر تصوير شهر رمضان على أنه لحظة خاصة خلال العام، تقترب فيها دائرة البشر من أبواب السماء، ما يهدد لوصول بطل الأحداث إسماعيل يس على الفانوس السحرى الذى يسكنه الجنى، والذى يحقق للبطل أمنياته، مثلما فى قصة «علاء الدين والمصباح السحرى».

فأثناء احتفال أطفال الحى بمجىء شهر رمضان، وتجمعهم للغناء وإشاعة المرح، يلتفت نظر إسماعيل يس أن طفلة صغيرة يتيمّة لا تلعب مثل بقية الأطفال، لأن فانوسها قديم وصدى، فيشتري لها

■ قبل أن نبدأ الحوار ذكرت لب أن تصوير رمضان فى مثل فيلمى «فى بيتنا رجل»، و«خان الخليلي»، كان له بُعد سياسى وتاريخى خاص.. هل يمكن أن توضح تلك الفكرة؟

– «فى بيتنا رجل»، و«خان الخليلي» من أشهر الأفلام الكلاسيكية التى تعرض بانتظام فى التلفزيون، ويرتبطان بشهر رمضان الكريم، ويصوران طقوسه ضمن أحداثهما وأجوائهما، كما أنهما يصوران الحياة تصويرًا واقعيًا فى لحظة التوتر والأصطدام بالمستعمر البريطانى، بما يجعل لهما علاقة خاصة بالحنين إلى أيام التحرر الوطنى، وهو حين تتضاعف عاطفيته بسبب محورية شهر رمضان وطقوسه المحببة فى الفيلميين.

«فى بيتنا رجل»، الذى أخرجه هنرى بركات عام ١٩٦١، يعرض قصة أسرة متوسطة تجد نفسها رغمًا عنها منخرطة فى صدام بين القوى الوطنية المناضلة، وقوى الاستعمار، حين يختار المقاتل الذى يلعب دوره عمر الشريف أن يختبئ لدى أسرة صديقه الطيب حسن يوسف، هربًا من بطش سلطة الاحتلال والأجهزة الواقعة تحت سيطرته، بعد أن شارك فى عملية مقاومة ضد أعوان الإنجليز المحتلين.

لذا، يسعى الفيلم إلى تكوين صورة لمجتمع يتضاد فيه عالم المصريين المتوسطين الأصلاء مع عالم المحتلين وأعوانهم، ويبدو رمضان هنا عاملاً إضافيًا يزيد من عاطفة «المصرية»، لأن شحنة الوجدانية تزداد بين الناس عمومًا فى هذا الشهر، بسبب القيمة الروحية والطقسية له عند كل المصريين، مسيحيهم ومسلميهم على حد سواء.

■ رمضان فى «فى بيتنا رجل» يلعب دورًا وجدانيًا فقط أم أن له دورًا دراميًا؟

– فى المجتمع المصرى، مثلما فى كل المجتمعات ذات الغالبية المسلمة، قيمة التكافل والتزاور، ومشاركة الوجبات الهامة روحياً ورمزيًا، تزداد حيوية خلال شهر رمضان. ففوق كل هذا، يأتى رمضان كعلامة ثقافية ووطنية فارقة، لأن كل المصريين يعيشون علاقة خاصة به، بينما الإنجليز فى زمن السيطرة الاستعمارية للإمبراطورية البريطانية لم يكن لهم علاقة به، إلا باعتباره شهرًا شديد الخصوصية الثقافية والروحية للشعوب ذات الغالبية المسلمة، التى يعيش بعضها تحت هيمنة الاحتلال البريطانى.

هكذا يأتى رمضان فى فيلم «فى بيتنا رجل» كمعلم يؤكد الهوية الثقافية والرمزية بين عالم المصريين الأصلاء الذين يحتفون برمضان، وعالم العملاء المتعاونين مع الإنجليز، والإنجليز أنفسهم، الذين يحضر الفيلم الإشارة إلى «مروهق»، عن المصرية، بسبب مواقفهم السياسية المعادية لاستقلال مصر، وكذلك بسبب كون رمضان لا يمثل لهم أهمية ثقافية عالية. فى الفيلم، رمضان يمثل أيضًا أعلى نقطة من الهدوء والانسجام فى النسيج المجتمعى المصرى، لحظة الهدوء ساعة الإفطار، ما يزيد من درامية تعرض هذا الهدوء والصفاء لصدمة كبيرة، عبر دخول المناضل الهارب من الاعتقال إلى فضاء الأسرة الطيبة التى يرأسها حسين رياض، وطلبه حمايتهم.

إن أن رمضان فى الفيلم ليس مجرد عامل من عوامل إنتاج صورة واقعية للمجتمع، وتقديم لحظات حقيقية من الحياة اليومية للمصريين، باعتبار الشهر علمًا من أعلام تلك الحياة اليومية، بل عاملاً ثقافيًا يفصل بين المصريين الأصلاء، والعملاء ضعيفى الوطنية، لكنه أيضًا عامل درامى يزيد من عاطفية الأحداث. يلخص مشهد التناف الأسرة حول مائدة الإفطار، فى الدقيقة ٤٠ من الفيلم تقريبًا، كل هذه العوامل، حيث المائدة عامرة بكل الأصناف، لكن لا تكاد تمتد إليها يد، ليشير المخرج بذلك إلى كرم الأسرة، واستعدادها للمساهمة فى النضال الوطنى، ولو بتقديم أشهى الطعام للمناضل الهارب عمر الشريف، مع الإشارة كذلك إلى التوتر الذى يحيط بهذه الأسرة بسبب خطر عبور الشرطة على ضيفهم، ما «يسد نفوسهم» عن الأكل.

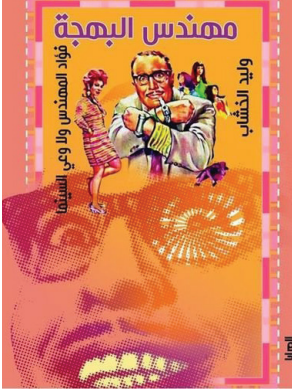
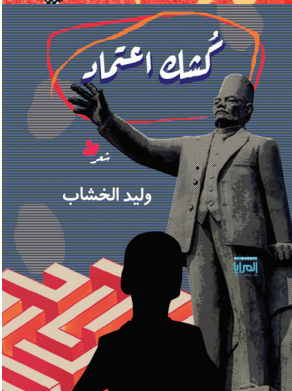
■ وماذا عن فيلم «خان الخليلي»... هل يلعب شهر رمضان دورًا مشابهًا؟

– من المؤكد أن فيلمًا مثل «خان الخليلي»، الذى أخرجه عاطف سالم فى عام ١٩٦٦، لا بد أن يحمل بصمة جمالية مختلفة عن فيلم أخرجه بركات قبلها بأكثر من ٤ سنوات، فى «خان الخليلي» يؤكد عاطف سالم جماليات المدرسة الواقعية، ويفصل فى تصوير الجو الرمضانى بقدر أكبر بكثير مما فعله بركات فى «فى بيتنا رجل»، رغم احتفاء كلا المخرجين بالواقعية فى تصوير الأجواء وتصرفات الشخصيات. والمسافة الجمالية بين الفيلميين هى أيضًا تظهر فى طريقة تصوير الفيلميين للشهر الكريم، وتعبّر عن اختلاف قادم من اختلاف

احتل شهر رمضان مكانة خاصة فى ساحة الإبداع المصرى، خاصة فى فنى الدراما والسينما، عبر مجموعة مميزة من المسلسلات والأفلام، التى شكلت وجدان وقوام ذاكرة المشاهد المصرى والعربى عن الشهر الكريم، ولا تزال عالقة فى الأذهان، بعد مرور سنوات طويلة على تقديمها.

عن أبرز هذه الأعمال، وتحديدًا الأفلام السينمائية، يدور حوار «حرف، التالى مع الدكتور وليد الخشاب، أستاذ الدراسات العربية بجامعة يورك، الكندية، الناقد والباحث السينمائى المعروف. والدكتور وليد الخشاب له العديد من المؤلفات فى المجال السينمائى، من بينها كتابه عن الأستاذ فؤاد المهندس، والذى يحمل اسم مهندس الهجة، إلى جانب كتاب «الاقتراب من الأدب إلى السينما» بالمشاركة مع أستاذة النقد والسينما، الدكتورة سلمى ميارك.

#### حسين عبدالرحيم





يا عبد.. إذا رأيتني أصرفك عن السوى ولا أصرفه عنك  
ففر إلى من فتني، واستعد بي من مكري، وسل عني  
العالم والجاهل واسلك إلى الأمن والخطر.



محمد بن عبد الجبار النفري

المقال نُشر في مجلة الهلال العريقة، عدد  
ديسمبر لعام ١٩٧٠، تحت عنوان «القرآن  
والمسيحية»، وكان المقال الأول ضمن حوالى  
13 مقالاً تم كتابتها في مجلة الهلال.  
«حرف» تنشر النص الكامل للمقال المجهول  
وغير المتوفر إلكترونياً فى أى وسيلة.

٣ مناسبات أعادتنا لهذا المقال النادر للبابا  
شنودة: الأولى شهر رمضان، والثانية الصوم  
الكبير، حيث بدأ المسلمون والمسيحيون  
الصوم معاً فى نفس اليوم.  
أما المناسبة الثالثة فهي ذكرى وفاة البابا، التي  
حلت قبل أيام، وتحديداً فى السابع عشر من  
مارس، حيث توفى قداسته فى هذا اليوم من  
عام ٢٠١٢.



## البابا شنودة يكتب:

# القرآن والمسيحية

(سورة يونس: ٩٤). وقال أيضاً: «وما أرسلنا قبلك إلا  
رجالا نوحى إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا  
تعلمون، (سورة الأنبياء: ٧).  
ووصف القرآن النصارى بأنهم ذوو رافة ورحمة، وقال  
فى ذلك «وقفينا بعبسى بن مريم وآتيناه الإنجيل،  
وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة، (سورة  
الحديد: ٢٧).

واعتبرهم القرآن أقرب الناس مودة للمسلمين،  
وسجل ذلك فى سورة المائدة حيث يقول: «لتجدن  
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا،  
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا  
نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورباناً وإنهم لا  
يستكبرون، (سورة المائدة: ٨٣).

ونلاحظ فى هذه الآلية القرآنية تمييز النصارى عن  
الذين أشركوا.. لأنها هنا تذكر ثلاث طوائف واجهها  
المسلمون، وهى اليهود والذين أشركوا فى ناحية،  
والنصارى فى ناحية أخرى. فلو كان النصارى من  
المشركين، لما صبح هذا الفصل والتمييز.  
إن التمييز والفصل بين النصارى والمشركون أمر  
واضح جداً فى القرآن ولا يقتصر على النص السابق،  
وإنما سنورد هنا أمثلة أخرى. منها قوله: «إن الذين  
آمَنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس  
والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن  
الله على كل شئ شهيد، (سورة الحج: ١٧). نفس  
هذا التمييز نجده فى الآية ١٨٦ من سورة آل عمران،  
ونجده واضحاً «فى قوانين التزوج المشترك، وفى قوانين  
فى نهاية هذا المقال. أما الآن فيكفى فى نظرة القرآن  
إلى إيمان النصارى أن يؤكد قوله «إن الذين آمنوا  
والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم  
الآخر وعمل صالحاً فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون، (سورة البقرة: ٦٢)، (وسورة  
المائدة: ٦٩).  
أما الآن فننتكلم عن نقطة أخرى فى موضوعنا وهى  
الإنجيل.

من قبلهم، أو «الذين آتيناهم الكتاب، أو «النصارى»..  
ويعتبرهم القرآن بالإيمان وعبادة الله وعمل الخير.  
ويقول فى ذلك «من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون  
آيات الكتاب آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله  
واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،  
ويسارعون فى الخيرات. وأولئك من الصالحين، (سورة  
آل عمران ١١٣).

ويقول أيضاً «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق  
تلاوته، أولئك يؤمنون به، (سورة البقرة ١٢١). ولقد  
وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلهم وإياكم أن اتقوا  
الله، (سورة النساء ١٣١).  
«الذين آتيناهم الكتاب من قبله، هم به يؤمنون،  
(سورة القصص ٥٢).

هم إذن من المؤمنين، يعبدون الله، ويسجدون لله وهم  
يتلون آيات الكتاب طوال الليل. يؤمنون بالله وبالكتاب  
وباليوم الآخر، وهم من الصالحين.  
ولذلك أمر القرآن بمجادلتهم بالتي هى أحسن.  
وفى ذلك يقول «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي  
هى أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذى  
أنزل إلينا وأنزل إليكم. وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له  
مسلمون، (سورة العنكبوت ٤٦).

ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل  
الكتاب، بل أكثر من هذا فوضع القرآن النصارى فى  
مركز الإفتاء فى الدين، فقال: «فإن كنت فى شك مما  
أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك،

والإنجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان  
مصديقا له وداعياً الناس إلى الإيمان به.. ولم يذكر  
فى القرآن إطلاقاً أنه نسخ التوراة أو الإنجيل، بل على  
العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شئ حتى يقيموا  
التوراة والإنجيل.  
وللعذراء مريم أم المسيح مركز ممتاز فى القرآن، فى  
بتوليبتها وطهرها ونسكها وعبادتها وتشريف الله لها  
واصطفائها على نساء العالمين.  
وقد تحدث القرآن أيضاً عن الحوار بين تلاميذ  
المسيح.. وتحدث عن بعض العقائد المسيحية..  
وهنا يظهر بعض الخلاف بينه وبين المسيحية.  
شئ من ذلك خلاف حقيقى، وشئ آخر لا يمكن أن  
نسبىه خلافاً، وإنما هو محاربة لبعض البدع الدينية  
التي كانت سائدة وقتذاك، والتي تحاربها المسيحية  
أيضاً، والتي لم تكن فى يوم من الأيام من عقائد  
المسيحية كما يخطئ البعض فى الفهم والتفسير  
وما أكثر الملل والنحل التي تقوم فى كل جيل، يحارب  
أخطاءها أولياء الله الصالحون.  
وسنعرض لكل هذا بالتفصيل

2

### نظرة القرآن إلى النصارى

يدعوهم القرآن «أهل الكتاب، أو «الذين أوتوا الكتاب

إن موضوعاً واسعاً كهذا، كتبت فيه مجلدات عديدة  
ولم توفه حقه بعد، لست أستطيع أن ادعى بأننى سألم  
بأطرافه المترامية فى صفحات قليلة كهذه.  
وإنما سأعرض لبعض النقاط المحدودة، وألقى عليها  
ضوءاً بسيطاً، نراها من خلاله. ونترك التفاصيل  
ليحوت خاصة.

1

### فكرة القرآن عمومًا عن المسيحية

تعرض القرآن للمسيحية، شرح كيف أنها ديانة  
سماوية، ديانة إلهية، أرسلها الله هدى للناس ورحمة،  
على يد المسيح ابن مريم. والمؤمنون بالمسيحية سجل  
القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم، وأنهم غير المشركين،  
وغير الذين كفروا.. وقال أيضاً إنهم أقرب الناس مودة  
إلى المسلمين، وإنهم متواضعون لا يستكبرون.  
وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير. إنه كلمة  
الله، وروح منه. ولد بطريقة عجيبة لم يولد بها إنسان  
من قبل ولا من بعد، بدون أب جسدى، ومن أم عذراء  
ظهر لم يمسسها بشر.. ومات ورفع إلى السماء  
بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء.. وعاش  
على الأرض يهدى الناس، ويقوم بمعجزات لم يعملها  
أحد مثله..

وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم بالإنجيل.







محمد بن عبد الجبار النفري

وقال لب: وعزّى لب أعزاء ما لهم عيون فيكون لهم دموع، ولا لهم إقبال فيكون لهم رجوع.. لب أعزاء ما لهم دنيا فتكون لهم آخرة.



## المسيح فى القرآن هو كلمة الله وروح منه وصاحب المعجزات.. والمسيحيون أقرب الناس مودة الفصل بين النصرارى والمشركين واضح فى القرآن.. وآياته تؤكد سلامة الإنجيل من التحريف

ولد ولم تكن له صاحبة، (سورة الأنعام: ١٠١)، وأيضًا «وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا» (سورة الجن: ٣). ليس بين المسيحية والقرآن خلاف فى هذا الأمر. فالمسيحية تقول أيضًا إن الله لم يتخذ صاحبة، سبحانه. الله روح منزّه عن الجسد وأعماله. وبنوة المسيح لله هى بنوة غير جدية، غير تناسلية، إنها شئ روحى الهى يتسامى فوق هذا المستوى الجسدى. فإن ربطنا بين البديعتين الأولى والثانية، الأولى التى تدعى ألوهية العذراء، والثانية التى تدعى صاحبة لله، أدركنا سر البدعة الثالثة الخاصة بالشرك بالله.

التقطعة الثالثة: الخاصة بالشرك بالله كما لو كان هناك ثالوث مكون من الله وصاحبة وابن أنجبه الله من صاحبة. وهذا كفر مبين تنتزّه عنه المسيحية، وليس ثالوث المسيحية من هذا النوع الوثنى كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الإله أوزيريس والإلهة إيزيس وابنتهما الإله حورس. إن وجدت بدعة من هذا النوع يحاربها القرآن، فالمسيحية تحاربها أيضًا، ولا يمكن أن تؤمن بمثل هذا الكفر..

المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله، إنما تؤمن بالتوحيد، ولا تؤمن بثلاثة آلهة إنما تؤمن بإله واحد لا شريك له. والآيات الدالة على التوحيد فى التوراة والإنجيل لا تدخل تحت حصر. إن التوحيد أمر بديهي لا يتناقش فيه أثنان.

فإن قال القرآن فى (سورة النساء: ١٧١) «ولا تقولوا ثلاثة.. إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد»، فإن المسيحية تقول مثل هذا أيضًا. إنها تنكر التعدد والشرك، وتنكر أن يكون له ولد من صاحبة بتناسل جسدى. وإن قيل فى (سورة المائدة: ٧٣) «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.. وما من إله إلا إله واحد»، فإن المسيحية تقول هذا أيضًا ليس الله واحدًا من ثلاثة آلهة، لأنه لا يوجد سوى إله واحد لا شريك له. إن الإسلام فى كل هذه الآيات إنما يحارب بدعًا تحاربها المسيحية أيضًا، وهى ليست من المسيحية فى شئ.

أما ثالوث المسيحية فقير هذا كله. فنقول فيه «بسم الأب والابن والروح القدس، إله واحد آمين.. فآلهة هو جوهر إلهى أو ذات إلهية، له عقل وله روح. والثلاثة واحد. كالنار لها ذات هى النار، وتولد منها حرارة وينبت منها نور. النار بنورها وحرارتها شئ واحد. وكالإنسان ذاته وعقله وروحه كيان واحد.. والبنوة فى اللاهوت هى كبنوة الفكر من العقل. العقل يلد فكرًا وليست له صاحبة.

وأخيرًا فليس معنى كل ما قلناه أن القرآن والمسيحية شئ واحد. كاد هناك خلافات جوهرية منها التثليث والتجسد والفداء ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة ومنها القرآن نفسه.. وأشياء أخرى كثيرة. ولكننا أحببنا فى هذا المقال أن نتكلم عن نقط التلاقى فقط، لا عن نقط الخلاف..

### المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله إنما

### تؤمن بالتوحيد ولا تؤمن بثلاثة آلهة إنما

### تؤمن بإله واحد لا شريك له

ورافعلك إلى ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، (سورة آل عمران: ٥٥). والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده إلى السماء. ولكن القرآن لم يبين كيف وقع المسيح ومتى حدث ذلك، وبقي الأمر عجيبة..

هـ- صفات المسيح الأخرى: من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه «وجيهاً فى الدنيا والآخرة، وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوًا عجيبيًا، وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس.

### مركز العذراء مريم فى القرآن

يشرح القرآن فى سورة آل عمران أن مريم نذرت للرب وهى فى بطن أمها «فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبئتها نباتًا حسنًا»، وأنها تربت فى الهيكل تحت رعاية زكريا، وأنها كانت تطعم طعامًا من السماء «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أى لك هذا قالت هو من عند الله، وعلو مركز العذراء مريم يظهر فى قول القرآن عنها «وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، (آل عمران: ٤٢)». وهكذا ارتفعت مريم فى نظر الإسلام فوق نساء العالمين.

كانت عذراء عابدة تسجد وتركع مع الرعاكهن. وكانت تحيا فى وحدة وتأمل «انتبئت من أهلها مكانًا شرقياً، فاتخذت من دونهم حجابًا، (سورة مريم: ١٥ و١٦)». وقد نذرت للرحمن صومًا.. ويمكن الرجوع إلى سورة مريم وسورة آل عمران وغيرهما لن يريد أن يتوسّع فى معرفة فضائل العذراء مريم وعلو مكانتها، كما يشرح ذلك القرآن.

### بعض خلافا٢ غير حقيقية

إن هناك بعض نقط خلاف مورودة فى القرآن يظنها البعض منسوبة إلى المسيحيين والمسيحيون لا يؤمنون بتلك البدع بل يحاربون أصحابها حيثما وجدوا. وهذه الخلافات تتركز فى الآيات القرآنية الآتية: النقطة الأولى: خاصة بألوهية العذراء وورد فى ذلك «وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك، (سورة المائدة: ١١٦). والمسيحية لم تقل فى يوم من الأيام بألوهية العذراء مريم بل إن مريم نفسها تقول فى الإنجيل إنها «أمة الرب، فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله.. فإن كانت قد قامت بدعة تنادى بتأليه العذراء، فإن المسيحية تحاربها بكل قوة.

كذلك لا يمكن أن تؤمن المسيحية إطلاقًا بوجود إلهين من دون الله حتى لو كان المسيح أحدهما.. فنحن تؤمن بإله واحد لا سواه. ولعل هذا الموضوع سنعرض له عندما نعرض للنقطة الثالثة الخاصة بالشرك..

النقطة الثانية: خاصة بوجود صاحبة لله وورد فى ذلك: «بديع السموات والأرض أى يكون له

### فكرة القرآن عن المسيح

يسميه القرآن «عيسى». وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية «إيسوس»، IYCOC، أما اسم المسيح فى العبرية فهو يسوع ومعناه مخلص. على أن القرآن ذكر اسم المسيح أكثر من عشر مرات.

انظر: آل عمران ٤٥، والنساء ١٥٧ و١٧١ و١٧٢، والمائدة ١٧ «مرتين»، ٧٢ «مرتين»، ٧٥، والتوبة ٣٠، ٣١. وسنحاول أن نورد بعض هذه الأمثلة خلال حديثنا.

واسم «المسيح هذا كان موضع دراسة لكبار المفسرين فى الإسلام. وقيل فى ذلك إنه سُمى مسيحًا «لأنه مسح من الأوزار والأثام». وأورد الإمام الفخر الرازى حديثًا شريفًا قال فيه راويه «سمعت رسول الله يقول: ما من مولود من آدم إلا ونحسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من نحسه إياه، إلا مريم وابنها..

كل هذا، وما سأتى، يدل على المركز الرفيع الذى تشته به المسيح فى القرآن وفى كتب المفسرين، وهو مركز تميز به عن سائر البشر. ومن ذلك: أ- إنه دعى كلمة الله وروحًا منه:

وقد تكرر هذا اللقب، فورد فى سورة «آل عمران: ٤٥»: «إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين». وورد فى «سورة النساء: ١٧١»: «إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنقأها إلى مريم وروح منه، وقد أشرت عبارة «كلمة الله، تعليقات لاهوتية كثيرة لا داعى للخوض فيها الآن، وبخاصة لأن تسمية المسيح بكلمة الله يطابق الآية الأولى من الإنجيل ليوحنا الرسول. وكذلك لأن عبارة «الكلمة» وأصلها فى اليونانية «اللوغوس»، لها فى الفلسفة وفى علوم اللاهوت معان معينة غير معناها فى القاموس. وينفس الوضع عبارة «روح منه» التى حار فى معناها كبار الأئمة والمفسرين. وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره.

ب- ولادته المعجزية من عذراء:

لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته من حيث هو كلمة الله وروح منه إلهًا إلى مريم، وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر. وإنما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة. زادها غرابة أنه «يكلم الناس فى المهد، (آل عمران: ٤٦)، الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد.. أترك هذا العجب لتأمل القارئ لتسجح فيه روحه وانتقل إلى نقطة أخرى وهى:

ج- معجزات المسيح العجيبة: وأخص منها مما ورد فى القرآن- غير إبراء الأكمة والأبرص وأحياء الموتى معجزتين فوق طاقة البشر جميعًا، لم يقم بمثلها أحد من الأنبياء وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب. وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح «إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» (سورة آل عمران: ٤٩). هنا ويقف العقل، لكى تتأمل الروح.. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته: الخلق ومعرفة الغيب ومن الأمور الأخرى التى يذكرها القرآن فى رفعة المسيح وعلوه: د - موته ورفعته إلى السماء:

وقد ورد فى ذلك «وإذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك..

### نطرة القرآن إلى الإنجيل

يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله يجب قراءته على السحى والمسلم وكل من آمن بالله.

فيقول: «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه.. وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس» (سورة آل عمران: ٤٥٣).

ويقول أيضًا: «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، (سورة المائدة: ٤٦ - ٤٨).

وكون القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، فهذا يعنى صحة الإنجيل والتوراة وسلامتهما من التحريف والا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقًا لكتاب محرف. كذلك لو كان التوراة والإنجيل قد لحقهما التحريف، ما كان يأمر قائلًا: «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.. بل ما كان يصدر أيضًا ذلك الأمر «قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم» (سورة المائدة: ٦٨).

ما أكثر الآيات القرآنية التى تسجل أن القرآن نزل مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، بطول بنا الوقت إن حاولنا أن نحصىها..

وما أكثر الآيات القرآنية التى تدعو إلى الإيمان بالإنجيل والتوراة، نذكر منها غير ما سبق «يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذى أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالًا بعيدًا» (سورة النساء: ١٣٦).

ونلاحظ فى هذا النص أنه قال «كتبه» ولم يقل «كتابه». فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورًا وموعظة للمتقين..

وقد ورد فى سورة البقرة عن أهمية هذا الإيمان «والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، (البقرة: ٤ و٥) «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم، (البقرة: ١٣٦). «لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم» (سورة المائدة: ٦٨).

أقتصر الآن على هذا القدر القليل وقيل أن أترك هذه النقطة أقول:

إن كل ما سبق ينشئ بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل!! من المحال أن يكون ناسخًا لهما وفى نفس الوقت يدعو إلى الإيمان بهما ويحذر من إهمال ذلك. ملاحظة أخيرة أنه إليها القراء.. وهى أن القرآن- فى كل سورة وآياته- عندما يذكر الإنجيل، إنما يعنى الإنجيل الذى بشر به المسيح.

ولم يرد فى القرآن حرف واحد عن ذلك المؤلف المزيف الذى أسماه كاتبه «إنجيل برنابا». إن اسم برنابا هذا غير موجود على الإطلاق فى القرآن كما أن كثيرًا من تعاليمه ومعلوماته منافية ومنافضة لتعاليم القرآن.



### من الصفات التى ذكرها القرآن

### عن المسيح أنه «وجيهاً فى

### الدنيا والآخرة» وقد شرح أئمة

### المفسرين معنى هذا الوصف

### باستفاضة وخرجوا منه بعلو

### مركز المسيح علوًا عجيبيًا





# الموصلية أسيرة

## السيد البدوي عاشقًا

ساكن طنطا.. فى قلة صلاته

1



محمد العسيري

«عرفتك يا فحل الرجل  
يا بدوي يا شيخ العريان  
انت جيت لتقهرنى..  
لكن يا أبا الفتيان لا تقتلنى»  
«قالت خذنى زوجة  
وخداية ليك  
واعيش معاك  
يا سيدنا السيد  
فى أراضيك»

لم يتزوج البدوي أحدًا.. يتفق المؤرخون على ذلك..  
وعاش وحيدًا فوق سطح بيت لا يملكه فى طنطا، التى  
كانت مجرد قرية تتبع «المحلة الكبرى، حتى رحل.. لكن  
الأميرة التى جاءت خلفه لا يعرف أحدهم إلى أين  
ذهبت.. فقط فى قرية صغيرة جنوب مدينة قوص على  
حدود قنا، حيث قرية أسمها خزام يوجد ضريح صغير..  
كتب أحدهم على مدخله «هنا ترقد فاطمة بنت برى».

«المرأة تحن للرجل لأنه أصلها.. والرجل يحن للمرأة  
لأنها مشتقة منه»..  
هكذا رأى أحد رموز الصوفية محيي الدين بن عربى  
علاقة المرأة بالرجل.. فكيف لرجل صوفى من أقطابهم  
الكبار أن يرفض الأميرة جميلة الجميلات وأن يصمد  
أمام غوايتها؟  
هل صمد البدوي فعلاً أمام «الموصلية، وكيف صمد..  
وهى التى «غلبت الجان، وخرّوا لها عشاقًا ومريدين؟  
هكذا قرر رواة السيرة.. ومجاذيب «ساكن طنطا» وتلك  
روايتهم، التى يذهب فى إثرها ملايين المحبين.. ليس  
هذا وحسب، بل إنهم يقولون إن «الأميرة فاطمة، هى  
التي «غشيت» عندما رأت وجه «السلطوحى» وأعلنت  
توحيدها عن إغواء الرجال وكسر ظهورهم.. «ناخت»،  
ورنحت، وألقت بجمالها ومآلها تحت قدميه، فلما أبى  
وتجسر ورجل إلى طنطا.. تركت الموصل وجاءت خلفه  
تسعى..

القلوب عند بعضها

أساطير  
الغرام  
فى  
الغناء  
الشعبى





## السادات وعبدالناصر ويبرس.. ملوك ورؤساء فى رواية البدوى

قبل أن أخبركم كيف صارت «قصة غرام، فاطمة بنت برى للشيخ واحدة من أساطير العشاق عند مرتدادي المقامات.. وفى أغنيتنا الشعبية والرسمية أيضًا.. أحكى لكم ثلاث روايات عن الشيخ.. والعهد على رواثها..

١٠، لما يوم القيامة ما جاش..

الروائى الشاعر والباحث محمد رفعت الدومى.. من أبناء نجع حمادى.. صيدلى يمارس البحث والكتابة ويفرض الخرافات «العامية» فى «سراديب، غواية اهل الطريقة.. الدومى كتب مقالا مطولا عن الأكاذيب التى تطول رحلة السيد البدوى وروى فى مقاله المنشور بعنوان «البدوى ومحليات المتعة العميقة» بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٣ بمصنعة «الحوار المتمدن».. أنه وفى أحد أيام عام ١٧٣٥م انتشرت فى مصر من أقصاها إلى آخرها شائعة تقول إن يوم البعث سيكون فى يوم الجمعة الموافق ٢٦ من شهر ذى الحجة.. وراح الناس يودعون بعضهم بعضا الوداع الأخير.. ويهيئون على وجوههم فى الحقول والطرقات.. وانفضى ذلك اليوم ولم تقم الساعة والناس ما زالوا أحياء ييرزقون.. هنا تدخلت السلطة بشائعة أخرى تقول إن الشافعى والدسوقي والبدوى تشفعوا للناس عند الله أن يؤجل يوم القيامة فقبل شفاعتهم.... الدومى لم يقل إن صاحب الرواية هو عبدالرحمن الجبريتى.. وإن الراحل جمال بدوى نقلها عنه فى كتابه «من نافذة التاريخ».. دليلا على سيادة الخرافات فى ذلك العصر.. ولكن ما لم يقله جمال بدوى إن الخرافات تلك ظلت تعيش بيننا حتى أيام السادات..

يروى الزميل الكاتب الصحفي أيمن الحكيم نقلًا عن بعض مجاذيب السيد البدوى الذين لم يحددهم فى مقاله المنشور بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠١٩ بمجلة الإذاعة والتليفزيون.. أن الرئيس محمد أنور السادت وفى يوم الرابع من أكتوبر عام ١٩٧٣.. بالتحديد فجر ذلك اليوم.. ذهب إلى طنطا حيث أدى صلاة الفجر- كما اعتاد- لكنه هذه المرة لم يتصرف بعدما أدى الصلاة- كما اعتاد- بل هسم فى أذن إمام المسجد يطلب ما أثار دهشته «عايز أدخل غرفة الأثر الأحمدي».. حيث تضم آثاره الباقية، وعلى رأسها عباءته.. التى لم يجرؤ أحد على استخدامها، لكن السادات وحده جرؤ وطلب إخراج عباءة البدوى من دولابها.. تناولها بخشوع وقبلها برفق ثم فردها وارتداها ونام على أرض الحجره حتى الصباح.. ولما طال نوم الرئيس دخل عليه إمام المسجد وخادم الضريح الشيخ أحمد حجاب،

فوجد أمارات البشر على وجهه.. عانقه السادات وقبل رأسه ثم مضى عائداً إلى غرفة عمليات القوات المسلحة وبعدها.. عبرنا!!

لا تندesh.. لقد انتصرنا فى أكتوبر ببركة عباءة «السيد البدوى».. ولم لا.. ألم يكن هو «محرر الأسرى من سجون الصليبيين»؟

الرواية الثالثة.. كتبها عمنا عبدالرحمن فهى فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٣ يقول: «اتصل جمال عبدالناصر بثروت عكاشة وقال له إن الناس تقول إن المسرحية- يقصد مسرحية بلدى يا بلدى لرشاد رشيدى التى تحكى سيرة البدوى- موجهة له شخصيًا.. خاصة دور عبدالله غيث.. فقرر عكاشة أن يشاهد المسرحية ويرفع له تقريرًا، لكن عبدالناصر أصر أن يذهب معه ليشاهدها سوياً.. وفى ركن مظلم جلس عبدالناصر الذى دخل من باب خفى للمسرح حتى نهاية العرض.. وعندما خرج التفت إلى ثروت عكاشة وسأله (هوه أنا خرج السوء يا ثروت؟)».

ورغم ذلك لم يأمر عبدالناصر بوقف العرض الذى استمر لفترة طويلة يحكى كيف غرر الأتباع والمريدون المبلاتية بالسيد البدوى حينما عزلوه عن الناس».

ثلاث روايات.. كل منها.. سواء رواية الجبريتى أو قصة السادات المزعومة أو غضب عبدالناصر الذى توقف أمام جبروت الشيخ.. كلها تصب فى خانة واحدة.. إلى هذا الحد يحب المصريون الرجل الذى يصفه السلفيون بأنه المجذوب.. ذو الوجه المصاب بالجدرى والعقل التائه؟! كيف لرجل كان يبول على المارة من «سطح» المنزل الذى يعيش فيه فى طنطا أن يحصل على كل هذه الحظوة؟

أنا السطوحى واسمى أحمد البدوى فحل الرجال إمام القوم فى الحرم منذ كنت طفلاً صغيراً نلت منزلة وهمتى قد علت على سائر الهمم، «قالوا ده بطل مافيش منه، «قالوا الرفاعى بطل واعى.. مافيش منه راح يزور سيدنا النبى لقى البدوى قاعد فى ريح منه سلم عليه الرفاعى

وطلب منه.. يزوره فى العراق لأمر ما ينسكت عنه سألته شيخ العرب ع السيب عشان يشوف المطلوب بقى منه قال الرفاعى فاطمة بنت برى بتعمل عمل ما حدش رضى عنه مافيش ولّى ظهر

إلا ما تاخذ شربته منه،

هذا الموالم الشعبى الذى حفظه الجنوب المصرى بطريقة وغناء الشيخ محمد الضوى، وقد تمت طباعته على شرائط كاسيت انتشرت بشكل مريب منتصف سبعينيات القرن الماضى.. كان سبباً فى بحث الكثيرين عن «أصل الحكاية».. وبالرغم من تقديم التليفزيون المصرى مسلسلًا كاملاً عنها قامت ببطلوته «نوال أبو الفتوح» عام ١٩٧٣.. ومن قبلها ما قدمته تحية كاريوكا من خلال فيلم سينمائى تم إنتاجه وعرضه فى عام ١٩٥٣.. إلا أن التوظيف السياسى للطرق الصوفية من ناحية.. وللخلاف التاريخى بين السنة والشيعة.. تسبب فى عدم إعادة عرض الفيلم والمسلسل، وظلت حكاية فاطمة أغنية يرددها «الشعبيون» فى موالهم وما أكثرها فى مصر.

«يا بنت برى يا موصيلة سلطان جماللك حاكم عليه سبع عجائب محاوله بك إذا مشيتى.. مشيتى تتبع كابلك من أرض بصرة للقيصرية، لا أعرف.. أين تقع «القيصرية» التى يذكرها بيرم التونسي فى أغنيته التى شدت بها المطربة المجهولة «دنيا زاد» من ألحان يوسف صالح فى أوائل خمسينيات القرن الماضى.. ولا أعرف لماذا توقفت القصة عند توبة «فاطمة» ورحيلها إلى مصر.. لكن ما أعرفه أنهم يختلفون من الأصل فى سر مجيء «البدوى» إلى مصر..

الباحث محمد رفعت الدومى يؤكد أنه جاء إلى مصر بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي مباشرة.. وأنه جاء ليحطم عن عمد.. وقد كان يزور أسباطاً فى خطة «شيوعية» متعددة الأبعاد لاستعادة مصر إلى النطاق الشعبى الذى أخرجها منه صلاح الدين.. ثم يضيف رفعت الدومى «فشل السيد البدوى فى أن يستعيد

الدولة الفاطمية لصلابة عضلات الدولة المملوكية، خاصة فى عهد بيبرس، لكنه نجح بالتأكيد فى أن يصنع ديناً موازياً».

يقول الشعرانى.. صاحب الطبقات: «فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.. رأى فى منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له «قم واطلب مطلع الشمس واطلب مغرب الشمس».. وسر إلى طنطا فإن بها مقامك أيها الفتى».

وينسب للشعرانى أيضًا: «وكان الملك الظاهر بيبرس يعتقد فى سيدى أحمد اعتقاداً عظيماً.. وكان ينزل لزيارته، ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر فتلقوه وكرموه غاية الإكرام».

«الله.. الله يا بدوى وأدى أولئك يا رافع رايتك بتترفرف على فتيانك يا ملثم لجل ما نيل ريك يجرى مكائك ده جهادك لله.. وطريقنا وياك نصرة الله.. الله يا بدوى.. جاب الأسرى».

تأملت قصة فاطمة العاشقة التى تابت مثلما تابرت رابعة العدوية.. وبقيت قصة البدوى جلاب الأسرى من عند الصليبيين.. والقصة الأخيرة مكنوزة تاريخياً ومختلف عليها أيضًا.. لكن الباحث سامح عسكر فى مقاله «حقيقة السيد

البدوى» بتاريخ ٢٠٢٣/٢/٧.. يؤكد أن «السيد أحمد البدوى كان سُنِّيًّا متصوفًا لم يكن شيعيًا».. وأنه لاحقته تهمة التشيع لأنه سليل أسرة علوية مهاجرة، خصوصًا بعد معركة فح التى فشل فيها العلويون ضد الخليفة العباسى موسى الهادى.. وأن تلك الأسر هاجرت إلى فاس بالمغرب وأسست مدينة فارس.. واستقرت بها حتى جاءت دولة الموحدين فاضلهاوا عرب المدينة فهاجر منهم كثيرون إلى مصر، ومنهم عائلة أحمد البدوى.

المهم أن سامح عسكر يؤكد أن الشيخ البدوى اشتهر بعلاقته بالأثنى الفاتنة بارعة الجمال «فاطمة بنت برى»، التى كان يتحاكى العرب عن جمالها، فأرادت فتنته، ولكنه رفض وأبى فتأثرت على يديه واختارت طريق الزهد والتصوف..

جمالها خلته يفتن ويفرّى بنظرة أبهة فى القلب تسرى وتأسر كل من شاهدها دوغرى وعمره يوهبه عشان رضاها رجال أحوال بهرهم نور جبينها

وقعوا فى الهوى عشان عيونها وسقطو لما سقطو فى امتحانها

ودى خصلة على الأيام تشيلها حرام كده تقضل على هواها مافيش غيرك حيثولى أدبها يرجع عقلها.. ويعيد صوابها».

هكذا يغنى الشيخ محمد الضوى.. فهل عاد عقل فاطمة بنت برى أم ذهب؟.. الدكتور يوسف زيدان لم يترك القصة.. وعرض إليها ضمن مقالات سبعة تناولت أئمة الصوفية، ومنهم «البدوى».. يقول:

«لهذه القصة وجهان.. وفيها أيضًا رأيان وقولان، القول الأول إن السيد أحمد البدوى حين ارتحل من مكة إلى العراق.. تسلمت عليه امرأة فاتنة ذات مال وجمال هى فاطمة بنت برى، التى كانت تسلب أحوال الصوفية بأن تثير فيهم الغريزة الحسية وتدفعهم إلى الخروج عن الطريق الروحى بإثارة الاشتهاه فى نفوسهم وتعذيبهم بالرغبة.. وقد تفرغت هذه المرأة للشيخ فبذلت كل ما فى وسعها لإسقاطه من دائرة الولاية، فاستعصم وهو ما دل على تمكنه من المقام».

والقول الآخر لطف، ومفاده أن فاطمة بنت برى أحببت الشيخ وطلبت الزواج منه، وهو طلب كان من المنطقى قبوله لأنه كان مشغوفًا بحبها ومالها الكثير وجمالها الفاتن؛ غير أن الشيخ- حسب د. عامر النجار- وجد نفسه أمام دعوة كبيرة تحتاج منه إلى تفرغ كامل، والزواج قد يشغله فاستطاع البدوى أن يؤثر فيها وأن يحولها إلى امرأة متدينة وأخذ عليها العهد ألا تعود إلى ماضيها وغوايتها».

هاتان هما القصتان.. أما د. يوسف زيدان فيرى أنهما خياليتان وتجانبان وجوه الصواب.. ويضيف «القصة الأولى صيغت على منوال أدبى معتاد، بل جاءت مع القصتين القرآنية والتوراتية اللتين تحكيان عن امرأة العزيز التى سعت لإغواء النبى يوسف فاستعصم.. والقصة الثانية صيغت على منوال الحكاية الإنجيلية المشهورة عن مريم المجدلية، التى كان السيد المسيح سببًا فى هدايتها ولم يتزوجها لأن له شغلا أهم».

د. يوسف زيدان.. يشير إلى أمر مهم.. أن القصتين تتناقضان مع سيرة كبار الصوفية الذين تزوجوا وأحبوا النساء، مشيرًا إلى أن ابن عرب، الذى كان يرى أن «الكون أنثى».



لقطة من مسلسل «فاطمة بنت برى»



لقطة من فيلم «السيد البدوى»



## شرب المثلثم.. حق تبسم

فى عام ١٩٢٧.. يعنى من حوالى مائة عام تقريباً، خرج مقال منسوب إلى العالم الكبير الشيخ مصطفى عبدالرازق فى مجلة السياسة.. وقيل إنه وقعه باسم «عالم كبير».. ونسبوا للشيخ أنه اضطلع على مخطوطة مغربية ينكر صاحبها أن السيد البدوى كان صوفيًا ويؤكد أنه كان علويًا طموحًا يهدف لإرجاع الملك الفاطمى.. ورغم أنه مقال بدون توقيع؛ إلا أن أحمد صبحى منصور وآخرين ذكروا صراحة أنه «مصطفى عبدالرازق» وكتب الكثيرون يدحضون فكرة أن يكون المقال بالأصل للشيخ مصطفى.. حتى إن البعض استعان بأبناء الشيخ لتكذيب ذلك المقال ونفى فكرة نسبة لوالدهم..

فى المقابل لم يسلم الشيخ عبدالحليم محمود من هجوم ضار لا يزال مستمرًا إلى يومنا هذا؛ لأنه وضع كتابًا عن «السيد البدوى».. ودخلت دار الإفتاء المصرية فى المعركة.. الشيخ أحمد الحليم محمود اختصر الأمر حين قال «سار فى الطريق الذى سار فيه أسلافه.. سار فيه كمريد.. وأنثى فيه إلى أن أصبح شيخًا له مريدون.. لقد عالج نفسه حتى استقامت».

وتابع المصريون كل هذه المعارك.. لكنهم انصرفوا عنها إلى ما يعرفونه وصدقونه فقط.. هم صدقوا أن بنت برى أحبه.. وجاءت خلفه تسعى.. وأنه «جاب الأسرى» فهتقوا له

«الله.. الله.. يا بدوى».

ورغم أن حكاية الأسرى هذه طالما ما طال سيرة البدوى بأكملها؛ إلا أنها وبفعل الخيال الشعبى أصبحت أمرًا واقعا.

سامح عسكر فى قراءته سيرة الرجل يؤكد أنه كان رجلاً عاطفيًا.. وأن عزله الأولى كانت لفقدانه والده وأخاه.. ويشير إلى أنه قبلها كان فارسًا يحب الخيل.. لكن د. يوسف زيدان يؤكد أنه لم يثبت مشاركة البدوى فى أى معارك عسكرية.. ورغم ذلك يذهب كثيرون إلى أن زوار طنطا كانوا يسألونه فى أمر السياسة وأحوالها.. وأنه أسهم فى «تربية» المجاهدين الذين حاربوا الصليبيين.

د. عبداللطيف فهمى فى كتابه «دولة الدراويش» يشير إلى أن مسألة الأسرى ترجع لواقعة تاريخية.. ذلك أن وزارة الأوقاف أرسلت السيوف والدروع التى غنمها الجيش المصرى من جيش لويس التاسع لتخزينها فى المسجد الأحمدي.. فكان أتباع الشيخ يتقلدونها ويمشون بها فى مواكب الأحمدية، ويزعمون للناس أنها للأسرى الذين جاء بهم السيد من بلاد أوربا.. د. يوسف زيدان كذب هذه الرواية، مؤكدًا أن ما جرى جرى وقت لم تكن فيه وزارات من الأصل.. حرب.. ولا صليبيين.. ولا أسرى إذن.. لكن الذين جعلوا من فاتنة الموصل مجرد «عبدة خادمة» فى ركاب الشيخ.. ليس عليهم بقليل أن

يروه هكذا..

«السيد البدوى من الشباب مد ايده من بلاد الكفر جاب الأسير بحبيده فى أول الليل يقرأ الورد ويعيده وفى آخر الليل يسلم «النبى بإيده»

ومن أجمل ما سمعت.. ما صاغه هذا الخيال وغنته خضرة محمد خضر على موسيقى شعبية وإيقاع صوفى بديع.

«الله.. الله يا بدوى نظرة يا سيد يابو فراج بين الأجوايد إنت الجيد همومنا والله كتير واثت بحرى كبير».

لقد لخصت خضرة الحكاية فى «همومنا كتير».. فبهذه الهموم هى التى جعلت المصريين على مدار سنوات طويلة يخترعون الموالم ويقيمون الأضرحة لمن يعرفون.. ومن «السيد اللى مقامه فى العلا سايج نده المعلم وهود فى الجلالة

من السنة للسنة ف نحر ودبايج»..

هى مواسم للفرح يقتنصونها من فم

«السلطة» أو «الاحتلال» أو «الحزن» أيًا كان سببه.

وفى مواسم الفرح تلك وعبر مائة عام.. تعددت الإشارات إلى شيخ العرب وكراماته.. وتنوعت بين الغناء الإباحى المصرى مثلما هو الحال فى أغنية «بهية المحلاوية»، التى كان يصاحبها رقص شفيفة القبطية، وهى تعدد كرامات رجل يدعى عبده

«عم عبده».

لما كان مده فلق الشجرة.. «الله.. الله يا بدوى جاب اليسرى»

مرورًا بالشيخ سيد مكاوى الذى حولها إلى أغنية ساخرة من «الزوجة».

أنا الأديب الأدبائى.. أنا اللى تعبان فى حياتى غليت م الست مراتى.. يا ناس ويرتلى الحسرة، الشيخ إمام أيضًا استخدم نفس «التيمة»، كلمات أحمد فؤاد نجم «أنا الأديب الأدبائى.. غايظنى حال بلديايتى.. وغلبت أوجوح وأهاتى.. لكن بلدنا سمعها تقيل.. الله.. الله يا بدوى. هات الشخصايل».

ثم عاد الشيخ إمام ليستخدمها مجددًا بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد فى توظيف سياسى

مغاير للنداء الشعبى المعروف والمتداول من سنوات طويلة: «أنا الأديب واتتم أدرى وعاشق الناس والخضرة لا عمرى طيلت ف حضرة ولا قلت حاضر للنصاب

الله.. الله يا بدوى ولا كنا صحاب.. مشيوا الجيوش مشية وزة ترقص وعقبى ليوم غرة أشرب وحيجبوا المزة

من أورشليم فسقق وكباب، وليس نهاية بيلغى حمدى وصلاح أبوسالم

فى أغنيتهما البديعة لحمد رشدى فى فيلم السيرك.. حيث أصبح البطل.. صاحب الكرامة مجرد عاشق محب لا يملك سوى مواويله، لكنه يستطيع أن يشق الجبال بمهره الجامع لياتى بستة جمال فى مهر حبيبتة.. «قالوا مهرك ست جمال وانا واد جمال على قد الحال وما ليش ريس مال غير الموالم وعد وتاخديه والله عليا لا هاد جبال.. وأعمل خيال واجيبلك مهرك يا صبيبة

الله.. الله.. الله يا بدوى.



ثروت عكاشة



يوسف زيدان

السلفيون

يصفونه بأنه

المجذوب

ذو الوجه

المصاب

بالجدرى

والعقل

التائه



عبدالناصر

مصطفى

عبدالرازق:

البدوى

ليس صوفيًا

بل علوى

يهدف

لإرجاع

الملك

الفاطمى



أيمن الحكيم





# تاجر الحكايات

## حسن عبدالموجود: أرجوكم توقفوا عن سؤالى «متى تكتب رواية؟»

■ حفلت المجموعة بمفردات تعبر عن الحياة المتكاملة، مثل الحب والحرب والفقد والبراءة والجوع والطفولة وغيرها، كأنك هنا تشرح حياة متكاملة عبر صفحات المجموعة.. هل قصدت ذلك أيضاً؟

– أحببت هذا السؤال، وأظن أنه يُعبّر عن المجموعة بشكل جيد، الحياة هي أفكار ومشاعر متقاطعة ومتجاورة، وقد حاولت أن تغطي الأساس مرةً للكتاب نفسه، ولرغبته في تجريب الجرى في مضمار المسافات القصيرة، بعد تجريب العدو في ماراتون المسافات الطويلة.

الكتاب يريد أن يختبر نفسه على قول ما كان يقوله في عشرات الصفحات، من خلال بضع كلمات أو سطور. هو أشبه بلأعب الكرة بعد أن يتقدم في السن، ويصير غير قادر على الجرى بهذا «الكرش» وهذا الجسد المترهل، فيقرر أن يجرب كل فنون الكرة في مسافة متر واحد.

لكن مواقع «السوشيال ميديا» تسهم في نجاح «الأقصوصة»، فقصرها وما تحويه من حكمة أو مفارقة، يفرى القراء بمشاركتها.

■ ما المشروع الجديد الذى تفكر فيه حالياً؟

– اللعب فى الوقت الحالى مع «الف ليلة وليلة»، أعدت كتابة ٣ قصص منها بطريقة المعارضات الشعرية التى كان يكتبها محمود سامى البارودى. لن أقول ما هى القصص الثلاث، لكنى متحمس للإكمال، أظن أنها ستكون مجموعة «مجنونة» جديدة، أجرب فيها نفسى وروحى ولغتى وقدرتى على الخلق، من أى عجيبة تقع فى يدى.

■ فى النهاية هل هناك ما تحب أن تضيفه بعيداً عن سياق الأسئلة؟

– نعم. أرجو أن توقفوا عن سؤالى كلما أصدرت مجموعة قصصية، «متى تكتب الرواية؟».



### كيف ترى ردة الفعل على المجموعة؟ وهل يمكن أن نرى واحدة أخرى قريباً؟

– رد الفعل، ممتاز، أحببت ما كتبه عنها أشخاص أعرفهم، وآخرون لا أعرفهم، على مواقع التواصل الاجتماعى، وعلى موقع «جودريدز»، تعليقات تدل على أنها تركت الأثر المطلوب فى نفوسهم، واستمتعوا بها.

كنت متخوفاً قليلاً أن يصدم هذا الشكل القصير من أحبوبى فى قالب القصة الطويلة، لكن التعليقات مشجعة للغاية، لكى لا أفكر فى كتابة مجموعة جديدة بهذا الشكل.



الكتاب والقاص حسن عبدالموجود فى إحدى حفلات التوقيع

لتصبح «الأقصوصة»، ذات وجهين أو تاويلين أو أكثر ساكون كاذباً. لكنى أعلم شيئاً أن الكتابة مزيج من التخطيط والخلق، بمعنى أن «الأقصوصة» الجيدة الممتعة فيها الوصف، وفيها الاستبطان، فيها الحكاية، وفيها التأمل والأفكار، مساحتها محدودة، كلماتها قليلة، لكنها قادرة على أن تجمع بين زمنين أو أكثر، مكانين أو أكثر.

إنها أشبه بمجسم صغير حى حقيقى للحياة، بكل مفرداتها وبشرها وحيواناتها، وبذلك هى فن رفيع ومركز، قوة تأثيره عظيمة. وهى كذلك مزيج من فكرة واضحة كانت فى ذهن المؤلف، وأفكار أخرى جاءت من عقله والباطن البعيد. وبما أننى أقر بأن الكتابة هى مزيج من التأليف والإلهام السماوى، وارد جداً أن يكون لها الأقصوصة، أكثر من تأويل أو معنى.

■ هناك شيء غريب فى المجموعة.. على صفحاتين متقابلتين نجد عنوانين قصتين يشكّلان حالة واحدة، مثل «الكوليرا» و«الكشف» أو يعكسان تضاداً مثل «الحب» و«الحرب».. هل قصدت فعلاً تشكيل هذه «الثنائيات» بتلك الطريقة؟

– هناك شيء مقصود بكل تأكيد، هو أن تكون القصص التى تتحدث عن فكرة ما، مثل السلطة، أو العلاقة مع الأب أو الأخ أو الجيران أو الجوع، متقاربة، لذا بنيت الأقسام على تلك الفكرة، أن تكون «الأقصيص» التى بينها نوع من التشابهات البسيطة، موجودة فى سلة واحدة، لكنى لم أقصد أبداً وضع كل قصتين متنازعتين فى صفحاتين متقابلتين.

الكتابة يقول إنها لا يمكن أن تكون عملاً ناضجاً بمفرده، ثم تستمر فى مطارقتك، وأنت على مشارف الخمسين على عمرك، وقد زادت خبراتك فى الكتابة، وقدرتك على فهم الحياة، وبالتالي بدأت تراها بعين الرجل الكبير والكتاب الواعى، الذى يدرك أن بإمكان جملة واحدة أن تصير نصاً رائعاً، له قوة تأثير هائلة.

ولدت هذه القصص بعضها بعضاً، كان أول قصة فتحت باباً فى الذاكرة المعتمنة، واتاحت لبقية القصص الخروج واحدة وراء الأخرى، كل واحدة تسلك بيد أختها.

كان يحدث نوع من الاضطراب والتزامج على الباب أحياناً، فقد سقطت إضاءة الشمس على الأرفف الخلفية من الذاكرة، وإضاءتها إضافة قوية، جعلتني أشعر بأننى بإزاء كنز أو خبينة، كان على فقط أن انظم أنفاسى وتفكيرى واقنع نفسى بالهدوء، وإذا تزامجت على الأفكار أدونها فى «فايل» على الموبايل، حتى يأتى دورها فى الكتابة.

كان بعضها مقتنعاً لى منذ اللحظة الأولى لكتابتها، لكنى احتجت إلى وقت وتفكير وإعادة نظر فى بعضها الآخر، وهناك قسم كامل لم يعجبني فحذفته. باختصار اخترت «الأقصيص»، التى حققت شروط النوع الأدبى القصير جداً، وحققت لى المتعة أثناء كتابتها، ثم فى قراءتها.

■ بعض القصص على قصرها لها أكثر من تأويل.. لكن ألا ترى أن القصة الناجحة هى القادرة على أن تكون متفردة من ناحية الرؤية والتصوير؟

– لو قلت لك إننى أخطط أثناء الكتابة

الثانى أن جسم القصة القصيرة، وهو فى حجم راحة اليد، بتعبير ياسونارى كاويتا، يعمل فى اتجاه، ونهايتها تعمل فى اتجاه آخر، أو دعنى أقول تنقل القارئ أو تنحرف به انحرافاً مفاجئاً قوية وصادمة، إلى لحظة لم تخطر له على بال.

هى أيضاً تحقق مفهوم «قصيدة النثر»، فى بعض حالاتها، حيث تعتمد غالباً على «كتلة» من الكلام، أو بتعبير عادى «فقرة»، لا تتجاوز كما اتفقنا حجم راحة اليد، إذا وصل القارئ إلى نهايتها المفاجئة، تلمع فى رأسه فجأة صورة كاملة للموقف أو المشهد أو اللحظة الإنسانية، تحت إضاءة شديدة مبهرة، تصيبه بنوع من الدهشة والسرور، وتترك فى نفسه تأثيراً قوياً مركزاً، لا يقل عن تأثير أى عمل فنى عظيم.

■ تبدو الحكايات وكأنها صور صغيرة متفرقة بعضها فى الجنوب وبعضها فى القاهرة.. وهى فى النهاية تشكل لوحة كبيرة اسمها «تاجر الحكايات».. علام اعتمدت فى كتابتك قصصها؟

– احتاجت هذه القصص إلى أكثر من ٤٠ عاماً من العناية والتأمل، حتى تقنعنى بأن هناك إمكانية لكتابتها، معظمها فى الغالب يُشكل مواقف حدثت فى الطفولة، لكنها بدت لحظة وقوعها عادية، أو حتى أقل من العادية، مجرد مواقف حزينة أو طريفة، أحكيها مثل غيرى من الصغار فى جلسات السمر.

هذه المواقف تستمر فى الإلحاح عليك على مدار سنوات لكتبتها، لكنك لا تكون مقتنفاً تماماً بأنها قادرة على أن تهيك حياة كاملة، فيها شيء ناقص، وفيها معنى مبتور، وفهمك

يقف الكاتب والقاص حسن عبدالموجود على مساحة إبداعية واسعة، عنوانها هو الانطلاق والتدفق، لكن ما يثبت قدميه أكثر على هذه المساحة، هى قدرته على الاختلاف والتنوع، فلا يوجد عمل لديه يشبه الآخر، بجانب قدرته أيضاً على الابتكار، فلا ينحاز إلا إلى التطور والتجديد والأفكار الخلاقة. وتعد المجموعة القصصية الجديدة «تاجر الحكايات» حبة فى عقد أعمال حسن عبدالموجود، والى بنحاز فيها إلى فكرة «الأقصوصة» التى لا تتجاوز الواحدة، مساحة كف اليد، وفق تعبيره، لكنها تمتلئ بدفقات إنسانية شاسعة، رغم طرحها فى سياق لا يتجاوز عدة أسطر.

ويعترف عبدالموجود، اعترافاً خطيراً، مفاده أنه قضى 40 عاماً من التأمل والتفكير، فى محاولة لإقناع نفسه بأنه قادر على كتابة هذه المجموعة، وطرح تصوراتهِ الإنسانية التى ظلت تراوده كل هذه السنوات، فى هذا الشكل الإبداعى شديد التكثيف.

عن الحالات التى انتابته أثناء الكتابة، والأفكار التى سعى لتلخيصها وطرحها، يدور حوار «حرف».

إيهاب مصطفى

■ قصص مجموعتك الأخيرة «تاجر الحكايات» إنسانية جداً، وتدور حول رؤى كبيرة، على الرغم من قصرها.. هل قصدت صناعة هذه الحالة؟

– لم تلمح القصص إلى أكثر من اصطلياد فكرة، أو الإمساك بلحظة خاصة فى حياة شخص أو اثنين على الأغلب، لا أعرف ما المقصود بالرؤى الكبيرة، فى سؤالك، هل قصدت بها القضايا الكبرى؟ إن كنت تقصد ذلك فأنا أختلف معك، يمكن أن نسميها «حالات إنسانية عامة».

بمعنى أن هذه القصص ليست قاصرة على مجتمع من المجتمعات، هى لحظات عالية، أى أنها قد تحدث لشخص هنا أو فى مكان آخر من العالم، وبالتالي، وهذا ما أتمناه، سيفهمها ويتأثر بها القارئ الغربى، إن أتحت له قراءتها بلغته.

هى قصص عن العلاقة مع الأم، ليس باعتبارها منبع الحنان التقليدى، ولكن فى صورتها النقيض، فهذه الأم تفضل الدجاجات مثلاً على أبنائها، وتتمنى لو أن الوباء كان قد عصف بارواهم بدلاً من طيورها.

هى أيضاً قصص عن نظرة الأبناء إلى الأم كذلك، حيث إن أحدهم لم يتوان عن دفنها فى مقبرة الجيران بسبب بدانتها المفرطة، وابن آخر لم يتردد عن فضح علاقتها بالرجل الذى يأتى إلى شقتهم، متسلقاً على شجرة مالت فجأة على عمارتهم.

كذلك هى قصص عن العلاقة بين الإنسان والله، والخوف من الرقابة فى البيت أو الشارع، قصص عن الخراب الذى تنسب فيه الأفعال الشريرة الصغيرة، فى كل خطوة يخطوها الإنسان، بمجرد أن يفتح عينيه صباحاً، ويتأكد أنه لا يزال على قيد الحياة.

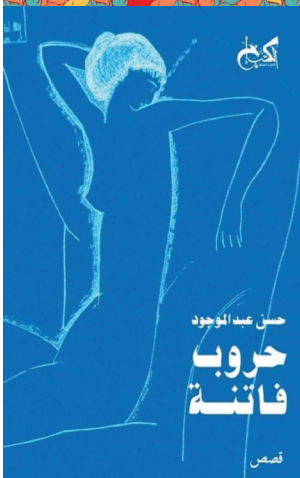
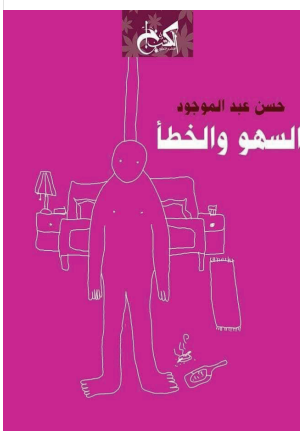
■ قسّمت المجموعة إلى ٥ أقسام، هى: «وشوم خضراء»، و«أشياء»، و«عداوات صغيرة»، و«دوائر معتمة»، و«تحت الجلد».. ما الذى عينته بهذا التقسيم؟

– القصص كثيرة جداً، ٧١ قصة، وفكرة تركها بدون تقسيم أو حواجز أو أسوار، سيجعلها تبدو أشبه بحيات مسيحة منفرطة، كما أنها تلتقط كثيراً من اللحظات، فيها من التشابه، وفيها أيضاً من التناظر والاختلاف.

وهكذا فكرت فى تقسيمها إلى فصول، حتى لا يشعر القارئ بنوع من الارتباك، وهذا التقسيم هدفه أن اضع خيوطاً ذهبية يمسكها بها، فتقوده من غرفة إلى غرفة، فى هذا البيت الواسع الكبير المكون من عشرات الحكايات.

■ القصص مكثفة للغاية لدرجة أنك لو أزلت مفردة واحدة لتغيرت الجملة كثيراً.. كيف كانت رحلتك مع كتابة المجموعة؟

– التكثيف فى القصة العادية متوسطة الطول أو الطويلة شرط مهم من شروط تحقيقها ونجاحها، فما بالك بالأقصوصة؟ هذا لون كتابى عالمى، فيه عدد من الاشتراطات، أولها أنه يقوم على الحذف أكثر من الكتابة، بمعنى أنه لا يصح أبداً ترك مفردة لا معنى لها، أو لا تؤدى وظيفة فى «الأقصوصة».



«تاجر الحكايات» احتاجت 40 عاماً من التأمل لإقناعى بإمكانية كتابتها

قصدت التكثيف لأنه شرط نجاح القصة الطويلة فما بالك بالأقصوصة؟



في كتابها الجديد «يا دنيا يا غرامى»، الصادر عن المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، كتبت الكاتبة الصحفية نوال مصطفى عدة مقالات مهمة، روت من خلالها تفاصيل محطات من تجربتها الصحفية الممتدة على مدار سنوات طويلة، ولقاءاتها وجاراتها مع العديد من عمالقة الفكر والسياسة، إلى جانب رؤيتها عن الأدباء المصريين، وبعض الأعلام، وغيرها الكثير. ومن بين الذى قابلتهم نوال مصطفى وكتبت عنهم في «يا دنيا يا غرامى» أستاذها مصطفى أمين، الذى عملت معه لمدة 13 عامًا، إلى جانب «السير» مجدى يعقوب، والفنان العالمى عمر الشريف، علاوة على الراحلة بينظير بوتو، وقت توليها رئاسة وزراء باكستان. حول الكتاب وكواليس لقاءاتها وجاراتها مع هذه الأسماء وغيرها، يدور حوار «حرف» التالى مع الكاتبة نوال مصطفى.

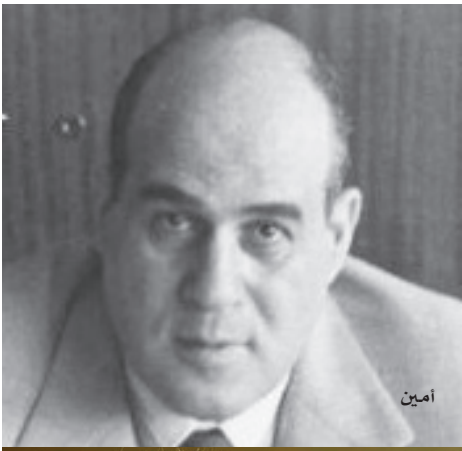
## إيهاب مصطفى



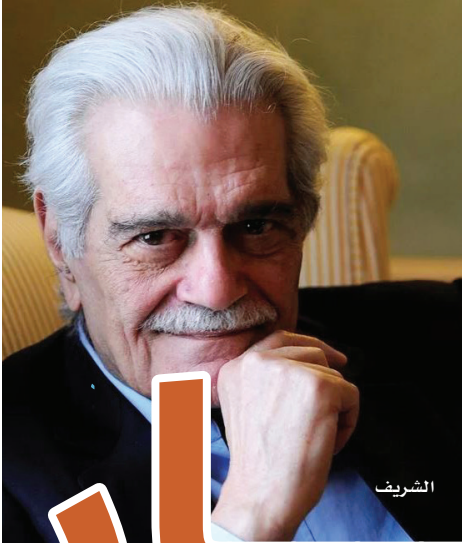
# حكاياتي



يعقوب



أمين



الشريف



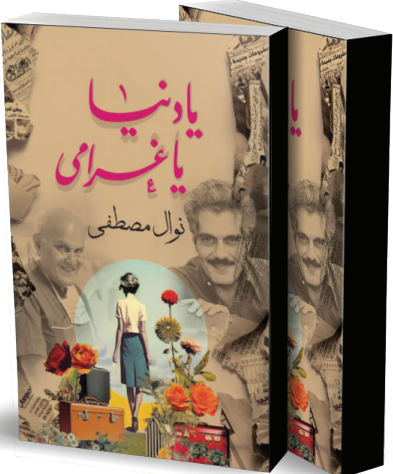
بينظير



الخزنجي



عصفور



حزن». كتبت أبكى وأشعر بأنها معى فى كل حرف. وهذا الكتاب لا يموت مثل صاحبيته، كلما انتهت طبعه تصدر أخرى، فقد طبع ونشر فى هيئة الكتاب، ومكتبة الأسرة، ثم فى دار «العين». كما حصلت عنه على جائزة معرض الكتاب، وسلمنى الدرع الرئيس الأسبق حسنى مبارك.

## ■ وماذا عن حوارك مع النجم العالمى عمر الشريف؟

- عمر الشريف نجم عالمى فريد من نوعه، وكان حلمًا من أحلامى أن التقية وأجرى معه حوارًا، وفى إحدى زياراته إلى مصر التقيت به بالفعل، ووجدته متواضعًا جدًا، لا تشعر بأنك أمام نجم كبير عالمى، وكل حديثه كان عن حب مصر، وبه شجن وقطرات من الحزن، تشى بأنه ترك مصر لعمله فى السينما العالمية، لكنه فى المراحل النهائية من حياته افتقد كثيرًا من

## «طبيب القلوب» يعتبر كل المرضى

## أحبابه وأولاده «الى بيطببطب عليهم»

الحب، والوجود بين أهله وناسه. وكان لديه أمر غريب، هو أنه كان لا يشعر بأنه يستحق كل هذا التكريم والهالة والمكانة الكبيرة التى وضعه العالم فيها، لا يشعر بأنه فعل شيئًا، يعتقد أن ظروفه قادته لتلك المكانة، وأنه لم يبذل مجهودًا خارقًا، أن الأرضية كانت مهعدة لذلك، من تعليم فى الإسكندرية، واب وأم احتضان ورياء وتربية راقية، وأصدقاء نشأ معهم وتعرف من خلالها على يوسف شاهين، قبل دخوله الفن صدفة، كان يشعر بأن حياته مجموعة من الصدق، كان متواضعًا إلى حد غريب جدًا، وسيظل علامة من علامات السينما المصرية والعالمية.

## ■ ما كواليس حوارك مع بينظير بوتو، رئيسة وزراء باكستان السابقة، والذى فزت عنه بجائزة نقابة الصحفيين؟

- هذا الحوار اعتز به جدًا، وكان مغامرة صحفية كبيرة خضتها وتوليبتها بكل تفاصيلها من الألف إلى الياء، وأذكر وقتها أنني عندما قلت لرئيس التحرير: «أريد أن أجرى حوارًا مع رئيسة وزراء باكستان»، نظر إلى بكل تعجب وقال لى: «ماشى.. حاولي».

ذهبت إلى سفارة باكستان، وقابلت المستشار الإعلامى، وطلبت منه أن أجرى حوارًا مع بينظير بوتو، فسألنى عن كل شيء خاص بى، وقال لى: «سنرسل السيرة الذاتية الخاصة بك إلى ديوان رئيسة الوزراء فى باكستان، وسنتنظر الرد». ثم أرسل إلى طالبًا منى الأسئلة. ذهب وعودة ومحاولات لمدة شهرين كاملين، ثم جاء الخبر بأن الموعد تحدد، وأنى سأسافر لإسلام آباد لمقابلة بينظير بوتو، وكنت أن أطيّر فرخا من هذه الموافقة، خاصة مع تعبى الشديد طوال هذه الفترة للحصول عليها.

لكن فى نفس الوقت شعرت برعب شديد، كنت خائفة جدًا الحقيقة، لأن بينظير بوتو كانت صاحبة «كاريزما» واضحة، وكنت أتابعها كثيرًا، منذ زمن وهى تكافح وتناضل فى صفوف المعارضة من الخارج، بعد اغتيال والدها أمام عينيه، وهى لا تزال طفلة، حتى أصبحت رمزًا حقيقيا للكفاح والمقاومة.

سافرت إلى باكستان، وعرفت أن هناك ١٦ طلبًا لإجراء حوار معها، لكنها رفضتها جميعًا، ووافقت على طلبى أنا، وهو أمر جعلنى أشعر بفخر وسعادة كبيرين جدًا، لأجرى بعدها واحدًا من أهم الحوارات الصحفية فى حياتى، وأحصل عنه على جائزة نقابة الصحفيين.

## ■ لماذا اتهمت الحركة النقدية الأدبية الحالية بأنها «غير منصفة»؟

- قلت بالفعل إن الحركة النقدية غير منصفة فى وقتنا الحالى، لأن الكاتب لا بد أن تكون له «شلة» كى يكتب عن كتابه أو روايته أو مجموعته القصصية، فضلًا عن كثرة الأعمال التى تكتب وتُشر، ما خلق «زحاما» فى الوسط النقدى.

أتبنى أن يتحسن الوضع، ويكون هناك إنصاف ونقاد حقيقيين يستحقون أن نقرأ لهم، مثل رجاء النقاش وعلاء الدين، والذين كانوا يقرأون بكثرة، ويعتبرون النقد رسالة ومشعل نور يضىء أمام الكاتب الجاد، وكانوا يبتنون الكتاب ويدعمون مواهبهم.

## ■ اقتربت من الدكتور جابر عصفور وسبق أن كتبت عنه مقالًا كبيرًا.. كيف تقيمين تجربته الأدبية والنقدية والأدبانية؟

- كان شخصية ثقافية عالية المستوى، وتجربة خاصة جدًا، كان قارئًا وكاتبًا وفيلسوفًا، وتبنى أجيالا من النقد والأدباء، وهو صاحب تجربة كبيرة وثرية ومتعددة الروافد، وما كتبت عنه قليل من كثير يستحقه. ■ رغم رحيل الرواد لا ينضب معين الأدب المصرى، وبيروز خلفهم جيل يحمل الراية، مثل محمد الخزنجى وعزت القححاوى..

## كيف ترين هذا الجيل؟

- محمد الخزنجى «شاعر الأدب»، هو أديب بدرجة شاعر، ولديه مفردات وتعبيرات وتكوينات لغوية خاصة به، كاتب أصلى وأصيل جدًا، ولا يعرف أحد كيف يقلده، ولئن يصل أحد إلى رقة الإحساس الذى يكتب به، وهذه الرقة تصل إلى أعماق الإنسان، ويستطيع أن يقبض على الإحساس ويعبر عنه بصورة فائقة الروعة، وهو من الكتاب الذين أكتب أمهم وأندش، وما زال قادرا على منحى الدهشة الكبيرة بما أقرأه له.

أما عزت القححاوى فهو من الكتاب الذين أحبهم كثيرًا وأقرأ لهم، لأنه يكتب عن الحياة العادية بآدب رفيع عال المستوى، يعبر عما نمر به فى حياتنا بأسلوب وعين الأدب، وبيروية الأدب الذى يمنحك إحساسًا موازيًا ورائعًا وعميقًا للحياة والتجارب والأشخاص والبلدان والكتب، هو لون مختلف تمامًا.

ولدينا فى هذا الجيل كتاب رائعون، وكما قلت معين الأدب لا ينضب، فلا زال لدينا إنتاج متميز، ومنذ رئاستى تحرير «كتاب اليوم»، اهتمامى الأكبر هو اكتشاف المواهب، ومن موقعى كمستشار ثقافى لـ«المؤسسة العربية الحديثة» و«روايات مصرية للجيب»، رحت أبحث عن المواهب فى كل مكان، وأعدت إنتاج السابعة التى اكتشف فيها حمدي مصطفى نبيل فاروق، وأطلقتها أواخر عام ٢٠٢٣، وأعلنت أسماء الفائزين بها، فى سبتمبر الماضى، بل وأنجبت عددًا من الكتب.

هناك كتاب كثيرون موجودون على أرض مصر، وهم كتاب رائعون، واعتقد أن قوة مصر الحقيقية فى أدبائها وفنانيها وموسيقيها، قوتنا الناعمة التى نملك منها العشرات فى كل التخصصات، مصر ولادة وبها الكثير من الشباب الموهوب، الذى ينبغى علينا احتضانه وتبنيه ودفعه نحو الإنتاج والإبداع.

# نوال مصطفى: مجدى يعقوب «طفل كبير».. وبكيت وأنا أكتب عن مى زيادة

## عندما تضع يدك على قلبى أشقى دون علاج... كيف رأيت «طبيب القلوب» من واقع اقتربك منه؟

- هذا الرجل آزاد طفلًا كبيرًا، عندما تنظر إليه، تجد ابتسامة عريضة صافية نقية إنسانية جدًا، وأنا أحبه على المستوى الشخصى، ولذلك لم أفوت الفرصة إطلاقًا عندما رأيت، وطلبت منه إجراء حوار صحفى معه.

## ■ وماذا عن الكتاب المصور الذى أعددتَه عن أستاذك؟

- مصطفى أمين يمكن أن أكتب عنه كتابًا مستقلًا، كما فعلت من قبل فى كتابى المصور عنه، والذى بدأت فيه قبل وفاته، وطلبت منه معلومات وصورًا له، وكان تجربة جديدة للكتب المصورة عن الشخصيات الكبيرة حينها. عرضت الفكرة على إبراهيم سعدا ووافق، وبدأنا بـ«صاحب الدار» مصطفى أمين، فقد كنا نناديه بهذا اللقب، والكتاب اسمه «قصة حياة عاشق الصحافة»، وهو بدءًا من طفولته ونشأته فى بيت خاله سعد زغلول، حتى وفاته وخروج الملايين من محبيه وعشاقه لوداعه، فى جنازة تجاوزت جنازات الرؤساء ومشاهير الفن.

الكتاب سيناريو مصور عن مصطفى أمين، الإنسان، والمدرسة فى الفلسفة وفهم الحياة، والراند الكبير فى الصحافة المصرية، وهو الذى ابتكر «صحافة الخبر القصير التلفزيونى»، مع على أمين، وهما أيضًا من أدخل «الكاريكاتير» و«الصورة» كبطل فى القصة الصحفية، وهما من أسسا أبواب: «ليلة القدر»، و«لست وحدك»، و«أسبوع الشفاء».

## ■ قُلت إن كثيرين أحبوا مى زيادة، لكنها كانت وحيدة رغم كل من حولها... ما تصورك العام عن شخصيتها من واقع كتابك عنها «مى زيادة: أسطورة الحب والنبوغ»؟

- «مى زيادة» قصة كبيرة معى، بدأت حين كنت أجلس أمام أنيس منصور، فى مكتبته بـ«الأهرام»، وكان يهيننى بصدر مجموعتى القصصية «العصافير لا يملكها أحد». بعدما كتب عنها مقالًا كبيرًا، يومها قال لى فجأة: «لماذا لا تكتبين عن مى زيادة؟»

استوقفتنى السؤال، وقلت له: «ماذا أكتب؟.. فى كتب عنها الكثير فى حياتها»، فقال لى جملة كانت المحرك والحافز الحقيقى لهذا الكتاب، قال لى: «انصفى مى زيادة، واكتبى عنها بعيون نوال مصطفى، بإحساسك الخاص، حينها لن يكون كتابك مثل عشرات الكتب التى صدرت».

كانت هذه نقطة البداية التى تحركت فى عقلى لإنجاز الكتاب، فبحثت فى كل المراجع، واقتنيت كتب مى زيادة، وكنت أبكى بكاء حارًا وأنا أتوقف عند محطات فى حياتها، وعندما شرعت فى الكتابة، كنت أشعر بأن «مى» تجلس بجانبى، تنظر لى، تقول لى: «حتاج إلى

الوزارات، بل هم من كانوا يسعون للتواصل معه. تجربتى معه عميقة وطويلة، امتدت إلى نحو ١٣ عامًا، وكنت قريبة منه للغاية، كان إنسانًا حقيقيًا، وحين يصله خطاب يطلب صاحبه كتابًا من كتبه، لم يكن يبخل عليه أبدًا، وكان يرسل الكتاب مع سكرتيره «كريم»، ويوقع إياه بيده، رغم أن كتبه كانت مرتفعة الثمن.

## ■ وماذا عن الكتاب المصور الذى أعددتَه عن أستاذك؟

- مصطفى أمين يمكن أن أكتب عنه كتابًا مستقلًا، كما فعلت من قبل فى كتابى المصور عنه، والذى بدأت فيه قبل وفاته، وطلبت منه معلومات وصورًا له، وكان تجربة جديدة للكتب المصورة عن الشخصيات الكبيرة حينها. عرضت الفكرة على إبراهيم سعدا ووافق، وبدأنا بـ«صاحب الدار» مصطفى أمين، فقد كنا نناديه بهذا اللقب، والكتاب اسمه «قصة حياة عاشق الصحافة»، وهو بدءًا من طفولته ونشأته فى بيت خاله سعد زغلول، حتى وفاته وخروج الملايين من محبيه وعشاقه لوداعه، فى جنازة تجاوزت جنازات الرؤساء ومشاهير الفن.

الكتاب سيناريو مصور عن مصطفى أمين، الإنسان، والمدرسة فى الفلسفة وفهم الحياة، والراند الكبير فى الصحافة المصرية، وهو الذى ابتكر «صحافة الخبر القصير التلفزيونى»، مع على أمين، وهما أيضًا من أدخل «الكاريكاتير» و«الصورة» كبطل فى القصة الصحفية، وهما من أسسا أبواب: «ليلة القدر»، و«لست وحدك»، و«أسبوع الشفاء».

يمكن أن ينظر إليه على أنه «فيلسوف الحياة»، وكل من تبناهم أصبحوا رؤساء تحرير، وأسسوا صحفًا ومنصات إعلامية فى كل البلدان العربية، كما أنه كون فى داخلى إحساس البشر، ولعل هذا ما دفعنى لتبني قضية مثل «طفال السجينات».

ورغم أننى حصلت على جوائز عالمية كثيرة، بينها «صناع الأمل» من ديبى، وتلقيت تكريمًا من الرئيس السيسى، لكن الجائزة الكبرى هى ابتسامه طفل، أو سيدة مظلومة خرجت إلى النور، وهذا تعلمته من اقترابى إلى مصطفى أمين، بالإضافة إلى كونى ابنة لسيد مصطفى، صاحب مؤسسة «سلاح التلميذ»، وابنة لشقيقة عبد الرحمن الخميسى.

## ■ نشرت فى كتابك حوارًا مع السير مجدى يعقوب، قال فى نهايته: «البعض يقول لى

## ■ فى كتابك الجديد «يا دنيا يا غرامى» عرجت على العديد من الشخصيات الكبيرة.. لكن حكايتك مع مصطفى أمين لها طابع خاص.. كيف تنتظرين إلى تجربتك معه بعد كل هذه الأعوام؟

- فى كتاب «يا دنيا يا غرامى» كتبت عن شخصيات مؤثرة فى المجتمع المصرى، على رأسهم أستاذى مصطفى أمين، الذى لم يكن كاتبًا صحفيًا ومؤسسًا لأول دار صحفية مصرية بالكامل هى «أخبار اليوم» فحسب، بل كان مدرسة كاملة ومتكاملة، ولديه ما يشبه «فرون استشار» يكتشف بها المواهب، ثم يحتضنها ويشجعها، وكنت واحدة من هؤلاء الذين أحيطوا برعايته، وأفكاره الصحفية المتوقدة والمتجددة والمستمرة.

حكايتى معه بدأت عندما كنت فى السنة الثالثة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، حين انتقى الكاتب الصحفى الكبير جلال الدين الحمامسى مجموعة من الصحفيين الشباب الموهوبين للتدريب فى دار «أخبار اليوم»، وكنت منهم.

تأسست وتربيت فى مدرسة «أخبار اليوم»، وعلى يد مصطفى أمين وجمال الحمامسى، اللذين التقيت بهما فى بداياتى، وشكلا شخصيتى الصحفية والإنسانية التى لا تقبل بأنصاف الحلول، وتسعى لأن تكون صوت المواطن الذى لا

صوت له، ولم أصنع فى يوم أو أسبوع أو عام، بل على مدار سنوات من التعلم المباشر.

كنت أرى مصطفى أمين شخصيًا، رأيته يمتح من وقته جزءًا لشباب جاء من الأرياف ليجرى معه حوارًا لـ«مجلة المدرسة»

## مصطفى أمين منح جزءًا من وقته

## لشباب ريفى أراد إجراء حوار معه

## لـ«مجلة المدرسة»







فيرجينيا مع صديقها ليتون ستراش

لم يحظ كاتب، أو كاتبة، بشهرة تفوق شهرة أعماله مثلما حدث مع البريطانية فيرجينيا وولف، فهي النسوية الأولى التي يعرفها عموم الكتاب والمهتمون بالأدب والفن، ويعرفها المشتغلون بالسياسة والحركات الحقوقية والحياة العامة حول العالم.. يعرفون التفاصيل المملة لحياتها، بحلولها ومرها وعدد المرات التي فاجأتها فيها نوبات الانهيار العصبي، يعرفون آراءها في السياسة والاجتماع، وتفاصيل علاقاتها النسائية، واللحظة التي وقعت فيها في غرام زوجها، يعرفون أدق تفاصيل عملية تعرضها للتحرش وهي طفلة صغيرة، ومن أخين غير شقيقين لها.. كلهم يعرفون ذلك، وربما ما هو أكثر، وأكثر تفحيصًا وتمحيصًا للمعلومات، لكن النسبة الأكبر منهم لا يعرفون كثيرًا عن رواياتها، أو مقالاتها أو أعمالها الإبداعية، رغم أنه من النادر أن تجد قائمة لأهم الروايات في القرنين التاسع عشر أو العشرين دون أن تكون من بينها أكثر من رواية تزين بتوقيعها، خصوصًا رواية «إلى الفناء» التي صدرت عام 1927، وهي الرواية التي ألهمتها إيها الشاعرة الإنجليزية فيتا ساكفيل ويست، في فترة ارتباطهما عاطفيًا.



عبد الوهاب داود

# فيرجينيا وولف

## .. الحياة في قاع الجنون

### البريطانية المعادية للسامية.. والمثلية التي تحب زوجها.. ملهمة النسويات وكاتبات عصرها

نفس الوقت، العاشقة المثلية التي تكتب مئات القصائد الشعرية في رسائل حب إلى رفيقتها.. هي ابنة العائلة التي تنتمي إلى أرفع شرائح الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية المثقفة، المرأة الطبقيّة المروعة، وفي نفس الوقت المحرصة على ضرورة الاستقلال المالي للنساء، حين كانت القضية يتم طرحها من زاوية عدم المساواة «غرفة تخص المرء وحده، على أنه يجب أن يكون للمرأة مالها الخاص، وغرفة خاصة بها إذا أرادت أن تكتب الروايات.. هذه المقالة الطويلة التي تم التعريف بها على أنها «مانفيسستو» الحركة النقدية النسوية في القرن العشرين، وهي عبارة عن دراسة نقدية، عنها وعن النساء، دعت فيها إلى ضرورة الاستقلال المالي للنساء، وضمنتها مراجع عديدة لقولات قرائها لرموز الحركة النسوية في بدايات نشأتها في القرن السابع عشر، فضولية، متهتجة ومرحة، ابتكرت جريدة عائلية تدعى «أخبار بوابة هايد بارك»، لتوثيق المواقف المضحكة التي تحدث لعائلتها، وقال عنها هنري جيمس، صديق العائلة القديم، إنها «تحمل إرث قرن من ريش الكتابة، وأوعية الحبر»، في إشارة إلى مراجعاتها الأدبية المكرة، إذ كان والدها، ليزلي ستيفن، محرر مجلة «كورنيل» وقاموس السير الوطنية، والناقد، وكاتب المقالات والمؤرخ، ولم تكن وولف تكتب مقالاتها من أجل المال الأكاديمي، بل للقارئ العادي المتعلم، الذي كانت تعتبر نفسها منه، وكتبت عنه تقول: «يختلف القارئ العادي عن الناقد والمثقف، فهو أسوأ تعليمًا منهما، كما أن الطبيعة لم تكن سخية وهي تقدر له حظه من الموهبة، إنه يقرأ من أجل المتعة الشخصية، لا لتحصيل معارف أو تصحيح آراء الغير. يقوده، قبل كل شيء، نزوع غريزي لخلق نوع من الكل، من مختلف الأشياء التي يقابلها. فيخلق لوحة لشخصية، أو مخططًا لحضبة، أو نظرية في فن الكتابة». وكان يتملكها فخر شديد بقدرتها على اكتشاف كتابتها وبعث الحياة فيها بما يناسب هذا الجمهور، وقالت عنها الناقدة الأدبية والكاتبة الصحفية البريطانية ريبيكا ويست: «إن مقالات وولف، بفضل خليطها المتميز من الحيوية والتألق والإحكام، قد دونت بطريقة بدا معها استيعاب التحفة النقدية الصادقة، يسيرا على الدهن، مثل سماع أغنية»، فيما كتبت هي ما نصه: «الغريب، أنني بكل غروري، ليست لدى ثقة كبيرة في رواياتي بعد، أو الأخذ في الاعتبار أنها تعبيراتي الخاصة، يقر عدد غير قليل من كبار الكتاب حول العالم بأن أعمالهم تأثرت بها، بما في ذلك الشاعرة والناقدة الكندية مارجريت أتوود، والكولومبي الأشهر جابريل جارسيا ماركيز، والروائية الأمريكية توني موريسون.

في عام ٢٠١٣، تم تكريم فيرجينيا وولف من قبل كلية كنزنجتون في لندن بافتتاح مبنى باسمها في شارع كينجز واي، مع لوحة تعريفية عن الوقت والمادة التي درستها في هذه الجامعة، وأهم إنجازاتها واهتماماتها، بالإضافة لعمل فني تظهر فيه بجانب اقتباس من مذكراتها تقول فيه: «كانت لندن بذاتها وعلى الدوام تجذبني، وتحفزني، بإعطائي مسرحية، وقصة، وقصيدة»، كما يوجد تمثال نصفى لها في قرية «رودمل»، وآخر في ميدان «تافيسستوك» في لندن، وهي الأماكن التي أقامت فيها وولف في الفترة ما بين ١٩٢٤ و١٩٣٠.

بدأت تغرق في اكتئاب شديد.. كان ليونارد إلى جانبها دومًا وقررا أنهما سينتحران معًا إذا ما استطاعت ألمانيا احتلال إنجلترا في الحرب العالمية الثانية التي تهدم منزلهما خلالها، وفي الثامن والعشرين من مارس عام ١٩٤١ ملأت فيرجينيا وولف معطفها بالحجارة ورمت نفسها في النهر، ولم تعثر السلطات على جثمانها إلا بعدها بثلاثة أسابيع.

### 2 حياة صاخبة وأكثر حرية

تمكنت فيرجينيا وأخواتها من الالتحاق بقسم الفتيات في كلية الملك في لندن، فدرست هي اللغات الألمانية، واليونانية، واللاتينية في قسم الفتيات، وهناك تمكنت الأخوات ستيفن من التواصل مع أوائل النساء الإصلاحيات لحركة التعليم العالي للنساء، وحركة حقوق المرأة، كما استفدن من إخوتهن الذين تعلموا في جامعة كامبريدج، ومن وجود مكتبة أبيهن الضخمة، والتي كان لبن كامل الحق في دخولها واستخدامها بلا قيود.

كان والدها يشجعها لكي تصبح كاتبة، فبدأت الكتابة بشكل احترافي وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ولهذه شكلت وفاته عام ١٩٠٥، بعد إصابته بسرطان المعدة، نقطة تحول مهمة في حياة الأخوات ستيفن، وتسببت في إصابة فيرجينيا بانهايار عصبي آخر، فقررت الأخوات الانتقال من كنزنجتون إلى بلومزبري وأسلوب حياة صاخبة وأكثر حرية، وحيث تم تكوين مجموعة بلومزبري الفنية والأدبية، بالتعاون مع أصدقاء إخوتهن من الكتاب والمثقفين والفنانين، بمن فيهم الناقد الفني كلايف بيل الذي تزوج أختها فانيسا، وليونارد وولف الناقد والمتخصص في علوم الاقتصاد، الذي تزوجته في بعدها بخمس سنوات.

اشتهرت مجموعة بلومزبري بسبب مزحة قاموا بها عام ١٩١٠، حيث قام عدة أعضاء منهم بالتمكك على هيئة وفد من الأسرة الملكية الإثيوبية، وتكررت فيرجينيا كرجل ذي لحية، ونجحوا في إقناع البحرية الإنجليزية الملكية بعرض سفينتهم الحربية عليهم، وكان معها في هذه الحادثة ليونارد وولف الذي أحبها وتزوجا في العاشر من يوليو ١٩١٢، ثم أسسا دار نشر «هوجارث»، التي نشرت معظم أعمالها. وبايعتارفها الشخصى، كان زوجها من ليونارد زوجها سعيدًا، مع أنه كان بأسلوب مستغرب إلى حد كبير، حيث كان كلا الطرفين فيه يتمتع بحرية الدخول في مغامرات عاطفية كما يشاء، لذا عندما التقت فيرجينيا بالشاعرة وصممة الحوائف فيتا ساكفيل ويست في سنة ١٩٢٢، وهي زوجة الدبلوماسي الإنجليزي هارولد نيكلسون، قررت أن تتجاوز علاقتها بها مجرد الصداقة، وعلى الرغم من أن كلتا المرأتين كانت متزوجة، فإن هذا لم يمنعهما من الانخراط مع بعضهما البعض في علاقة غرامية جنسية، ومما يثير الاتهام أن كلا زوجيهما كان على دراية بالأمر، ووافق عليه كليًا، لكن العلاقة توقفت بعد فترة، دون أن يؤثر ذلك على تواصلهما، واستمرار صداقتهما، فكانتا تكتبان القصائد لبعضهما البعض إلى أن توفيت فيرجينيا، تاركة وراءها تأثيرًا كبيرًا على الحركة الأدبية الحديثة، والنقد النسوي في القرن العشرين، فألى جانب مساهمتها في تكوين مجموعة بلومزبري الفنية والأدبية، تركت مجموعة متميزة من المؤلفات الأدبية التي ساهمت في تدشين تيار جديد في الأدب الإنجليزي والعالمي، هو تيار تداعى الذاكرة، أو ما يعرف بتيار الوعي، الذي ظهر في أعمالها، مثل «رحلة الخروج»، و«الليل والنهاية»، و«غرفة يعقوب»، و«السيدة دوى»، وأورلاندو»، و«الأمواج»، وبعد تسكنه الأشياء، وهي مجموعة قصصية نشرت في وقت وفاتها.

### 3 سيدة الالتباسات المدهشة

ربما كان ذلك هو ما يدفعني إلى الميل لاعتبار فيرجينيا وولف هي سيدة الالتباسات المدهشة، محترفة الحياة على حد الحافة الحرجة قبل السقوط في هاوية الجنون، والتي كثيرًا ما أسقطتها في هوة الاكتئاب والعزلة، وصولًا إلى الانتحار.. هي الكاتبة التي تطغى شهرتها الشخصية وسيرة حياتها على عناوين رواياتها وكتبها، هي البريطانية المثمنة بمعاداة السامية، وهي الزوجة المحبة لزوجها حتى يومها الأخير، ولكنها في

### 1 مثل لوحة فشنلنا في رسمها

لم تكن الشهرة الطاغية لشخص الكاتبة البريطانية فيرجينيا وولف على حساب أعمالها، طريقًا للتقليل من منجزها الفكري والأدبي والمعرفي، ولكن لأنها عاشت حياة صاخبة، مؤلة، أقرب إلى التراجميات الكبرى في تاريخ الإنسانية، بداية مما قبل لحظة ولادتها، عندما تزوج السيد ليزلي ستيفن من السيدة جوليا برنسيب ستيفن، ولديه ابنة من زواج سابق، بينما كانت هي لديها ثلاثة أبناء من زواج سابق أيضًا.. أسرة تبدأ رحلتها مع الوجود بأربعة أطفال غير أشقاء، وفي أعمار مختلفة، وكانت أداين، التي هي فيرجينيا وولف، والتي ولدت في ٢٥ يناير عام ١٨٨٢، لعائلة ثرية جنوب كنزنجتون، ولوالدين متحررين فكريًا، إذ كان والدها ليزلي، رئيس مكتبة لندن، رجلًا نبيلًا يجيد القراءة والكتابة، ويعمل مؤرخًا وكاتبًا، أما والدتها جوليا، فولدت في الهند، وعملت كموديل لعدد من الرسامين، كما كانت ممرضة، وكتبت كتابًا عن مهنة التمريض. لظرت الشهرة التي حظيت بها فيرجينيا وولف، في حياتها وبعد رحيلها، تصدرت صورتها غلاف مجلة الموضة الأشهر عالميًا «فوج»، كما تصدرت غلاف مجلة «التايم»، وتعد البطاقات البريدية البريطانية التي تحمل صورتها هي الأكثر مبيعًا من بين البطاقات التي تحمل صورًا لأشخاص، حتى أنه يمكنك أن تجد صورها منقوشة على مفارش الشئى، والقمصان، ومناشف المائدة، كما تم تقديم عدد من الأفلام السينمائية عن حياتها، وعلاقاتها النسائية، إذ لم تقتصر علاقة فيرجينيا بالمشية على معالجاتها إيها في رواياتها «السيدة دالواي» فقط، وهي الرواية التي تم تحويلها إلى فيلم سينمائي بطولة فانيسا ريدجريف، فقد كان لفيرجينيا علاقات مثلية مع عدة سيدات، ويربط البعض ذلك بالمشاكل النفسية التي مرت بها في حياتها، مثل وفاة والدتها في صباها، وتعدى أخاها، غير الشقيق، عليها جنسيًا، ولكن أشهر هذه العلاقات التي حظت بها وأقربها إلى قلبها، كانت مع فيتا ساكفيل ويست، والتي ألهمتها بعدة روايات مثل «أورلاندو»، و«إلى الفناء».

كان ترتيب فيرجينيا السابعة بين ثمانية أطفال، وارتاد اثنين من إخوتها جامعة كامبريدج، فيما تم تعليم جميع الفتيات في المنزل، ورغم أن والدها كانت لهما علاقات جيدة في الوسط الفني والاجتماعي، وبين نخبة الحياة الاجتماعية في لندن، لكنها ذكرت أنها تعرضت وهي في السادسة من عمرها للتحرش الجنسي من قبل اثنين من إخوتها غير الأشقاء لجهة الأم، الأمر الذي تكرر لنحو ٩ سنوات، وفيما ذهب محللون إلى أن فيرجينيا هي نفسها من اختلقت تلك الواقعة، أو ربما توهمتها تحت وطأة إحدى نوبات إصابتها باضطرابات نفسية وعصبية حادة، لكن الواقعة وردت في سيرتها الذاتية التي كتبها ابن شقيقها كوينتين بيل، كما وردت الإشارة إليها، أيضًا، في مذكرات أختها الفنانة التشكيلية المعروفة فينسيتا بيل، والتي كتبت لها في إحدى رسائلها: «أتمنى أن تحتفلين بنجاح روايتك، وتنتسى ما فعله جيرالد، إنني حتى لا أحب أن أتذكر أنه أخونا.. لقد مضى وقت طويل، أرجو أن اعتبرى الأمر مثل لوحة فشنلنا في رسمها، وعلينا رميها في الخارج.. على الجانب الآخر، ذهبت أستاذة الأدب الإنجليزي بانثيا ريد، في كتابها «الفن والتأثير.. حياة فرجينيا وولف»، إلى أن تقارير الاعتداء الجنسي في طفولة وولف بولغ فيها، وقالت إنه «بينما تعرضت الكاتبة لصدمة جنسية عبر أخويها غير الشقيقين، وتعرضت لتدوب عاطفية من والدها، فما أفضى إلى انهيارها بالفعل هو موت والدتها».

على أي الأحوال فإن بداية رحلة فيرجينيا وولف مع الانهيارات العصبية والنفسية، بدأت بالفعل مع وفاة والدتها عام ١٨٩٥، بسبب الحمى الرثوية، حيث تعرضت لأول انهيار عصبي، وتكرر الأمر بعدها بعامين عندما توفيت أختها غير الشقيقة ستيل دكوورث، والتي كانت بمثابة الأم لها، ثم بدأ أفراد أسرتها في التساقط بسبب أمراض مختلفة، فتبعها والدها، وأخيها ثوبى، الأكثر قربًا منها، ومع توالى الانهيارات، تم احتجازها في إحدى المصحات النفسية، حيث لقبوها بملكة جمال المجنونات.

حاولت فيرجينيا الانتحار لأول مرة عندما كانت في الثانية والعشرين من عمرها بالقفز من إحدى النوافذ، لكن النافذة لم تكن عالية بما يكفي، ولكنها كررت المحاولة مرات ومرات، وفي الفترة الأخيرة من حياتها



في طفولتها ابتكرت جريدةً عائليةً  
تدعى «أخبار بوابة هايد بارك»

رحلتها مع الانهيارات العصبية  
والنفسية بدأت بالفعل مع وفاة والدتها





## مدينة الأسرار والقلاع

5



«لا شيء على وجه الخصوص، و٢٥٪ إضافيين يقولون إن الملحد، يصف هويتهم الدينية. عندما يتعلق الأمر بالمعتقد الدينى - على عكس الهوية الدينية - يقول ٢٦٪ من التشيك إنهم لا يؤمنون بالله، مقارنة بـ ٢٩٪ فقط يؤمنون به.

فى العصر الحديث، يُعرف الشعب التشيكي فى المقام الأول بأنه ملحد أو لا أدري أو روحانى شخصياً، تؤمن الأغلبية بالمفاهيم الروحية مثل القدر أو المعجزات، ولكن فى استطلاع حديث أجراه مركز بيو للأبحاث، قال ٧٢٪ من التشيك إنهم لا ينتمون إلى أى دين معين.

إحصائياً، هذا يضع جمهورية التشيك كواحدة من أكثر الدول غير الدينية فى العالم، خلف دول مثل اليابان والصين. ومع ذلك، فإن هذه الإحصائيات، تفشل فى التقاط التجربة الكاملة للمسيحية التشيكية بشكلها الحالى.

اليوم، براغ هى مدينة دولية رائعة، وقد ارتفع عدد المغتربين بشكل حاد فى السنوات الأخيرة، وقد جلبوا معهم نهجاً جديداً للمسيحية، حيث يجتمع العديد من التجمعات الإنجيلية الدولية كل أسبوع، ولديها فرق توعية تخدم اللاجئيين والمشردين فى قلب المدينة. وبالمثل، فإن الكنيسة الأنجليكانية الناطقة باللغة الإنجليزية، إلى جانب الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية ذات اللغات المختلفة، أصبحت ماهولة بشكل متزايد بالمغتربين والطلاب الدوليين. فى مكان تم فيه قمع المسيحية ذات يوم- أصبح من المستحيل الآن تقريباً السير فى مدينة براغ القديمة دون الحصول على منشور دينى، أو المرور ببرج المراقبة، أو التعثر فى شكل من أشكال الأداء المسيحى، خاصة فى عيد الميلاد وعيد الفصح، وخلال عطلات نهاية الأسبوع تقام الحفلات الموسيقية فى الكنائس والتي يتردد فيها قراءات من الإنجيل.

4

### لماذا التشيك ليسوا متدينين؟

احترام الأديان، والتاريخ الغنى، وعدم تدين التشيكيين، صنع هذا المشهد الذى قد تحتاج لتفسيره، فبينما تشق الكنائس السماء، الأرقام تقول إن التشيكيين غير متدينين. عادة ما يتم تفسير السبب فى ذلك على أنه نتيجة للشيوعية. قمع الدين هو تكتيك للنظام الشيوعى، والذى كان يهدف إلى محاربة أى قوة منظمة يمكن أن تتهدده، مثل الكنيسة الكاثوليكية.

لكن ما الذى جعل جمهورية التشيك رائدة فى العلمانية واللادينية بين الدول المجاورة لها، والتي كان الكثير منها أيضاً تحت الحكم الشيوعى؟ ولتأخذ على سبيل المثال جارتها بولندا، التى ظلت كاثوليكية إلى حد كبير بعد سقوط النفوذ السوفيتى، الدولة الوحيدة القريبة التى تقترب من اللامبالاة التشيكية بالدين هى إستونيا. ورغم أن إستونيا وقعت تحت حكم النظام الشيوعى مثل تشيكوسلوفاكيا، إلا أنها تبعد مسافة كبيرة عنها ولها تاريخ مختلف إلى حد كبير، ولا يمكن ربط التجريبتين معاً بقواسم مشتركة، وبالتالي، فمن المنطقى أن نستنتج أنه لا يمكن مجرد الإشارة إلى الشيوعية باعتبارها الإجابة على سبب عدم تدين التشيكيين.

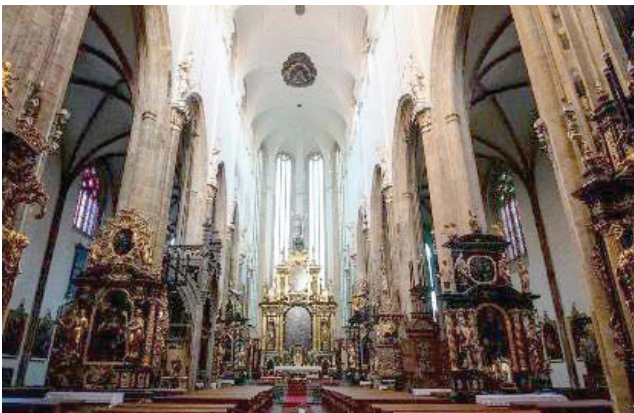
والحقيقة أنه لا توجد إجابة محددة، وليس حدثاً واحد هو الذى أدى إلى تغيير وجهات النظر الدينية فى البلاد. بل يعتقد العديد من المؤرخين أن التاريخ الطويل من المشاعر المعادية للكاثوليكية ورفض الدين المنظم أدى إلى الإلحاد البارز الذى نشهده فى جمهورية التشيك اليوم.

إحدى اللحظات المميزة فى التاريخ الدينى لجمهورية التشيك كانت فى عام ١٤١٥ عندما أحرقت الكنيسة الكاثوليكية جان هوس بتهمة الهرطقة، والذى كان كاهناً كاثوليكياً كان لديه عدد كبير من الأتباع المعروفين باسم الهوسيين، فيما كان يُعرف آنذاك بوهيميا، أدت وفاته إلى مزيد من انتفاضة نفوذ الهوسيين ورفض الكنيسة الكاثوليكية.

وبعد أكثر من مائتى عام، انتهت حرب الثلاثين عاماً، وحكمت الإمبراطورية النمساوية المجرية الكاثوليكية ما أصبح فيما بعد جمهورية التشيك، حيث أجبر شعب بوهيميا على اعتناق دين لم يتفقوا عليه لعدة قرون. ومن غير المستغرب أن هذا لم يؤد إلى مشاعر إيجابية تجاه الكنيسة الكاثوليكية، حيث استمر النفور من الكاثوليكية لأجيال ولم ينمو مرة أخرى إلا بعد الحرب العالمية الأولى، حيث أصبحت تشيكوسلوفاكيا دولة مستقلة تحرر فيها التشيكيون أخيراً من الكاثوليكية عام ١٩١٨، ولذلك، فإن الحقيقة من الصعب اتهام الشيوعية بأنها السبب وراء قلة تدين التشيكيين، فالشيوعية جاءت بعد قرون من كراهية الكاثوليكية فى الثقافة التشيكية.

ربما ساعدت الشيوعية فى المشهد الحالى، لكنها ليست السبب الوحيد، وربما بسبب الشيوعية لم يكن من الصعب أن يترسخ الإلحاد فى معتقدات الأمة، ورغم أن سقوط الشيوعية أدى إلى ارتفاع طفيف فى اهتمام الناس بالديانات المنظمة، لكنه لم يستمر.. وعادت براغ لتصبح براغ.

اكتشفت المدينة، وتحدثت مع أهلها، ولم أجد الإجابات التى زعمت على إيجادها فى بداية الرحلة، فبراغ سحرها بكن فى غموضها، وفى قدرتها الفريدة على تحويل أسئلتك البسيطة إلى أسئلة أكثر تعقيداً.. والأهم من كل شيء أنها جميلة بشكل لا يصدق.



إذا وقفت على قمة تل بيترين فى براغ، فسوف تدهش من جمال المدينة الأخاذ. من هنا يجرى النهر قبل أن يقسم هذه المستوطنة القديمة إلى قسمين، فى الشتاء؛ هنا مكان للأسواق الصاخبة رغم تساقط الثلوج فى بعض الأحيان، على يسارك ستلاحظ برج كاتدرائية القديس فيتوس يطل من خلف جدران قلعة براغ التى تقف شامخة، إذا كنت محظوظاً، فسوف تقرب الشمس ببطء خلفها لتكشف عن صورة ظليلة مذهلة تحفى بهدوء بالمكان الذى دُفن فيه الملك تشارلز الرابع، وفى المكان نفسه ألقى رئيس الأساقفة بيران، فى خضم الشيوعية، خطبته الأخيرة التى غيّرت أشياء كثيرة فى براغ. من كل مكان فى براغ، ستلاحظ كيف تقطع الكنائس السحب، من المؤكد أنك ستفتقرض أن هذه الوجهة السياحية الشهيرة مليئة بالحماسة المسيحية، ومع ذلك، فإن التاريخ والأرقام يرسمون صورة مختلفة تماماً للمشهد الدينى فى براغ.

سارة شريف

# «الله فى براغ»

## الكنائس تشق السحاب.. والتشيكيون أقل تديناً

1

### مشهد دينى معقد

منذ أول مجموعة أشخاص سكنت هذه الأرض، «سليتيك بوى»، جاءت بدايات براغ الكهنوتية الغامضة، ثم جلبت القبائل السلافية التى تبعتها نكهتها الخاصة من الروحانية الوثنية التى تغلغلت داخل المجتمع ببطء، ثم تشابكت فى المسيحية التى تم تقديمها إلى البوهيميين فى براغ فى القرن العاشر. خلال مراحل معقدة من الصراع الدينى وصلت جمهورية التشيك إلى المشهد الحالى باعتبارها واحدة من الدول الأقل تديناً فى العالم، ويظل فهم المشهد الدينى المتنوع فى جمهورية التشيك أمراً بالغ الأهمية لفهم التعقيد الثقافى والتاريخى لهذه الأمة الجميلة، فالحياة الدينية المعقدة لجمهورية التشيك، لعبت دوراً رئيسياً فى تشكيل الهوية التشيكية.

ومن المثير للدهشة أن التاريخ التشيكي يشتمل على ثروة من الشخصيات والأفكار الدينية، مثل جان هوس، وهو المصلح الذى أثر على مارتن لوتر، وجماعة إخوان مورافيا الشهيرة، التى قامت فى غضون عشرين عاماً بتوعية أكثر مما قامت به الكنيسة البروتستانتية بأكملها فى المائتى عام التالية مجتمعة.

على الرغم من تاريخ التشيك الدينى الغنى، إلا أن التشيكيين المعاصرين هم علمانيون للغاية ويشككون فى الدين، ربما سبب هيمنة الكنيسة الكاثوليكية التى استمرت قروناً وما تلاء من التأثير الساحق للشيوعية، فيما يزعم بعض الاستطلاعات أن مواطنى التشيك أكثر عرضة لرفض وجود الله والظواهر الخارقة للطبيعية من أى بلد آخر.

2

### تاريخ الدين

رحلتى بين الكنائس فى براغ كان يلزمها فهم واضح لتاريخ الدين فى جمهورية التشيك الذى يمتد إلى ما يقرب من ألف عام، مما يجعل قراءته رائعة، بدءاً من التصير الأولى إلى فترات الإصلاح الدينى، والقمع، ثم العلمنة النهائية.

كانت هناك لحظات سلمية وعنيفة فى تاريخ الدين فى جمهورية التشيك، فكان للوثنية السلافية تأثير على المنطقة قبل وصول المسيحية التى دخلت إلى بوهيميا فى القرن التاسع عندما وصل القديسان كيرلس وميثوديوس، ثم زرع قادة الإصلاح البوهيمى مثل جان هوس فى القرن الخامس عشر، بذور التنوع

الدينى من خلال خلق صدى داخل الكنيسة الكاثوليكية. بعد قرون من التطور اللاهوتى والإصلاح والتغيرات الاجتماعية والسياسية، أصبح دور الكنيسة التشيكية فى كل من الثقافة والتاريخ معقداً، والحقيقة أن الكنيسة التشيكية ساعدت فى تنصير المنطقة فى وقت مبكر، وارتبطت الكنيسة التشيكية بالكاثوليكية، حيث هيمنت الكنائس والكاتدرائيات والتقاليد الكاثوليكية على المشهد الدينى فى البلاد.

ثم جاءت حركة جان هوس فى القرن الخامس عشر وهى حركة إصلاحية دينية كبرى فى الكنيسة التشيكية، وكان هدفها انتقاد الحركة للكنيسة الكاثوليكية والمحافظة على الهوية التشيكية الكاثوليكية، ثم انخفض التنوع فى القرن السابع عشر التفوق الكاثولىكى فى الأرضى التشيكية.

مع قيام النظام الشيوعى بترويج الإلحاد وقمع الدين، شهد القرن العشرون اضطرابات سياسية واجتماعية كبرى، أيضاً كان الدين يلعب دوراً بها. والحقيقة أن تشيكوسلوفاكيا دخلت العصر الشيوعى بتراث دينى متنوع. كانت هناك تسعة معتقدات رئيسية مدرجة فى تعداداتها: الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، الكنيسة الكاثوليكية اليونانية الروثينية، الكنيسة الإنجيلية للأخوة التشيكيين، اللوثرية، الكالفينية، الأرثوذكسية، الكنيسة الإصلاحية التشيكية «الهوسيتس»، الكنيسة الكاثوليكية القديمة، واليهودية. أثرت الحقبة الشيوعية على الحياة الدينية فى براغ، وعقدت أكثر مما ينبغى المشهد الدينى فى البلاد، مما جعل قسمًا كبيرًا من الناس لا يؤمنون بالله، أو لا أدريين، أو غير متدينين، ولكن على الرغم من ذلك لا تزال الكاثوليكية والبروتستانتية تزدهر فى البلاد، وفى الوقت نفسه تقدر الجمهورية التشيكية الحرية الدينية والتسامح، فتاريخها الحافل بالتعددية الدينية والقمع إلى جعلها رائدة فى تعزيز التسامح والاحترام للعديد من الأديان.

3

### معدلات التدين

اعتبارًا من عام ٢٠٢١، تم تعريف ١١,٧٪ من السكان بالمسيحية «الكاثوليكية بالكامل تقريباً» بينما تم تحديد ١٠,٨٪ بالهويات أو المعتقدات الدينية الأخرى، فى التعداد السكانى لعام ٢٠٢١، أعلن ٤٧,٨٪ من التشيك أنهم لا يؤمنون بأى دين، بينما لم يستجب ٣٠,١٪.

وفقاً لدراسة أجراها مركز بيو للأبحاث، فإن حوالى سبعة من كل عشرة تشيكيين ٧٢٪، لا ينتمون إلى مجموعة دينية، بما فى ذلك ٤٦٪ يصفون دينهم بأنه



### جمهورية التشيك رائدة فى العلمانية واللادينية

#### بين الدول المجاورة لها والتى كان الكثير منها

#### أيضاً تحت الحكم الشيوعى





## تغربية

## ابن الصمت

## مجيد طوبيا.. الرجل الذي قتلته

## حبيبته وأنصفته قطته «سعدية»!

وفي المقابل، لم ينس «زكي» لمجيد، كل هذا، حين اشتهر وعرفه العالم، أمسك بحقيبة ومأهيا بالنقد وذهب إلى «مجيد»، لمكافأته على كونه السند، لكن «مجيد» رفض الأمر تماماً، وذكره بأنه آمن به لموهبته وليس لأنه يحبه فقط.

وحيث تعرض «مجيد» والسيد راضى لأزمة في شركتهما التي افتتحها معاً تحت اسم «رابيا»، تنازل معظم الفنانين عن بعض أجورهم من أجل الشركة، ومنهم أحمد زكي وسهير رمزي، وغيرهما.

يأتي لمصر وقلبه معلق بإيطاليا، وكانت تأتي إلى مصر، ثم تركت قلبها في مصر الجديدة، وتحديداً في شقة بسيطة تقع بالقرب من ميدان تريومف، حيث عاش مجيد طوبيا.

كان مجيد طوبيا يحمل هاجساً كبيراً تجاه الموت، فهو كأديب كبير كان يفكر في ماهيته، ما الذي يعنيه الموت؟ وكيف يمكن أن تعيش وفجأة لا توجد؟ كان الأمر عصياً على الفهم، لكنه تقبله، سواء بإرادته أو رغماً عنه.

تقبل موت أمه، وعرف أنه لن يراها مرة أخرى، لكنه حمل في قلبه ذلك الوجع العظيم، ولم يتبق له من عائلته سوى عمته، هو الذي ارتقى في حضنها، وأحبها محبة كبيرة لم يجبر عليها، فعلى الرغم من كونها آخر العائلة بالنسبة إليه، كانت فعلياً كل العائلة لمجيد، حتى جاء ذلك اليوم الذي لم يتوقعه ولم يفكر فيه حتى.

كان يتصور أنها ستخلد في هذا العالم، مثل صورة الشهيد ماري جرجس، أو حتى صليب المسيح، وأن هنا ملكوتها الخاص، لكنها خاتته وماتت، تركت له إرثاً كبيراً من وجع، خاف معه أن يصادق الناس، أو أن يحبهم أو يتعامل معهم، لأنهم سيخونونه ويموتون.

ترك كل العالم وراح إلى «كونشيتا»، وكان يخاف منها أيضاً، يخاف أن تقدر به وتتركه، يواجه كل هذا العالم بصدر عار، وحين طلبت منه الزواج لم يوافق، والأمير يبدو غريباً بعض الشيء فـ«مجيد»، لم يحب مثلاً، لكنه رفضها كزوجة حتى لا تموت، وإن ماتت ربما يعيش بعدها لكنه سيكون ميتاً أيضاً، وما أصعب من أن تموت حياً، أن تأكل وتشرّب وتتنفس، وتقوم وتقع وتشرع بكل شيء، لكنك ميت أيضاً.

بعدها جاء ذلك اليوم الذي بدا أشبه بجبل جثم على الصدر، تركته «كونشيتا» لأمير لا يمكن معه التفاهم، وغادر «مجيد» إيطاليا بقلب مكسور، ورجع يحمل معه حبيبته الكبيرة، حين عرف أنه له ابناً من «كونشيتا»، ابناً يقيم في إيطاليا مع والدته. كان «مجيد»، في بيته، بعد ١٤ عاماً قضاها مع كونشيتا باريدزي، وفي يوم سمع طرقات على الباب، وحين فتح وجد أمامه شاباً جميلاً، قال له: «أنا ابنك»، تفرس الولد قليلاً في ملامح الأب، وتفرس الأب في ملامح الابن بتساؤل، وظل الولد قليلاً وغادر. ربما رأى ما لم يتوقعه، ربما كان الولد يحمل في داخله ذلك القلق الكبير من ناحية والده، لكنه على كل حال زاره ورآه ومنحه لحظة من تساؤل راحت تخيط جدران ذاكرة «مجيد»، كثيراً، لكنها انزلت وغادرت، بعد أن حكى لفتحي سليمان، ما جرى وترك الأمر كله ليفكر في طفولته، وفي القطة «سعدية»، وفي أيام سيقضها ثم لم يقابل الأحباب، والدته وعمته.

ولأن «مجيد»، كان طيباً فقد كان يشبه كل الطيبين. يشبه أحمد زكي حين يأتي ويستلقي على الأريكة، ويظل يضحك معه، ولم ينس «زكو» له وقفته ومساندته له في فيلم «أبناء الصمت»، وكيف أنه فرض اسمه على المخرج السيد راضى. كان «مجيد»، يرى في أحمد زكي نموذجاً جميلاً ليظل مصري حتى النخاع، آمن به، وأحس بموهبة «الولد الأسمر»، ومنحه ما أراد ليخطو إلى عالم المعرفة والأشهر.

فوجئ بآبن له يطرق بابه بعد 14 عاماً على

فراق محبوبته كونشيتا باريدزي.. وتبنى

أحمد زكي في «أبناء الصمت»

5

كوكيتل مواهب

كان مجيد طوبيا حالة خاصة، مثله مثل صلاح جاهين، كان متعدد المواهب، يكتب الرواية، يرسم لوحات تشكيلية، يكتب للأطفال، ويكتب السيناريو، وله العديد من الإسهامات في أمور أخرى، مثل كتابته للممثل بشكل أدبي جميل.

كان يرى أن الفنان عليه أن يكتب ويبدع ويرسم، وأن الفكرة يمكن أن تصلح كلوحة وكقصيدة شعرية وكرواية وقصة قصيرة، تصلح لكل صنوف الإبداع. لكن الفكرة هي من تحدد إطارها الذي ستتشكل فيه، هي من تلج للخروج في رؤية بعينها حددتها مسبقاً، وما على الكاتب أو الفنان سوى صفها في الشكل الذي اختارته مسبقاً.

من هنا كان «مجيد»، يمارس كل تلك الفنون، حقيقياً أنه برع في الرواية ونبغ فيها، حتى أن روايته «تغربية بنى تحتوت»، انضمت لقائمة «أفضل ١٠٠ رواية عربية في القرن العشرين»، لكن «مجيد»، لم يقس على كل الفنون الأخرى ويهملها تماماً، على العكس مارسها بانتظام، وبحسب رؤيته.

6

«تمام يا نجيب»

من خلال كتابته في «الأهرام»، عرفه نجيب محفوظ، ووطد الزمن علاقتهما بقوة، وكان «نجيب» يشيد كثيراً بـ«مجيد»، واعتبر بعض النقاد أن «مجيد طوبيا امتداد طبيعي لمحفوظ». وقال مجيد طوبيا عن «أديب ذوبيل»: «كان يشيد بي كثيراً، ويذكر اسمي في محافل كثيرة، هم لم يعرفوا أن نجيب لم يتكلم عن مجيد الإنسان، لكنه تكلم عن مجيد الكاتب».

كان بين الاثنين مزاح كبير ومحبة صادقة، ولعملهما معاً في «الأهرام»، كان نجيب محفوظ يقول له «يا زمل»، و«مجيد»، يرد التحية ويقول «تمام يا نجيب».

وصف «طوبيا» نجيب محفوظ بأنه رقيق جداً، ومُجامل باحترام ووقار، وفي أحد الأيام، قال أحمد هشام الشريف، وهو قاص موهوب، مخاطباً «نجيب»: «هو مفيش غير مجيد طوبيا».

فرد عليه صاحب «الثلاثية»: «أه مفيش غير مجيد طوبيا»، وفي إهداءات نجيب محفوظ لمجيد، تتوسم تلك المحبة، إذ يكتب له قائلًا: «الفنان والمبدع مجيد طوبيا.. محبة وإعجاب»، وهو الإهداء الذي تكرر في روايات: «رحلة ابن فطومة»، و«رايت فيما يرى النائم»، و«هشتم»، وغيرها.

7

طوبيا الذي ذهب إلى الملكوت

غادر مجيد طوبيا في ٧ أبريل ٢٠٢٢، ولم يرحل قبل أن يتدخل القدر بفرصة أخرى في ذوب كحاياته، اسمها فتحي سليمان، الذي رافقه لسنوات طويلة، ظل فيها يرعاه مثل ابن، ويحمل مسؤولية الرجل العجوز كثيراً، لم يهن ولم يستنكر الأمر، بل أكمله بعطاء كبير ومحبة خالصة. كان فتحي سليمان نموذجاً حقيقياً للإنسان الذي ينبغي أن يكونه الإنسان، هذا الذي تربت على ظهر قطه أو يجبر جناح طائر، كان سنداً لمجيد طوبيا، وقبل مغادرته، ولأنه يعرف أنه عاش ومر مثل مسافر، أوصى «مجيد» بمكتبته لجمعية الشبان المسيحيين، ولم يترك وراءه إلا رواياته التي تقول: «هنا عاش مجيد طوبيا».



حين خطت قدمي لأول مرة أرض القاهرة كنت محملاً بإرث من قراءات لا أعرف هل هي كثيرة أم قليلة، لكن في الفراغ الكبير أمام عيني كانت تتجسد العديد من الشخصيات، بعضها أعرفه والآخر أجعله تمامًا، ولكن هذا لا ينفي وجوده لدى، بل وأحياناً تخله في صورة أحياها إن لزم الأمر، ومن هؤلاء مجيد طوبيا.

كنت قد قرأت، تغربية بنى تحتوت، والهؤلاء، من ضمن هذا الإرث، وحين عملت في جريدة «الدستور»، تواصلت مع الكاتب الصحفي والروائي فتحي سليمان، وقررت الذهاب إلى مجيد طوبيا، ومن هنا بدأت الحكاية.

إيهاب مصطفى



الزميل إيهاب مصطفى مع مجيد طوبيا



أحب قطته كما

الأطفال.. و«ألزهايمر»

لم يمخ من ذاكرته

«فريال الإيطالية»

1

القطة «سعدية»

كنت أتوقع رؤية مجيد طوبيا فتياً عصياً على الرضوخ لطارق الزمن، أتخيله مثل كتاباته وأفلامه خالداً لا يشيب ولا يهن، لكنني وجدته كبيراً جداً، مع ذلك التكلس في وجنتيه، وزحف وهن الذاكرة عليه، تلك العلامات التي بدت أشبه بمصفاة مليئة بالثقوب، كل يوم تسرب الأشكال والبيوت والقاهي والجرائد، شيئا فشيئا، بدا أنهما أكبر من حجم الثقوب، فراحا يتخبطان وفي كل خبطة كان «مجيد»، يتذكر، الأولى قطلته «سعدية» والثانية حبيبته وزوجته «كونشيتا باريدزي».

حين يكبر الإنسان يصل إلى نقطة معينة، ثم يبدأ الجسد في معاندته، وهنا يستقل العقل بعيداً عن ذلك التجانس ما بينه وبين الجسد، تلك النقطة تبدو أشبه بمفتقر طرق، كل إلى سبيله، يظل الجسد يكبر فيما يرجع العقل ليصغر، ولا يمر بنفس مرور الجسد في الكبر، وإنما يرجع دفعة واحدة إلى الطفولة.

مع هذه الحالة تبدو المفردات غريبة جداً، فتجد رجلاً كبيراً يطلب «مصاصة»، مثلاً، أو كيساً من الفشار أو حلوى «غزل البنات»، لكنه لا يتفاهق مثل الأطفال، وإنما يعلن عن محبته لهذه المفردات في صمت.

هكذا كان مجيد، وكان معه تلك القطة الصغيرة التي بدت أشبه بعالم كبير بالنسبة إليه، هي «سعدية»، وكلما ففرت ضحك وفرح ونادى، يخرج إلى شرفته وينادى بصوت خفيض: «سعدية.. سعدية»، ويقوم الهم فتحي سليمان ليبحث لمجيد، عنها، وحين يتصاعد الهم تدخله الفرحة، فرحة لم يجريها «مجيد»، فرحة رجوع ابن من سفر، فحقيقى أن له ابناً، لكنه لم يعش معه حتى يدرك تلك المشاعر كلها.

2

كونشيتا باريدزي

أما كونشيتا باريدزي فهي الكائن البشري الوحيد على ظهر الأرض الذي أصبح عصياً على النسيان بالنسبة لمجيد طوبيا، الذي أكل فيه «ألزهايمر»، كل ما يمكن أن يأكله، لكنه يأتي على تلك التفصيصة الخاصة بحبيبته، ويبدو مثل قط اليف يتمسح بها ويبيض.

كانت «كونشيتا» بالنسبة لمجيد، دلالة وعلامة كبيرة على أنه عاش أياماً يحبها، كانت البرهان الحقيقي على أنه مثل كل الناس، يملك قلباً وحب وبنوثر ويأكله الشوق، وحين يراها ترتسم تلك الضحكة الكبيرة على فمه، كأنه ما رأى وجعاً يوماً.

والقدر في حكاية «كونشيتا» و«مجيد»، له الكلمة العليا، فكونشيتا، بنت ولدت في مصر، لأب وأم إيطاليين، إيان القاهرة «الكوزموبوليتانية»، كان والدها يعمل في القصر الملكي، وقزامن مولدها مع مولد «الأميرة فريال»، فحصلت على الاسم وأصبحت «فريال أخرى».

كبرت فريال «البنات» مع «الأميرة»، لكنها سافرت إيطاليا لتصنع مملكتها الخاصة بعيداً عن مصر، وعملت في معهد الشرق بمدينة «فلورنسا» الشهيرة، وبحكم مصريتها كانت تجيد العربية إجادة تامة، ومن خلال عملها الأكاديمي قررت أن تأتي إلى مصر لترجمة بعض الروايات ومنها «تغربية بنى تحتوت».

لم يكن يتخيل «مجيد» ولو لوهلة أن البنات التي جاءت من إيطاليا وراحت تسال عنه، تحمل في جعبتها أفضل وأحلى أيامه، لم يكن يتخيل أنه سيسافر وسيفرح وسيجد صدراً يمكن أن يرتضى عليه ليشكو له وجهه من العالم.

وقفت «كونشيتا» أمام «مجيد»، وكان القدر يغرز غرزة أخرى في حبكة القصة، تبسم «مجيد»، وتبسمت البنات، وبدأ ينسجأن أسطورتها الخاصة، وعلى مهل.

أحب «مجيد»، «كونشيتا»، وأحبت «كونشيتا» «مجيد»، وهامت به، في الأساس هي كانت تحمل رواية تخيلت فيها كاتبتها، والحقيقة أن الجواب نعم، يمكن أن تحب كاتباً من خلال عمله، كما يمكنك بالضبط أن تكره كاتباً آخر لنفس السبب، المهم أن القدر غرز غرزه وتركها يكملان ذلك الثوب الكبير والجميل في الحكاية.

حين سألته عن عدد السفريات التي زار فيها روما، أو بالأحرى زار فيها «كونشيتا»، قال ٣٦ مرة، ومن هنا يتبين حجم القصة، كان